سلسلة تاريخ البابوات

بطاركة الكرسي الإسكندري

الحلقة الخامسة

من البطريرك ١٠٤ إلى البطريرك ١١١

١٧١٨ - ١٩٠٦م

الشماس

كامل صالح نخلة

مطبوعات دير السريان

سلسلة تاريخ

الباباوات بطاركة الكرسى الاسكندرى

الحلقة الخامسة

من البطريرك ١٠٤ إلى البطريرك ١١١

(١٧١٨ ــ ١٩٠٦م)

جمع

المرحوم الشماس كامل صالح نخله

الاسكندرى

عضو لجنة التاريخ القبطى

الطبعة الثانية

١٧١٧ش ــ ٢٠٠١م

تنقيح ومراجعة

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

سلسلة تاريخ

البابا وات بطاركة الكرسى الاسكندرى

الحلقة الخامسة

من البطريرك ١٠٤ إلى البطريرك ١١١

(١٧١٨ ـ ١٩٠٦م)

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

لكتاب سلسلة تاريخ البابلوات بطاركة الكرسي الإسكندري

في الفترة من ١٩٥١ ــ ١٩٥٤ أصدر دير السيدة العذراء ــ السريان ــ العامر خمس حلقات من سلسلة تاريخ البابلوات بطاركة الكرسي الإسكندري، ابتداءً من البابا كيرلس الثالث البطريرك ٧٥ إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك ١١١.

ونفذت هذه الطبعات من زمن بعيد.

وبتشجيع من بعض محبي التاريخ القبطي نعيد الآن تقديم هذه الحلقات في طبعة ثانية منقحة حتى يستفيد منها أبناء الكنيسة ويعرفون شيئاً عن تاريخ كنيستهم العريقة.

وهذه الحلقات الخمس كما وردت في الطبعة الأولي هي:

الحلقة الأولى: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا كيرلس الثالث البطريرك الخامس والسبعون

الحلقة الثانية: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابلوات من البابا أثناسيوس الثالث البطريرك السادس والسبعين إلى البابا غبريال الرابع البطريرك السادس والثمانين.

الحلقة الثالثة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا متاؤس الأول البطريرك السابع والثمانين

الحلقة الرابعة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابلوات من البابا غبريال الخامس البطريرك الثامن والثمانين إلى البابا يؤانس السادس عشر البطريرك المائة والثالث

الحلقة الخامسة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابلوات من البابا بطرس السادس البطريرك المائة والرابع إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك المائة والحادي عشر

عهد الباباوات من البابا بطرس السابع (الجاولى) البطريرك المائة والتاسع إلى البابا كيرلس السادس البطريرك المائة والسادس عشر.

ونحتاج إلى صلوات كثيرة حتى نستطيع أن نكمل هذا العمل الضخم من أجل الحفاظ على تاريخ كنيستنا المجيدة الذي هو جزء من تاريخ مصرنا الحبيبة. التي نطلب السلام لكل ربوعها والتقدم والرخاء لكل جموعها.

نرجو أن تكون هذه الحلقات المتتابعة سبب بركة لكل من يقرأها، ويصدق عليه قول الشاعر.

من حوى التاريخ في صدره .. أضاف أعمارا على عمره.

الله يعيننا بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم وبصلوات آبائنا البطاركة العظام الذين وردت أسماؤهم وسيرهم في هذه الحلقات والذين قادوا الكنيسة بحكمة كل هذه السنين الطوال التي تصل إلى سبعة قرون ونصف.

وببركة وصلوات أبينا المكرم **البابا الأنبا شنوده الثالث** بطريرك هذا الزمان. أطال الله حياته.

ونعمة الرب تشملنا جميعا آمين..

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

صوم الرسل الأطهار يونيه ٢٠٠١

CYN ΘЄЏ IC☧YPOC

تصدير

ما أقرب الأمس من اليوم. إنها عقارب الساعة تسرع فبعد قليل تصبح الدقائق سنيناً وأجيالا. وبعد أن كانت هذه الدقائق من الواقع الحى تصبح من الماضى العابر، والذكريات القديمة.

فإذا نظرنا إلى الماضى القريب، وتأملنا تاريخه فإننا نراه وافر الحيوية واضح الصورة، سهل الفهم لأن حوادثه كثيرة الشبه بحوادث اليوم، وظروفه وملابساته لم يطرأ عليها كثير من التغيير.

لذلك يمكننا إن شئنا أن نستقرئ منه الأسباب ونتائجها، والأحكام ودوافعها، وما آلت إليه شئون الأمة من إرتفاع أو تدهور، ومن تقدم أو تأخر. وبهذا الاستقراء وحده يصبح التاريخ ذا فائدة لنا. فإن لم نتعلم منه دروس الحياة وعِبَرها، فما هو بتاريخ نافع بل مجرد قصص للتسلية.

وما أقدمنا على نشر هذه السلسلة الهامة من تاريخ الآباء بطاركة الكرسى الإسكندرى إلا لكى نبنى من دروس الماضى صرح المستقبل. ونأخذ من عبر هذه الحقبة القريبة، حافزاً يدفعنا إلى الأمام لكى نعوض ما فات من فرص، ونجدد ما فتر من همم حتى نصل بنعمة إلهنا وبركة قديسينا إلى ما نصبوا إليه من روحانية عميقة، وحياة اجتماعية متكاملة متماسكة.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد أمين،

دير السريان

+++++

مصادر الكتاب

أولاً: المخطوطات:

(١) تاريخ البطاركة كتاب رقم ١٥ بمكتبة الدار البطريركية.

(٢) كتاب التواريخ لابن الراهب بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.

(٤) كتاب رقم ٢٩١ لاهوت: مكاتبات ابن لقلق.
(٥) كتاب سلاح المتسلحين للأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا.
(٦) كتاب الأبوغالمسيس والمردات بكنيسة العذراء بحارة زويلـــه رقـــم ١٣٣ طقس.
(٧) كتاب الميرون رقم ١٠١ طقس بالدار البطريركية.

ثانياً: المطبوعات:

١) التوفيقات الإلهامية
٢) تقويم الازمنة المسيحية فى مصر وإثيوبيا للعلامة شين باللغة الفرنسية طبـــع باريس.
٣) تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله روفيله.
٤) عجائب الأثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى طبع مصـــر (أهلى).
٥) محاضر مجمع خلقيدونية طبع رومية.
٦) تاريخ مصر لعمر الإسكندرى طبع مصر.
٧) تاريخ وجداول بطاركة الإسكندرية طبع مصر تأليف الشماس كـــامل صـــالح نخله.
٨) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر تأليف الشماس كامل صالح نخله والاســـتاذ فريد كامل.
٩) دائرة المعارف البستانية جزء سادس.
١٠) تاريخ أبى الاصلاح البابا كيرلس الرابع.
١١) كتاب نوابغ الأقباط فى القرن التاسع عشر جزء ثانى تأليف العلامة توفيق اسكاروس.
١٢) سنكسار جزء ثانى طبع سنة ١٦٦٧ش

ملحوظة: ترقيم المخطوطات بالورقة وليس بالصفحة ــ فالورقـــة ترقـــم واحـــد

البابا بطرس السادس
البطريرك (١٠٤)
١ عائلته وموطنه وتربيته

كان هذا الآب من أبوين مسيحيين طاهرين من المدينة المحبة لله أسيوط إعتنيا بتربيته بكل أدب وعلم وكان اسمه مرجان ونعمة الرب كانت حالة عليه منذ صغره وكان شاعراً فى نفسه بما سيكون من أمره (ذيل التواريخ لابن الراهب ص٢٤٦"أ" وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس ص٢٦ وكتاب ٣٨٩ طقس بمكتبة هذا الدير).

٢ رهبنته فى دير القديس أنطونيوس

فلما بلغ حد القامة زهد العالم وكل ما فيه، من تأثير الشعور الذى كان مؤثراً عليه وشغفه إلى سيرة الرهبنة، فمضى لتحقيق أمنيته إلى دير القديس العظيم أنطونيوس بدير العربة فقبلوه ضمن رهبانه فمكث فيه مدة تحت الاختبار ولما أظهر حسن استعداده وتفانيه فى العبادة ألبسوه الشكل الملائكى وأصبح من أنشط الرهبان فى النسك والعبادة حتى صار يجهد نفسه فى إقامة الصلوات ودراسة الكتاب والالمام بما وضعه الأباء من الكتب التفسيرية والروحية واستمر مداوماً على هذا النظام حتى نجح فى عبادته وحاز السبق فى ممارسة الفضائل النسكية فاختاره المجمع الرهبانى بالدير لترقيته إلى رتبة القسيسية لما لمسوه فيه من الصلاح والورع وروح الاتضاع (ذيل ابن الراهب ص ٢٤٦ وسنكسار رقم ٣٤٣ ص٢٦).

٣ رسامته قساً ورئيساً لدير القديس بولا

فقدم الراهب مرجان إلى القاهرة فرسمه البابا يوأنس هو وجملة من الكهنة الآخرين قساً فى بيعة السيدة العذراء مريم والدة الإله بحارة الروم.

ثم بعد تعمير دير أنبا بولا بالعربة أقامه هذا البابا القديس رئيساً على هذا الدير وظل به إلى أن تتيح البابا يوأنس السادس عشر فى ١٠ بؤونة سنة ١٤٣٤ش.

فإزداد بعد هذه الترقية فضلا وعلماً ونسكا وورعا حتى شاع ذكره بين الناس

٤ . اختياره للبطريركية

وبعد نياحة البابا يوأنس السادس عشر لم يتوجه أحد من الأراخنة إلى الديارات بل إرادة الله تعالى دلتهم على هذا الأب مرجان وكان المجتهد فى ذلك الارخن الكبير المعلم لطف الله أبو يوسف الذى كان متزوجاً بنت أخى البابا يوأنس المتنيح.

فاجتمع مجمع الأساقفة بحضور حضرات الأراخنة الشعب واختاروا الأب مرجان مع بعض الكهنة وقرروا عمل قرعة هيكلية بينهم وسجلوا اسماءهم فى قصاصات من الورق ووضعوها على المذبح المقدس وأقاموا القداسات عليها مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث بعد إنتهاء القداس صلوا متضرعين لله سبحانه وتعالى أن يقيم لهم المختار من عنده ليكون رئيساً لبيعته المرقسية المقدسة ثم اختاروا احدى الورقات فطلعت باسمه وتحققوا بذلك أن الله اختاره ليكون البطريرك المنتظر (كتاب ٣٤٣ طقس بمكتبة دير أنطونيوس ص٢٦ وكتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٢"أ" و٣٠٣).

٥ . رسامة البابا بطرس السادس البطريرك (١٠٤)

وبعد ظهور نتيجة الاقتراع باسم القس مرجان رئيس دير أنبا بولا أرسل الأرخن الكبير المعلم لطف الله المذكور إلى قائمقام ناحية بوش لارساله إلى مصر فقبض القائمقام عليه وأرسله مقيداً فى الحديد. فلما وصل أخذوه إلى بيعة القديس مرقوريوس أبى سيفين وفى يوم السبت مساء الموافق ١٦ مسرى سنة ١٤٣٤ش أى يوم عيد فطر صيام العذراء القديسة الطاهرة ألبسوه إسكيم الرئاسة باحتفال عظيم. وفى صبيحة يوم الأحد ١٧ مسرى الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٧١٨م احتفلوا فى البيعة البادى ذكرها بإقامته بطريركاً على كرسى الكرازة المرقسية باسم البابا بطرس السادس البطريرك (١٠٤) فى أيام السلطان أحمد الثالث العثمانى بعد أن ظل الكرسى خاليا مدة شهرين وستة أيام. وكان الفرح به فى هذا اليوم المبارك فاق الحدود إذ شمل جميع الطبقات.

وقد اشترك فى هذا الاحتفال الجليل جماعات كثيرة من كبار الاراخنة وعلى رأسهم المعلم لطف الله الارخن العظيم كما حضره الكثيرون من الافرنج والروم

الاحتفال بجبر بحر النيل (ذيل ابن الراهب ص ٢٤٧"أ" وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٢ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٢٤٣ ص ٢٦ ورقم ٢٨٦طقس).

٦. زيارة البابا بطرس للوجه البحرى

بعد الاحتفال بالرسامة المباركة والانتهاء من زيارة أكابر الأمة المصرية وأعيان الجاليات الاجنبية والطوايف الأخرى أقام فى اثنائها مدة جمعة زمان ثم حضر إلى القلاية البطريركية مقر إقامته الرسمية بحارة الروم على جارى العادة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٣).

وبعد ذلك بزمن يسير قام هذا البابا بزيارة الوجه البحرى وافتقد كنائسه وبارك شعبه ثم اضطر إلى تأجيل زيارة الثغر الإسكندرى للظروف التى طرأت فى مصر (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٣).

٧. قيام الفتنة فى مصر

وعندما كان البابا بطرس عازما على زيارة ضريح القديس مرقس كاروز الديار المصرية بالثغر الإسكندرى حصلت فتنة فى مصر بين السنجق إسماعيل بك بن ايواز والسنجق محمد جوكس. فرجع البابا إلى مصر وأجل زيارته للإسكندرية إلى فرصة أخرى فى تلك السنة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٣).

٨. اضطهاد المعلم لطف الله وقتله

وقد كان المتولى على مصر يومئذ الوالى رجب باشا فسعى إليه جماعة بأن وشوا فى حق المعلم لطف الله ناسبين إليه بأنه عمر بيعة الملاك ميخائيل القبلى بمصر القديمة وبيعة الشهيد مارمينا بفم الخليج بمصر. وفى الحقيقة أنه عَمَّرها من ماله وجعلهما فى حالة أحسن مما كانتا عليه فى الأول. لأن بيعة مارمينا كان يصعب الدخول فيها من باب الخورس بالنهار إلا على ضوء فتيلة. فقام المعلم لطف الله بتعميرها وجعلها كنيسة عظيمة نيرة وبنى فيها قلالى للفقراء وغيرهم.

فأوقع رجب باشا الوالى الطلب على المعلم لطف الله ولكن جماعة من أكابر الدولة الذين يحبون هذا المعلم تمكنوا من تطييب خاطر الوالى المذكور بنحو أربعين كيساً قام بدفعها من عنده من ماله الخاص ولم يأخذ من الأراخنة شيئاً وكذلك قام أيضاً بمصاريف حفلة إقامة البطريرك على الكرسى لأنه لم يكن فى

شهر مسرى سنة ١٤٣٦ش نيح الله نفسه فقاموا بالاحتفال بجنازته وعمل له البابا بطرس ألف قداس باسمه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٣"أ").

٩. زيارة البابا للثغر الإسكندري

ثم بعد أن هدأت الأحوال فى عاصمة البلاد عزم البابا على إتمام زيارته للإسكندرية لتأدية فروض الشكر وواجب الزيارة والقيام بأخذ البركة من مؤسس الكرسى الإسكندرى القديس مرقس البشير الطاهر فبارح القاهرة فى سنة ١٤٣٨ش فى يوم الاثنين ١١ برمودة الموافق ١٧ أبريل سنة ١٧٢٢م قاصداً مدينة الرسول مرقس. ولما وصل إلى الثغر توجه مع حاشيته إلى المسلة حيث تقيم القلاية البطريركة والبيعة المرقسية الخالدة الذكر فزار البيعة المقدسة وقدم الشكر للعزة الربانية على توفيقه له فى تأدية هذه الزيارة ثم زار ضريح الرسول وتبارك منه ومكث بعد ذلك هناك مدة ستين يوما فى فرح وسرور وبهجة وقدم قداسته إلى مكان الضريح قنديلا من الفضة ونحو عشرين أردب قمح وبعد التزود بالبركات عزم على العودة إلى مصر فقام الأراخنة المباشرون بديوان الإسكندرية بجبر خاطره وتزويده بكل ما يلزمه أثناء رحلة العودة.

وفى أثناء إقامته بالثغر الإسكندرى قام بعمل حجاب من الخشب المخروط الكثير الثمن حول ضريح القديس مرقس وجعل فيه طاقات تدل على ما فى داخله ثم وجه همته نحو عمل العمارة اللازمة لأبنية الكنيسة المرقسية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٤ وكتاب ٢٩١ لاهوت بالدار البطريركية "مكاتبات ابن لقلق").

١٠. قيام البابا بطرس بإخفاء رأس القديس مرقس خشية سرقتها

ولما أراد الرجوع من الثغر الإسكندرى علم أن جماعات من أهل المدينة تكلموا على الرأس المقدسة فخشى عليها من السرقة وعمل على إخفائها فى مكان أمين فى الكنيسة وظلت محفوظة مع جملة رؤوس من البطاركة إلى وقتنا هذا داخل مقبرة البطاركة الموجودة فى صحن الكنسية المرقسية.

ثم مضى لإتمام زيارة باقى بلاد الوجه البحرى أثناء عودته إلى مصر (ذيل ابن الراهب ص ٢٤٦"أ" وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ ص٢٦).

١١. زيارة البابا للوجه القبلى

لإيبروشيات الوجه القبلى وفرح بقدومه عليهم أهل البلاد واحتفوا به إلى أن عاد إلى القاهرة المحروسة (ذيل ابن الراهب ص ٢٤٦"أ" وكتاب ٢٩١ لاهوت بالدار البطريركية).

١٢ . إرسال مطران للمملكة الحبشية

وفى عهد البابا بطرس السادس حضر إلى الدار البطريركية فى سنة ١٦٦٧م وفد حبشى مكون من جماعة من الكهنة والشمامسة موفد من قبل ملك الحبشة يوحنا الأول ومعه هدايا فاخرة لقداسة البابا مع مرسوم ملكى بطلب رسامة مطران للمملكة الحبشية بدلا من المطران يوحنا المخلوع (شين ص٢٦٩ وذيل ابن الراهب ص ٢٤٧"أ" وسنكسار رقم ٣٤٣ ص٢٦).

فعقد البابا بطرس السادس مجمعاً من الأساقفة وكبار الأراخنة وعلى رأسهم الارخن لطف الله واستقر الرأى على اختيار أنبا خرسطوذولو اسقف القدس الشريف ليكون مطرانا على الحبشة فمسكوه ورسموه مطرانا وقد كان هذا المطران حبراً كاملا ومعلماً عالما وخادما عاملا فمضوا به فرحين مسرورين (ذيل ابن الراهب ص ٢٤٦"أ" وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ ص ٢٦) كما أقام أنبا أثناسيوس أسقفاً على كرسى أورشليم فى مكانه.

١٣ . أعماله مدة رئاسته

وقد كان هذا البابا مجداً فى عمله ساهراً على رعيته مجداً فى تعمير البيع وبناء الكنائس وتكريزها ففى أيامه استراح الشعب بصلواته المقبولة عند الله حتى كانت أيامه هادئة وحل فيها السلام بدل الخصام (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٤ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ ص٢٦).

١٤ . المعلم مرقوريوس الشهير بديك أبيض

وكان فى أيام البابا بطرس السادس أرخن من كبار أراخنة القبط اسمه المعلم مرقوريوس الشهير بديك أبيض وكان كاتبا للجوريجى إبراهيم الصابونجى عزبان الذى كان من أكابر أعيان مصر وكان المعلم المذكور ناظراً على كنيسة السيدة المعروفة بدير العدوية (بخط حلوان) وقد أعانته القدرة الإلهية بشفاعة القديسة الطاهرة العذراء مريم على القيام بعمل عمارة تامة لهذا الدير جعلته فى أحسن

ولم يكتف بذلك بل كان يقوم بعمل الخير فى الكنايس ويساعد الفقراء فى مدة حياته حتى نال رضاء البابا بطرس السادس عليه ونال الأجر والصواب من رب الأرباب.

١٥ . ابطال الطلاق عملا بالكتب المقدسة والقوانين الكنسية

ويسجل لهذا البابا قيامه بتنفيذ القوانين الكنسية والأوامر الإنجيلية فأبطل الطلاق من جملة أسباب ومضى فى ذلك إلى السنجق ابن ايواز وباحث علماء الاسلام فكتبوا له الفتاوى وأصدر الوزير الوالى فرمانا بأنه مقرر على قانون مذهبه وليس لأحد عليه معارضة وأصدر البابا بعد ذلك أمره إلى جميع الكهنة أن لا يعقدوا زواجا إلا على يده فى قلايته بعدما اعترض عليه رجل ابن قسيس كان طلق إمرأته وتزوج غيرها بدون علمه فأمر البابا بإحضاره ليفصل بينهما فأبى ولم يحضر فحرمه هو وزوجته وأباه القمص فلم يلبث هذا الرجل المتزوج أن تهرأ فمه وذاب لسانه ووقعت أسنانه ومات من تأثير غضب البابا وحرمه. وخاف أبوه القمص من أن يحل به ما حل بابنه فأتى إلى البابا واستغفر وبعد أن تزود بالحلّ البطريركى مات (نيل ابن الراهب ص ٢٤٦"أ" و٢٤٧ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ ص٢٦).

١٦ . أخلاق البابا بطرس السادس

وكان هذا البابا القديس وديع الأخلاق وسمح النفس بسيط المأكل والمشرب مثل سلفه الصالح البابا يوأنس السادس عشر وكان يقتدى به فى جميع أعماله الخيرية والدينية كما كان كثير الرحمة والرأفة لأنه كان يتشبه بسلفه العظيم فى كل تصرفاته وكان الشعب فى عصره يتخذه قدوة صالحة له فكانوا يتسابقون فى عمل الخير وقد امتاز عليهم فى هذا المضمار الخيرى المعلم جرجس أبو شحاته الذى كان من ناحية ابنود بالصعيد وجاء وتوطن بمصر وكان رجلا أرملا تزوج بشقيقة المعلم لطف الله أبى يوسف فكان قوياً فى تأدية الحسنات وصنع الخيرات مع الفقراء والكهنة وغيرهم وكان من كل ذلك ماله عند السناجق والاغوات بمصر ولما انتقل من هذا العالم وجدوا عليه ديون كثيرة نيح الله نفسه وأسكنه فردوس النعيم. وقد كانت نياحته فى أيام انتشار الوباء بعد نياحة البابا بطرس (كتاب ١٥

١٧ . نياحة البابا بطرس السادس

ولما أكمل هذا البابا القديس سعيه على أحسن حال مرض مرضاً قليلاً وتنيح بسلام فى يوم ٢٦ برمهات سنة ١٤٤٢ش الموافق ٢ أبريل ١٧٢٦م فى أيام سلطنة أحمد الثالث العثمانى بعد أن أقام على الكرسى البطريركى مدة سبع سنوات وسبعة أشهر واحدى عشر يوما وخلا الكرسى بعده مدة تسعة أشهر واحدى عشر يوما.

وقد احتفلت الأمة القبطية بجنازته احتفالاً مهيباً وقامت بدفنه فى المقبرة المخصصة للآباء البطاركة القديسين فى بيعة القديس العظيم مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة.

١٨ . شوطة الوباء بمصر عقب نياحة البابا

وقد جاء فى كتاب رقم ٥٩٨ طقس بمكتبة دير أنطونيوس أنه فى سنة ١٤٤٢ش التى تنيح فيها البابا بطرس السادس الملقب بالأسيوطى فى أيام الصوم الكبير وقع على البلاد وباء شديد تنيح من جرائه أساقفة وقسوس كثيرون واشتد فتكه بالناس حتى خربت القرى والبلاد وهجرت الناس المزارع وتركت الزرع فى الحقول حتى أصبح الموت عاما شاملا لبلاد القطر من شاطئ البحر الأبيض إلى أسوان فصاروا يدفنون الناس فى الحصر من قلة الأكفان.

وفى تلك السنة تلفت زراعة القمح والحبوب فى وادى النيل وما سد إلا القليل وما جمع من الحبوب أخذه الدائنون من أصحابه، لطف الله بعباده.

وقد تأيدت هذه الحوادث بما جاء فى كتاب رقم ١٥ تاريخ ص ٣٠٤"أ" حيث جاء فيه العبارة الآتية "وكانت أيام نياحة البابا تشويطه فى البلاد".

البابا يوأنس السابع عشر
البطريرك (١٠٥)
١ وطنه ومحل ميلاده وعائلته

كان والدا هذا الأب من أهالى ملوى بالصعيد وقد رزقهما الله به فاحسنا تربيته وتعليمه إلى أن بلغ حد القامة وكان اسمه عبد السيد (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٤"أ" وابن الراهب ص٢٤٧)

٢ رهبنته واقامته قساً

ولما وصل عبد السيد لسنة ٢٥ سنة زهد العالم الزائل قاصداً دير القديس العظيم أنطونيوس وأقام فيه لأنه كان الدير الوحيد الذى ظل عامراً فى هذا الوقت فى المنطقة الشرقية. فترهب ولبس الشكل الملايكى ولما قام البابا يوأنس السادس عشر البطريرك (١٠٣) بتعمير دير أنبا بولا الذى ظل خرباً مدة ١١٩ سنة كان الراهب عبد السيد أحد الرهبان الأربعة الذين اختارهم هذا البابا للإقامة فى الدير بعد عمارته (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٤"أ" وكتاب ٣٤٣ طقس وجه ٤٣ بدير أنطونيوس).

ولما حل الراهب عبد السيد بدير أنبا بولا أجهد نفسه فى العبادة والقراءة والكتابة فلما ازداد علماً وزهداً ونما فى الفضيلة والنسك اختاره الآباء الرهبان ليكون قساً فرسم قساً مع الراهب مرجان الذى تولى البطريركية فيما بعد باسم البابا بطرس السادس من يد البابا يوأنس السادس عشر (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٤ وكتاب ٣٤٣ طقس وجه ٤٣ بدير أنطونيوس).

٣ اختياره للبطريركية

ولما تنيح البابا بطرس السادس البطريرك (١٠٤) فى ٢٦ برمهات سنة ١٤٤٢ش (٢أبريل سنة ١٧٢٦م) ظل الكرسى بعده خالياً نحو مدة تسعة أشهر فاجتمع الآباء الأساقفة وجماعة الكهنة والأراخنة للنظر فى ترشيح من يصلح لكرسى البطريركية. وقرروا عمل قرعة هيكلية لاختيار الأصلح بنعمة الله وكان القس عبد السيد أحد المقترع عليهم فأقاموا القداس مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث سحبوا القرعة فكان اسمه هو الذى طلع فى الورقة المسحوبة فقرروا اتمام رسامته

٤ . اقامته بطريركا باسم البابا يوأنس السابع عشر البطريرك (١٠٥)

ولما حضر القس عبد السيد إلى مصر توجهوا به إلى دير القديس مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة لإتمام رسامته وفى صبيحة يوم الأحد ٦ طوبة سنة ١٤٤٣ش للموافق ١٢ يناير سنة ١٧٢٧م أقامه الأساقفة باحتفال عظيم بطريركا على كرسى الكرازة المرقسية باسم البابا يوأنس السابع عشر البطريرك (١٠٥) فى أيام السلطان أحمد الثالث العثمانى. وقد لقّبوه باسم البابا يوأنس الملوانى نسبة إلى موطنه الأصلى ملوى. (ابن الراهب ص٢٤٧ وكتاب ١٥ ص٣٠٥ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس ص ٤٣).

٥ . إبطال عادة استلام الصليب والعكاز من مقبرة السلف

وحدث بعد قسمة البابا يوأنس السابع عشر أن قاموا بفتح مقبرة البطاركة كما جرت به عادة الآباء البطاركة أن يتسلموا من يد سلفهم الصالح الصليب والعكاز. فلما نزل البابا يوأنس فى المقبرة لاتمام هذا التقليد طقطقت العظام من المقبرة فى وجهه فانفزع فى تلك اللحظة وحتم بإبطال هذه العادة قائلا لهم إن الصلبان والعكاكيز كثيرة وقد أبطلت فعلا العادة المذكورة من ذلك الحين إلى يومنا هذا (كتاب التواريخ لابن الراهب ص ٢٤٧).

وبعد انتهاء الاحتفال بالرسامة أقام البابا يوأنس أسبوعاً فى مصر ثم انتقل منها إلى القلاية البطريركية بحارة الروم (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٥).

٦ . بناء البيع فى ديرى القديس أنطونيوس وبولا

وبمجرد اعتلاء هذا البابا الكرسى الرسولى وجه همته نحو تعمير البيع والأديرة وترميمها وتكريزها. فقام هذا البابا ببناء بيعة حسنة فى دير القديس العظيم أنبا بولا أول السواح بجبل تن وطلع إليها وكرزها بيده وكان فى صحبته أنبا إبرآم أسقف البهنسا وجماعة من الأراخنة وعلى رأسهم الأرخن الكريم المعلم جرجس السروجى الذى قام بمصاريف بناء هذه البيعة من ماله الخاص وبعد ذلك بمدة تم بناء بيعة مقدسة ومايده وعمارات أخرى بدير القديس العظيم أنطونيوس على نفقة المعلم جرجس السروجى أيضاً وقام البابا بصحبة أنبا إبرآم السالف ذكره بتكريزها كما قام فى الوقت ذاته برسامة بعض القسوس والشمامسة (ابن الراهب

٧. زيارة الجوالى على النصارى فى عهده

وفى السنة التاسعة من رئاسة هذا البابا أى فى سنة ١٤٥١ش أمر السلطان محمود الأول البشتليه بزيادة الجوالى (الضرائب أو الجزية) فى أرض مصر على النصارى واليهود ثلاثة أضعاف فقرروا أن يقوم القسم الأعلى بدفع أربعمائة ونصف فضة وستين نصف برانى أى عبارة عن أربعة دنانير والوسط بدفع مائتين ونصف فضة وخمسة عشر نصف فضة برانى أى عبارة عن دينارين ودون الوسط بدفع ما قيمته ديناراً واحداً وكذلك قبضوا من الآباء الأساقفة والرهبان والقسوس ولم يتركوا أحداً حتى الصغار الغير بالغين والفقراء والمساكين. ثم زادت بعد ذلك بمدة (ابن الراهب ص ٢٤٧ وكتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٥ وكتاب ٣٤٣ طقس ص ٤٣).

٨. حدوث الغلاء والزلازل فى البلاد

وصارت فى أيام هذا البابا شدة عظيمة وحزن عميق على الفقراء وأرباب الحرف والصناعات وفى سنتى ١٤٥٥ و١٤٥٦ش الموافقين لسنتى ١١٥٢و١١٥٣هـ حدث غلاء شديد حتى بيع الأردب المصرى من القمح بستة ذهب محبوب والويبة بشريفى ذهب محبوب وقاسى بذلك الشعب شدايد صعبة وخصوصاً فقراء النصارى الذين ذاقوا الأمرّين هام من الغلاء الفاحش وهام من طلب الجوالى بلا رحمة وكان بمصر يومئذ أراخنة محبون للمسيح أمثال المعلم نيروز والمعلم رزق الله البدوى والمعلم بانوب الزفتاوى وغيرهم كانوا يقومون بخلاص الفقراء من النصارى من حبس الجزالى ويسددون المطلوب منهم.

وفى آخر أيام هذا الغلاء صارت زلزلة عظيمة بمصر فى منتصف الليل بمقدار ساعة حتى زعزعت أساسات الأرض وارتجفت الناس وسقطت عدة محلات إلى أن لطف الله بعباده وشمل شعبه برحمته (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٥"أ" وكتاب ٣٤٣ طقس ص٤٣ وابن الراهب ص ٢٤٧"أ").

٩. حال المصريين عموماً والقبط خصوصاً فى عهد الدولة العثمانية

لم تكن حالة مصر فى عهد الدولة العثمانية فى أيام البابا يوأنس السابع عشر

استثناء ولا تمييز بين مسلم ولا نصرانى ولا سيما لأن الولاة الذين كانوا يأتون إلى مصر من القسطنطينية لم تطل مدة ولاية الواحد منهم أكثر من سنة وإذا سمح له بالبقاء فى منصبه أكثر من ذلك لا يكون إلا ببذل الأموال الطائلة طمعاً فى تحصيل ما يزيد عما دفعه أضعافاً.

ومما زاد البلاد شقاءً انقسام المماليك على ذواتهم وقيامهم على بعضهم تارة وعلى الوالى أخرى فضلاً عن انتهاز أهل الفساد الفرصة للسلب والنهب وسفك الدماء للشعب والوديع ولا سيما سطو العرب المعروفين بالهواره من وقت لآخر.

وبينما كان المماليك يقاتلون بعضهم فى مصر أو يحاصرون الوالى فى القلعة كان العرب يهجمون على البلاد وينهبون البيوت ويقتلون الرجال ويسبون النساء.

وقد انتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة أخميم فى الوجه القبلى وكان معظم سكانها من النصارى أهل الكد والعمل ونهبوها وخربوها وقتلوا الكثيرين من أهلها.

وقد أفاض الكلام على هذا الاختلال فى البلاد سوء تصرف الحكام والولاة المسيو ميلييه قنصل فرنسا والمؤرخ المشهور الجبرتى والرحالةى نيكوك الانجليزى الذى أتى إلى مصر سائحاً فى سنة ١٧٣٧م وأقام بها بضعة شهور وإذ كانت الحال فيها هادئة تمكن من الطواف فى جملة بلاد منها ولكنه قال فى كتابه الذى وضعه عن هذه الزيارة "إنه قلما كان يمضى يوم لم يسمع فيه بموت أحد الأمراء وزعماء المماليك مسموماً ولذا لم يأمنوا لبعضهم". ولا يخفى أن أهل مصر عموما لم يأمنوا فى ذاك الزمن على أعراضهم ولا أموالهم حتى ضرب الفقر أطنابه فى جميع أنحاء القطر بسبب سوء تصرف الحكام وفوضى الامن العام.

أما حال القبط فكانت هادئة نوعاً فى أول أيام هذه الدولة العثمانية لرفع الاضطهاد عنهم وتشاغل المبغضين لهم من المسلمين بسبب الكوارث التى كانت تتساقط عليهم من وقت لآخر عن تحريض الحكومة ورجالها على الايقاع بهم أو اكراههم على الاستسلام وعاشوا كل هذه المدة مع أخوانهم المسلمين على أحسن حال مشاركين لهم فى السراء والضراء غير أنهم كانوا يزيدون عنهم فى

فى أيام السلطان محمود العثمانى وكانوا من تعسفهم يلزمون البابا يوأنس فى سنة ١٧٣٣م بدفعها عن القسوس وخدام الدين.

ولما فسدت الحال واختل النظام واستولى عرب الهوارة على معظم بلاد الوجه القبلى انتمى القبط اليهم فادخلوهم فى ذمتهم وحماهم فصار القبطى يخاطب العربى المنتمى إليه "ببدويي" والعربى يسمى القبطى الذى تحت حمايته "بنصرانى" وهكذا كانت عيشتهم فى هذه المدة راضية نوعا لا يكدرها إلا الحوادث والرزايا التى كانت تطرأ أحيانا بسبب اختلاف الاحوال عامة.

وكان الكشاف والسناجق وكبار المسلمين وعظماؤهم فضلاً عن الولاة والحكام جعلوا القبط موضع ثقتهم وسلموهم إدارة مصالحهم والإشراف على أشغالهم ومسك حساباتهم فقاموا بها أحسن قيام وكثيراً ما كانوا يكنون بأسمائهم فيقولون المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الألفى والمعلم منقريوس المورهلى وغير ذلك نسبة لمخدوميهم.

ولما آنسوا منهم الصداقة والأمانة أودعوهم أسرارهم فحفظوها واستشاروهم فى بعض أمورهم الهامة فوجدوا فى آرائهم الخير والصواب وعرف عقلاء المسلمين أهمية الأقباط والاحتياج إليهم فقدروهم حق قدرهم وأدخلوهم فى حمايتهم ومنحوهم مزية المساواة بالافرنج وغيرهم الذين كانوا يعيشون فى مصر تحت حماية دولهم كما ذكره أبو ذقن المنوفى فى كتابه المتقدم ذكره فيما سبق (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص ٢٦١ إلى ٢٦٥).

١٠. بعثة المرسلين الكاثوليك فى مصر ومنع تعديها على حقوق البطريرك

ولما كثر عدد المرسلين الكاثوليك فى أثناء الجيل الثامن عشر للميلاد وتوطنوا فى بعض بلاد الوجه القبلى انضم إليهم بعض الأفراد من القبط ونتج من ذلك حدوث نشوز بين أفراد العائلات وانقسام بسبب التركات والزواج. فاشتكى كبار الكتاب لمخدوميهم الامراء من سوء تصرف قسوس اللاتين وتعديهم على حقوق بطريركهم وعقد لذلك مجلس بحضورهم وحضور البطريرك وقسيس اللاتين الكاثوليك بالمحكمة الكبرى الشرعية وبعد سماع أقوال المشتكين واحتجاج المشتكى عليهم تقرر "التصريح لبطريرك الأقباط باستعمال سلطته الدينية على

تادرس بك شنوده المنقبادى صاحب جريدة مصر على هذه الحجة وقام بنشرها فى جريدته بالنص الآتى:

١١ .صورة الحجة الشرعية الصادرة من المحكمة الكبرى بمصر المحمية بتاريخ غرة محرم سنة ١١٥١ هـ. ١٥ برمودة سنة ١٤٥٤ش ٢١ أبريل سنة ١٧٣٨

هو أنه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا الأمير إبراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة وحضرات الأمراء الذين انعقدت الجلسة بحضورهم (وقد ذكرت أسماؤهم بالكامل فى هذه الحجة).

وبعد أن رفع كل من المعلم رزق الله ولد النمى إبراهيم بدرى النصرانى اليعقوبى بخدمة مير اللوا الأمير إبراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة (وقد ذكر بعد ذلك أسماء الأقباط الذين رفعوا الشكوى للمحكمة من جور المرسلين الكاثوليك وعددهم أربعة وعشرون شخصاً) وغيرهم من النصارى اليعاقبة القبطية والقسيسين والرهبان. يشتكون من أن جماعة من النصارى اليعاقبة القبطية مخالفون لملتهم وبطريركهم والقسيسين ورهبان اليعاقبة القبطية وأن المخالفين المرقومين يريدون الذهاب إلى الافرنج الغير القبطيين ليدخلوا فى ملتهم لعدم دفع الجزية وان المعلم يوحنا بطريرك النصارى اليعاقبة القبطية (ويقصدون البابا يوأنس السابع عشر) ينهى الجماعة القبطيين المرقومين عن ذلك مراراً فلم ينتبهوا ولم يسمعوا لقوله.

وإن القانون المتعارف بينهم إن كل من خالف بطريركهم يكون مغضوباً عليه ويلزم الأدب اللايق بحاله. وإن حصل التوافق والتراخى بين طايفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين. وكبيرهم أن كل من خالف ملته وكان قبطى وانتقل من ملة القبطيين إلى ملة الافرنج وثبت ذلك عليه بالوجه الشرعى يكون على الامواء السناجقة واغوات البلكات وكتخدا البلكات واختياریاتهم الخروج من عهدة من ينتقل من النصارى اليعاقبة المرقومين إلى ملة الافرنج والخروج عن حقه وتأديبه بما يليق بحالة زجر له ولامثاله باعتراف كل من طايفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الاعتراف المرعى كما التوافق والتراضى المرعيين.

فى غرة محرم الحرام افتتاح سنة احدى وخمسين ومائة والف.
الامضآت : محمد عبد الرازق
محمد على حنفى
على على عبد النبى
محمد فواكه
محمد خلاف
حسن على أحمد

وكذلك القبط قد التزموا خطة الاعتدال فى سلوكهم وأقلعوا عن التباهى والفخفخة ولا سيما ما كانوا يتهمون به من الترفع الذى جلب عليهم فى الأيام السابقة مصائب عظيمة كما تقدم شرح ذلك فى بابه.

١٢ . تعسف بعض كبار المشايخ ضد القبط

وعاش القبط مدة فى أمان وسلام مع اخوانهم المسلمين كإخوان تجمعهم الجامعة الوطنية لهم ما لهم وعليهم ما عليهم صابرين على الشدايد وتقلبات الزمان.

ولكن بكل أسف لم يشأ بعض كبار مشايخ المسلمين أن يكون الأقباط مساوين لهم فى حرية استعمال عوايدهم والتمتع بالحقوق الوطنية.

وقال فى ذلك أبو ذقن المنوفى:"وإذا قصد أحد الأقباط زيارة الأراضى المقدسة كان لابد له من دفع غرامتين نظير التصريح له بذلك احدهما للدولة قبل قيامه والثانية عند وصوله إلى المدينة المقدسة. وبسبب فداحة هذه الغرامات امتنع الكثيرون منهم عن "تأدية هذه الفريضة".

ولهذا مع الأسباب الأخرى التى أفضت إلى منع هذه الزيارة أو تعذر حصولها امتنع نصارى مصر مدة من الزمن عن زيارة الأراضى المقدسة (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله روفيله من ص ٢٦١ إلى ٢٦٦).

١٣ . تعيين مطران قبطى للمملكة الحبشية

تتيح الأنبا خرسطوذلو مطران المملكة الحبشية الذى أوفده الكرسى الإسكندرى فى سنة ١٧٢٠م لرعاية هذه المملكة. وكانت نياحة هذا الآب فى سنة

وكان هذا الوفد مكونا من ثلاثة مندوبين أحدهم قبطى اسمه جرجس والآخرين حبشيّى الجنس اسمهما تاوضروس وليكانيوس.

ولما وصل هذا الوفد إلى مصوع قبض عليهم حاكمها وسلب نصف ما يحملونه من النقود وأراد إكراههم على الاسلام فتمكن جرجس القبطى من الاختفاء وأطاع ليكانيوس لأمر الحاكم واعتنق الاسلام أما الثالث فتمكن بالسياسة أن يرشى حراسه بالمال فاطلقوا سبيله سراً وهرب قاصداً البلاد المصرية حتى تمكن من الوصول إلى مدينة القاهرة.

ثم تقدم المندوب الحبشى تاوضروس إلى قداسة البابا يوأنس السابع عشر وأعلمه بمهمته الرسمية فاكرم البابا ضيافته وفى الحال وقع اختيار البابا على أحد قسوس دير القديس أنطونيوس العظيم المتنورين ورسمه مطرانا باسم الأنبا يوحنا ثم بارحا القطر المصرى بعد الرسامة قاصدين الحبشة فرحين (شين ص ٢٤٧و ٢٧٠ وسنكسار أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس ص٤٣).

١٤. حدوث فتنة فى مصر

وقد قامت فى سنة ١١٥٦هـ الموافقة لسنة ١٧٤٣م (١٤٥٩ـ١٤٦٠ش) فتنة بين عثمان بك شيخ البلد والبكوات وجماعة العسكر فطلع هارباً إلى الوجه القبلى ونهبوا بيته وأحرقته الأهالى وبعد ذلك فر إلى سوريا ومنها إلى الاستانة فولى بروجه حتى توفاه الله واقتسموا أمواله وتركته بمصر وبعد قتال شديد بين البكوات تولى إبراهيم كخيا مشيخة البلد وسمى رضوان بك أمير الحج (التوفيقات الالهامية ص ٥٧٨ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٥"أ").

وبقيت مصر وأهلها فى تعب وضنك وشدايد صعبة وكانوا يبتهلون للرب كى يتحنن عليهم ويرحمهم (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٥"أ").

١٥. انتقال البابا يوأنس من العالم

وعاش البابا يوأنس السابع عشر فى شيخوخة صالحة راعيا شعبه الرعاية الحسنة ساعياً فى خير البيعة ثم اعتراه المرض مدة قصيرة وتنيح بسلام فى يوم ١٣ برمودة سنة ١٤٦١ش الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٧٤٥م بعد أن تولى على الكرسى مدة ثمانية عشر سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام فى عهد السلطان محمود

الطاهر ثلاثة من الأساقفة ودفن فى مقبرة الآباء البطاركة بكل إكرام (ابن الراهب ص ٢٤٧"أ" وكتاب ١٥ تاريخ ٣٠٥"أ" و٣٤٣ طقس ص ٤٣).

١٦ . حدوث تغيير جوى شنيع بعد نياحة البابا

وبعد نياحة هذا البابا القديس باسبوع حدثت فى الساعة العاشرة من النهار صاعقة واظلمت الدنيا وثار الغبار فى الجو وقامت رياح شديدة فى الغرب وعم الظلام وجه الأرض واشتدت الزوابع ومكثت على هذه الحال مدة ساعتين فوقع الخوف والفزع على قلوب الناس بمصر وبعد ذلك رحم الله عباده فنزل المطر وانقشع الظلام وهدأت الأحوال الجوية (كتاب ٣٤٣ طقس وجه ٤٣).

البابا مرقس السابع
البطريرك (١٠٦)

١ موطنه وعائلته

كان هذا البابا من أهالى قلوصنا من أعمال ولاية البهنسا وكان اسمه سمعان وكان من صغره يميل إلى العزلة كما كان شديد الميل إلى المعيشة النسكية زاهداً فى العالم لأنه كان مملوءاً من نعمة الله. أما عائلته فلم يعلم عن تاريخها شئ إلا أنه يتبادر من أخلاق سمعان إنها كانت عائلة عريقة فى المسيحية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٥"أ" وابن الراهب ص ٢٤٧).

٢ رهبنته واختياره للبطريركية

ان استعداد الشاب الصغير سمعان إلى الدخول فى سلك الرهبنة دفعه إلى هجر أهله وعشيرته وهو شاب صغير السن فقام إلى دير القديس العظيم أنطونيوس زهداً منه فى العالم وحبا للحياة النسكية وللمعيشة الروحانية.

وكان يتردد بين هذا الدير ودير القديس العظيم أنبا بولا أبى السواح ولبس اسكيم الرهبنة واستحق بأخلاقه وتواضعه وعيشته النسكية الطاهرة واجتهاده فى الدرس والتحصيل وزهد العالم أن يكون كاهناً فرقاه البابا إلى هذه الرتبة الكهنوتية.

ولما تنيح البابا القديس يوأنس السابع عشر ظل الكرسى خالياً فترة قصيرة

٣ اقامته بطريركا باسم البابا مرقس السابع البطريرك (١٠٦)

ولما اتفقت كلمة المجمع والأراخنة على ترشيح القس سمعان المذكور للبطريركية أرسلوا وفداً من مصر إلى دير القديس أنبا بولا حيث كان يقيم فيه وقتئذ الراهب المذكور وأحضروه قسراً إلى مصر القديمة وأقاموه فى كنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس أبى سيفين. وفى صباح الأحد الرابع والعشرين من شهر بشنس سنة ١٤٦١ش الموافق ٣٠ مايو سنة ١٧٤٥م رسموه بطريركا على كرسى الكرازة المرقسية باسم البابا مرقس السابع البطريرك (١٠٦) فى أيام السلطان العثمانى محمود الأول.

وبعد أن تقبل التهانى من أعيان الأمة المصرية ورجال الدين والدولة واستراح قليلا فى دير أبى سيفين توجه إلى مركز البطريركية فى حارة الروم (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٦ وابن الراهب ٢٤٧"أ").

٤ . حالة البلاد فى أيامه

وتمتع البابا بهدءو الحال فى مصر فى بحر السنتين الأوليتين من تاريخ رسامته حيث لزمت العساكر فى هذه المدة الهدوء والسكينة. وبعد ذلك قامت فتنة كبيرة بين صفوف العساكر قتل فى أثنائها خليل بك أمير الحج وعلى بك الدمياطى الدفتردار وعمر بك غيطاس ومحمد بك زاده. وهرب جماعة من الأمراء والسناجق إلى الصعيد وهم الأمير عمر بك وأخوه على بك وحسن بك تابع إبراهيم بك وعمر بك حاكم جرجا وأقاموا مدة ثمانية شهور بالصعيد وذلك فى سنة ١١٦١هـ الموافقة ١٤٦٤ش وأطلق على هذه الفتنة اسم فتنة الدمايطة ورئيسهم على بك الدمياطى والقطامشة ورئيسهم إبراهيم بك قطامش (التوفيقات الالهامية ص ٥٨١).

وبعد ذلك اهتم بالأمراء والبكوات فى الصعيد شيخ العرب همام ومونهم بالقمح والدقيق والعسل والمسلى وأرسلهم إلى بلاد الحجاز فى المراكب من مينا القصير وبعد ذلك استمرت الفتنة إلى أن انتصر الدمايطه ورحم الله عباده وأزال الشدة عنهم (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٦).

٥ . منع الأقباط من زيارة بيت المقدس فى عيد القيامة

حكومة البلاد فى السماح لهم بتأدية هذه الزيارة المباركة ولكن بعض أكابر المشايخ المسلمين تصدوا لهم فى السماح بذلك فخابت مساعيهم.

وقال الجبرتى المؤرخ الشهير فى تاريخه:"ومن حوادث هذه السنة أيضاً أن النصارى الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس. وكان كبيرهم إذ ذاك نوروز كاتب رضوان كتخدا. فكلم الشيخ عبدالله الشبراوى فى ذلك وقدم له هدية والف دينار فكتب له فتوى وجوابا ملخصه أن أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم وزياراتهم.

فلما تم لهم ما أرادوا وشرعوا فى قضاء أشغالهم وتشهيل أغراضهم وخرجوا فى هيئة وابهة وأحمال ومواهى وتختروانات فيها نساؤهم وأولادهم ومعهم طبول وزمور ونصبوا لهم عرضيا عند قبة العزب. وأحضروا العربان ليسيروا فى خفارتهم وأعطوهم أموالا وخلعا وكساوى وانعامات وشاع أمر هذه الحادثة فى البلد واستنكرها الناس.

وحضر الشيخ عبدالله الشبراوى إلى بيت الشيخ البكرى كعادته. وكان على أفندى أخو سيدى بكرى متمرضا فدخل إليه يعوده فقال له:"أى شئ هذا الحال ياشيخ الإسلام؟ كيف ترضى وتفتى النصارى وتأذن لهم بهذه الأفعال ألكونهم أرشوك وهادوك" فقال:"لم يكن ذلك" قال:"بل أرشوك ألف دينار وهدية وعلى هذا تصير سنّة ويخرجون فى العام المقبل بأزيد من ذلك ويصنعون لهم محملا ويقال حج النصارى وحج المسلمين وتصير سُنّة عليك وزرها إلى يوم القيامة:"فقام الشيخ وخرج من عنده مغتاظا وأذن للعامة فى الخروج عليهم ونهب مامعهم. وخرج كذلك معهم طايفة من مجاورى الأزهر. فاجتمعوا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصى والمساوق ونهبوا ما معهم وجرسوهم ونهبوا أيضاً الكنيسة القريبة من الدمرداش (دير أنبا رويس بالخندق) وانعكس النصارى فى هذه الحادثة عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ما صرفوه وانفقوه فى الهباء (الجزء الأول من كتاب عجايب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ص ١٩٥ ضمن حوادث سنة ١١٦٦هـ).

وفى سنة ١٧٥٣م أيضا أحضر بطريرك الملكيين مرسوماً سلطانياً بمنع

مبلغا عظيما من المال واستمر نصارى الشوام يدخلون كنايس الافرنج (الجبرتى ص ١٩٤ و١٩٥جزء أول).

٦ . فشل الكاثوليك فى ضم الكنيسة القبطية إلى الكنيسة الرومانية

ولما تولى البابا بنيديكترس الرابع عشر على كرسى روميه قفل باب المخابرات الودية التى استمرت جارية مدة طويلة بين باباوات روميه وائمة الأمة القبطية ولكن بدون فائدة إذ تمسك الأقباط بكنيستهم العقيدة الارثوذكسية ولم يحيدوا عن تعاليمها ورفضوا كل شئ يخالفها وأبوا قبول دعوة روميه بتاتاً.

وكان بمدينة القدس قس قبطى كاثوليكى يسمى أثناسيوس فرسمه البابا مطرانا على مصر غير أنه لم يتمكن من الحضور اليها وكان ذلك نحو منتصف القرن الثامن عشر للميلاد فى أيام البابا الاسكندرى مرقس السابع.

وبعد رسامة هذا المطران الكاثوليكى مضى كل أيام حياته بأورشليم حيث لم يجسر على الاقامة فى أرض وطنه خوفا من اضطهاد أقباط مصر الارثوذكسيين له فاقام نيابة عنه فى مصر قساً يسمى يسطس المراغلي.

وكان بين التلاميذ أبناء الأقباط الذين انضموا للمذهب الكاثوليكى وأرسلوا إلى روميه ليتعلموا فيها تلميذ يسمى رفائيل الطوخى فرسمه البابا بنديكتوس أسقفاً على ادفينا بالوجه القبلى فى مديرية بنى سويف ولكنه لم يستطع أيضاً الاقامة فى مصر بسبب تصدى ومعاكسة الأقباط الارثوذكس له.

وكان هذا الأسقف الكاثوليكى قد تربى تربية حسنة فى مدارس روميه وتقدم تقدما باهراً فى العلوم والمعارف فأراد البابا الانتفاع بعلمه وخبرته خصوصاً بعد أن رأى عدم استطاعة ذلك الاسقف الاقامة فى الديار المصرية خصوصا من شدة معاملة أقباط مصر له فدعاه البابا إلى روميه وأناطه بالمساعدة فى طبع ونشر الكتب القبطية الموجودة منها نسخ كثيرة قديمة مخطوطة ومحفوظة بمكتبة الفاتيكان مركز رئاسة اسقفية روميه.

وقد قام الاسقف روفائيل أثناء وجوده فى روميه بترجمة جملة كتب من اللغتين اليونانية واللاتينية إلى اللغتين العربية والقبطية ومراجعة الكتب الطقسية التى اهتمت روميه بطبعها فى ذاك الحين (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله

٧. ذكصولوجية واطس تقال وقت حضور البابا مرقس السابع

الكوكب المضئ على قطيع المسيح العظيم رئيس الكهنة أنبا مرقس البطريرك لأنك ثبت لنا ناموساً بالفضائل الكاملة وحفظت الوصايا المكتوبة فى الإنجيل أكملت كل الفضائل وشاع اسمك فى كل مكان. لانك صرت طبيباً مشفى لانفس طالبى المسيح. ظهرت لنا بلميعك وأعطيتنا تهليل عظيم بالخدمة المقدسة وبالحياة التى ليسوع المسيح تباركت بك كل قبائل الأرض وبلغ كلامك إلى أقطار المسكونة. أولمرك المستقيمة ضربت فى قلوب الهراطقة مثل سيف ذو حدين من قبل قوة الثالوث. فلهذا نعظمك مع المرتل داود قائلين: انك أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملشيصاداق. كل ركبة تجثو للرب وكل لسان يباركه. ومجد الله قد اتسع وملأ وجه المسكونة. فاطلب من الرب عنا أيها الطاهر رئيس الكهنة الأنبا مرقس السادس والماية ليغفر لنا خطايانا أمين (كتاب ترتيب الابوغالمسيس والمردات والالحان بكنيسة السيدة العذراء بحارة زويله رقم ١٦٥ عمومى و١٢٣طقس).

٨. رسامة مطران لإثيوبيا

ثم أرسل ملك الحبشة تكلا هيمانوت الثانى فى سنة ١٧٧٠م وفداً من قبله لرسامة مطران للحبشة بدلا من المطران المتنيح الانبا يوحنا الذى رسمه البابا يوأنس السابع عشر فى أواخر أيامه. فحضر الوفد الحبشى إلى مصر واحتفى البابا ورسم لهم الأنبا يوساب مطراناً على الحبشة فى شهر هاتور سنة ١٤٨٥ش (شين ص ٢٤٧و٢٧٠ ــ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧)..

رسامة مطران على الوجه القبلى

وأقام هذا البابا على الوجه القبلى مطرانا اسمه بطرس محافظة على رعيته فى الصعيد ليقوم برعاية قطيعه الصالح خوفا عليهم من الذئاب الخاطفة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧).

٩. استراحة البابا فى دير العدوية بضواحى مصر

وقد قاسى البابا مرقس فى أيامه الأخيرة أهوالا وشدايداً لا يحصى لها عدد تارة من الحنفاء وتارة من الشعب الملتوى المعوج مما يطول شرحه وكان قداسته

١٠. نياحة البابا مرقس السابع فى دير العدوية

وقد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فإنه فى أثناء وجود هذا البابا الوديع الهادي والقديس الطاهر فى دير السيدة العذراء بالعدوية فاضت روحه الطاهرة فى الساعة الثانية من يوم الخميس ١٢ بشنس سنة ١٤٨٥ش الموافق ١٨ مايو سنة ١٧٦٩م والذى صادف فيه عيد تذكار القديسة العفيفة العذراء دميانة وعيد رئيس الملايكة ميخائيل والبطريرك الشهيد يوحنا فم الذهب.

وفى ساعة خروج روحه الطاهرة نظر هذا البابا فوجد أمامه أنبا بولا وأنبا أنطونيوس العظيمان يشجعانه فى هذه اللحظة الدقيقة ويستقبلانها (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٦"أ").

نقل جثمان البابا إلى مصر فى دير القديس مارجرجس

وبعد اتخاذ الاجراءات اللازمة نقل جثمان البابا القديس مرقس السابع من دير العدوية باحتفال عظيم حيث قام بحمله على اكتافهم الاخوة المسيحيين إلى دير الشهيد العظيم كوكب الصبح المنير العظيم فى الشهداء البطل مارجرجس بدير البنات.

وباتت الجثة الطاهرة تلك الليلة تحت أيقونة هذا البطل الشهيد مارجرجس وظلوا يصلون عليه ويتلون البشاير والمزامير الكبار طول الليل (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٦"أ" وابن الراهب ص ٢١٧"أ").

١١. الاحتفال بجنازة البابا من دير مارجرجس إلى دير القديس مرقوريوس أبى سيفين

وفى صبيحة يوم الجمعة ١٣ بشنس سنة ١٤٨٥ش حضر الآباء وعلى رأسهم الأنبا يوساب مطران الحبشة والأنبا بطرس مطران الوجه القبلى وكل القمامصة والقسوس والأراخنة والمعلمين وكل الشعب المسيحى سايرين على الأقدام حاملين أمامه المجامر بالبخور الذكية الرائحة والأطياب الفاخرة سايرين أمام جثمانه الطاهر محمولا فى تابوته على أكتاف الشعب من دير القديس مارجرجس الشهيد العظيم محب أبويه إلي دير القديس مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة وبعد تأدية واجبات الصلوات الخاصة بتجنيز الآباء البطاركة وضع الجسمان فى مقبرة

نياحته فى أيام السلطان مصطفى الثالث (كتاب ١٥ تـــاريخ ص ٣٠٦"أ" و٣٠٧"أ" وابن الراهب ص ٢٤٧"أ").

البابا يوأنس الثامن عشر
البطريرك (١٠٧)
١ موطنه وعائلته

كان البابا يوأنس الثامن عشر من أهالى الفيوم من عائلة مشـــهورة بـــالتقوى والصلاح وكان اسمه يوسف وقد تربى من صغره التربية المسيحية الحقة فـــاثرت فى نفسه حتى جعلته يفكر فى أن يهجر العالم ويلجأ إلى الأديرة ومعيشتها النسكية الهادئة لحبه فى العزلة منذ صغره ولما بلغ من العمر خمس عشر سنة قرر نهائياً اعتزال العالم والالتجاء إلى الأديرة (سلاح المتسلحين ص ١٤٢"أ" للأبح).

٢ رهبنته

ولما اختمرت فكرة الرهبنة فى عقله هاجر إلى دير القديـــس العظيـــم أنبـــا أنطونيوس أب الرهبان فقبلوه فى الدير واستمر فيه عائشاً المعيشة النسكية الجافـــة مؤدياً واجباته الدينية وأعماله مع اخوته فى الدير على أحسن حال حتى اكتســـب محبة الجميع وكان لا يبارح الدير حباً للانفراد وكان نشيطاً فى الصـــلاة مثـــابراً على البحث فى الكتب المقدسة ومطالعة أقوال الآباء. وكان يواصل الســـهر فـــى الليالى هاجراً مجتمعات الناس مفضلاً عيشة الخلوة مبغضاً للاختلاط بالناس وكان يسعى بين أقرانه الرهبان فى إزالة الخصومات التى كانت تقع بينـــهم حبـــاً فـــى السلام ورغبة منه فى دوام الصلح بين الإخوة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧"أ" وابن الراهب ص٢٤٨ وسلاح المتسلحين ص١٤٣).

وكان يثير عليه ابليس حروباً من الداخل ومن الخارج فكان يتذرع بـــالدموع والصلاة ويضرب الأعداء بسيف الإيمان وقوة الله سبحانه وتعـــالى قـــائلاً أمـــام الرب:"أنت تعلم ياإله خلاصى أنى عبد بطال وليس لى قوة على الحروب فاحمينى لأن لك الغلبة واكليل النصر كما لك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس إلـــى كمال الدهر أمين".

نجاحا بديعاً حتى إنه قال عن ذاته:"انى لم أر ذاتى يوما قد دخلت إلى قلايتـــى أو نمت ليلتى وسمعت عن أحد الاخوة أنه حصل عنده حزناً أو عربسة من الحـووب الشيطانية إلا وكنت أمضى إليه وأعزيه وأقوّيه وأفتديه بذاتى حتى يتعزى فاتركـه وأمضى إلى مسكنى وإن كنت لا أراه يتعزى وترتفع عنه الأحزان المسيطرة على أفكاره فألبث مقيماً عنده تلك الليلة وأحياناً أواصل الليل بالنهار إن كان ذلك ممكنـاً ومؤدياً لتهدئة أفكاره وزوال الاحزان التى تكتنفه" (سلاح المتسلحين ص١٤٣"أ").

٣ ترشيحه للبطريركية

ولما نظر الرب علام الغيوب وفاحص القلوب مختبر الارواح ما كان عليـــه هذا القس من الورع والتقوى والعلم والتواضع أعده جل جلالـــه ليكـون رئيسـاً للكهنوت.

فلما تنيح البابا مرقس السابع البطريرك (١٠٦) وظل الكرسى البطريركـــى خالياً ما يقرب من خمسة أشهر اجتمع مجمع الآباء الأساقفة والأراخنة للبحث فـى إقامة خلف له فاجتمعت كلمتهم عىل انتخاب المختار من الله الأب يوسف الفيومى موطناً والأنطونى رهبنةً فقام وفد من مصر وأحضره قوة واقتداراً لأنه كان ممتنعاً ولما وصلوا به مصر أقاموه فى كنيسة القديس الشهيد مرقوريوس أبى سيفين تهيئةً لرسامته بطريركا (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧"أ" وابن الراهب ص ٢٤٨).

٤ . رسامة الراهب يوسف بطريركا باسم البابا يوأنس الثامن عشر

وفى صبيحة يوم الأحد المبارك ١٥ بابه سنة ١٤٨٦ش الموافق ٢٣ أكتوبـر سنة ١٧٦٩م تمت رسامة القس يوسف الفيومى بطريركا باسم البابا يوأنس الثـامن عشر البطريرك (١٠٧) فى عهد السلطان مصطفى الثالث العثمـــانى (كتـــاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧"أ" وابن الراهب ص ٢٤٨).

٥ . أخلاق البابا يوأنس ووداعته

وقد كان من معاصرى البابا يوأنس الثامن عشر الأسقف اللاهوتـــى القديـر الأنبا يوساب الابح أُسقف جرجا فقال هذا الأب الورع فى كتاب سلاح المتسـلحين عن أخلاق البابا المذكور ما يأتى:

"جلس البابا يوأنس فوق الكرسى خجلاً يستحى من الشيخ ويخجـل أن يكلـم

أنت تعرف ياربى أنى إنسان حقير ولست مستحقاً أن أُدعى لأحقر النـــاس عبـداً فكيف أنى أسمع من كافة الناس أنى أب وسيد لهم".

"ومع هذا القول كان يختفى عن الجموع ويستعمل النوح والبكاء قائلا:"يـارب أنت جعلتنى رئيساً على هذا الشعب ولست أنا بمستحق أن أكون راعيا. لكن أنـت يارب ارعاهم وسوسهم لأنهم شعبك وغنم رعيتك".

"وقد كان ذلك البار متواضعا للغاية. ولما رأى الإله الرؤوف تواضعه أرسل إليه نعمة البارقليط وملأه من كل الفضائل حتى أنه صار مترجمـاً لكـل الكتـب مفسراً لكامل ألفاظها متشبهاً بنوح البار بالسهر فى أيام عمل السفينة وهكذا صـار منذراً لنا فى كل أيام رئاسته (ص١٤٣-١٤٤).

٦. الشدايد التى لقاها فى مدة رئاسته

وقد نالت هذا البابا الوديع شدايد كثيرة من مأمورى الأحكام ولاســيما مـن حسن باشا القايد التركى الذى أمر بضبط خزانته وأخذ أموال البطريركية الأمـر الذى اضطره إلى أن يتوارى ويختفى هرباً من ظلم الحكام وجور الـولاة الذيـن اتعبوا المسيحيين وشددوا الوطأة عليهم واثقلوا كاهلهم بنير الضرايـب المـتزايدة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧).

٧. المعلم لطف الله أبو شاكر ناظر دير القديس أنطونيوس العظيم

وكان ممن اشتهروا فى أيام البابا يوأنس المعلم الكبير لطف الله أبـو شـاكر وكان مشهوداً له بالصلاح والتقوى فعينه البابا ناظراً على دير القديـس العظيـم أنطونيوس أبى الرهبان. وكان المعلم لطف الله مهتما بعمارة هذا الدير فقام ببنـاء كنيسة الأباء الرسل وكنيسة أنبا مرقس بـالدير المذكـور وقـام البابـا يوأنـس بتكريزهما.

ولما اشتعلت نار الثورة بين المماليك فكان المعلـم المذكـور مـن أنصـار إسماعيل بك الذى كان قائماً ضد مراد بك وإبراهيم بك وكان يقوم بخدمته بكـل إخلاص.

وفى أثناء اشتعال هذه الثورة أرسل إسماعيل بك إلى المعلم لطـف الله أبـو شاكر هجانة برسالة من طرفه إلى المعلم لطف الله صديقه يستعلم فيها منه عـن

عليها فوجدوها بخط المعلم لطف الله وبعد ذلك قبضوا على المعلم المذكور وقتلوه فى ٢٧ شنس سنة ١٤٩٤ش الموافق ٢ يونيه سنة ١٧٧٨م. وفى ١٨ بؤونة من السنة المذكورة حضر إلى الدير مع عرب الجبل القافلة المعتادة وقالوا إن الشخص الذى قَتَلَ المعلم لطف الله قُتِلَ انتقاما من العزة الإلهية لروح شهيده (كتاب رقم ٢٦ وفن التاريخ وجه ٦١ بالدير).

٨. تجديد مساعى الكاثوليك لاجتذاب الكنائس الشرقية عامة والكنيسة القبطية خاصة

وبذل الكاثوليك مساعى كبيرة لاجتذاب الكنائس الشرقية إليها وعلى الأخص الكنيسة المصرية ولذلك طبعوا كتاب محاضر أعمال مجمع خلقيدونية الذى كان سبباً للانشقاق وقاموا لتوزيعه فى البلاد الشرقية والقطر المصرى ثم بعثوا بعد ذلك مندوباً من قبل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلى البابا يوأنس الثامن عشر يحمل رسالة من اسقف روميه يدعوه فيها إلى الاتحاد معه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٧"أ" وسلاح المتسلحين ص٦"أ").

٩. صورة مشروع الخطاب المقدم من روميه ليرفعه البابا يوأنس إلى بابا روميه

وقد قام المندوب البابوى المدعو برتولوماوس بالمفاوضة فى المهمة التى حضر إليها منتدبا لها من قبل بابا روميه. وقدم للبابا يوأنس صورة العريضة التى يقدمها البابا الاسكندرى لبابا روميه ونصها كالآتى:

"حاكم الحكم السماوى. أب الأنوار السمائية. الغنى فى الغاية وفى الجود والرحمة. إن من طبعه الدائم هو حنون ورحوم. الذى خلقهم بقدرته القادرة على كل شئ. وخلصهم من عبودية الشيطان الابدية بتجسد إبنه الوحيد المتجسد. وبآلامه المرهوب جداً يطلب ويريد دائما أن يدخله فى ملكه السمائى الابدى. هو الحنون الرحوم فى الغاية ليس من استحقاقنا بل من رحمته العظيمة ومن تدبيره الغير مدرك. أراد من قبل كل الدهور أننا فى هذا الزمان الأخير نجلس على كرسى مارمرقس الانجيلى تلميذ ماربطرس. ليكون منى الاتفاق والصلح والخلاص الكامل بينى وبين طايفتى معكم ياسيدنا الحبر الرومانى الكلى القداسة

فى كل حين وبكل قلوبنا نمجده ونسبحه ونشكر فضله ورحمته الإلهية. ويكون له المجد والقيمة والكرامة من جميع الخلائق.

"وإنك ياسيدنا الحبر الأعظم الذى تحكم بحكمةِ الالهى وتدير باسمه وفى شخصه كنيسته المقدسة فى الدنيا كلها وتجمع وتلم الرعية الواحدة ما بدده مكر وقوة الشيطان بهرطقات مختلفة للحق الأبدى الذى نطلب بكل قلوبنا ونتضرع إليكم بغاية طلبتنا مجثيين أمامكم أن من فضلكم وفضل محبتكم العظيمة تقبلونا مع ابروشيتنا كلها فى شركة المؤمنين وبالحل تدخلونا فى كنيسة المسيح الهنا العمومية ليكون الخير المذكور على أيدينا مثلما كان الخراب على يد أوطاخى وديسقورس اللذين رفعناهما من تذكار المؤمنين ومن كتب قداسنا مثلما يتبين لقدسكم الطاهر من صورة اعتقادنا المقدس المشروح فى ورقتنا الذى نرسله لحضرتكم على يد أبينا برتولوماوس المرسل من عند قدسكم ومستر جيين فى أثمار وصليوت وموت سيدنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح وفى محبتكم العظيمة ونستنظر عن قريب من حضرة قدسكم هذه النعمة الخصوصية.(تم).

ولما وصل مشروع الخطاب المذكور إلى يد قداسة البابا يوأنس الثامن عشر اندهش لتجاسر البابا الرومانى على ما أقدم عليه بارسال صورة خطاب يرغب فى أن يقدمه له البابا الاسكندرى الذى رفض ويرفض بكل إباء وشهامة الإنضمام إلى المذهب الكاثوليكى لشدة تمسكه بمعتقدات الكنيسة القبطية التى دافع عنها الأباء المقدسون أثناسيوس الرسولى وكيرلس عامود الدين وديسقورس المجاهد المستقيم ثم استدعى اللاهوتى العظيم الانبا يوساب الشهير بالأبح وسلمه خطاب البابا ومشروع الرد للقيام بالرد على ادعاءات رومه وتفنيد دعواها بالأدلة والبراهين وقد كان الأنبا يوساب عالماً متضلعاً فى العلوم اللاهوتية فدافع عن تعاليم ومعتقدات كنيسته بكل قوة ثم قام بتنفيذ الأوامر البطريركية بكتابة الرد على هذه الدعوة عن لسان البابا القديس يوأنس الثامن عشر وارساله إلى القس اللاتينى المذكور (كتاب سلاح المتسلحين للأبح ص ٦"أ"و٧).

صورة الرد على دعوة بابا روميه

"من يوأنس عبد يسوع المسيح. المدعو بنعمة الله ومراحمه إلى رئاسة الكهنوت تلميذ مارمرقس الرسول وخادم كرازته بكل ما اليه الكرسى الرسولى من

السلام منى إلى حضرة الأب الفاضل الراهب برتولوماوس اللاتينى الذى يدعى مرسولا بل رسولا من قبل بابا الرومانية إلى بلادنا الإسكندرية.

بعد اهداء مزيد السلام إلى حضرتكم نعرفكم أنكم أرسلتم لنا صورة جواب نكتبها إلى البابا الرومانى مضمونها أن نتبع رأى البابا وتصير كنيستنا مع كنيسته واحدة باعتقاد واحد لكى تكون أنت السبب فى إصطلاح الطوايف.

وأنى لنعجب غاية العجب من كثرة زكاوة عقلكم ودقة فهمكم الرفيع الذى لم نره فى أحد قط من مدة كبيرة وما ينيف عن ألف ومايتين سنة وما سمعنا بأن أحداً من المرسلين من قبل البابا الرومانى كتب من عنده صورة رسالة إلى أبائى البطاركة الذين سلفوا قبلنا ويعرفه فيها أن يكتبها للبابا الرومانى ويخضع له ويصير تحت اعتقاده كما صنعتم الآن أو يكون فعلتم ذلك من مراحمكم الفايضة من قلوبكم لكى تجمعوا كامل الطوايف إلى الكنيسة الرومانية أو يكون تحرك فيكم الروح البارقليط لكى تجمعوا الخراف إلى حضير واحد أو تكون إيليا المزمع أن يظهر كما قال ملاخيا النبى: زعم أن يرد قلوب الآباء على البنين والأبناء إلى أبائهم ويعد للرب شعباً مستقيما" لأنكم لما أرسلتم لنا صورة الرسالة التى نكتبها إلى البابا الرومانى قد تهيأ لى فى رسالتكم تلك انك تريد أن ترد سائر الخليقة إلى ما أنت عليه.

وقد انقسم عندى رأيكم بل عرضكم هذا إلى نوعين:

"النوع الأول" هو أن القديسين الذين تحرك فيهم الروح القدس وملأهم من كل أثمار الفضائل من أجل أتعابهم وجهادهم الذى صنعوه. كانوا يريدون أن كافة الناس تتبع رأيهم فيمشون فى طرايقهم ليصيروا مثلهم ويحصلوا على ما يحصلوه من النعم السمائية.

"النوع الثانى" هو الناس الانجاس الذين يسعون فى الرذائل وذوى البدع والشياطين نفسهم يريدون أن يجذبوا الناس إلى طريقهم ليصيروا معهم فى حالة واحدة فيما هم عليه.

ولم أعرف فى أى نوع هو ضميركم أفى الأول أم الثانى؟ حماكم الله من ذلك وأهداكم إلى الحق لأنه قادر أن يفتح عينى قلوبكم لتعرفوا الاعتقاد وتهتدوا اغلى

وفى رسالتكم لنا هل ياترى درستم سائر الكتب وفهمتم دقيات غوامضها وحققتم أن الاعتقاد الحقيقى هو عندكم حتى أردتم أن تجذبوا إليه. أو يكون بواسطة وحى من السماء أخبركم عن ذلك حتى الجأكم الأمر إلى أن تصلحوا بين طوايف المسيحيين. لأننا نحن اطلعنا على اعتقادكم فوجدناكم تقرون بإتحاد الطبايع بقولكم أن الطبايع اتحدوا وتتقضون قولكم هذا بقولكم فى المسيح طبيعتين ومشيئتين وفاعلين وقد نقضتم معنى الاتحاد لأن الاتحاد هو الوحدانية. وقد تبعتم نسطور الملحد لأن ذلك قال أن فى الميسح اقنومين وقال لاوون مرشدكم بالصورتين. وهو وليس أنا. إن إناء واحدة موضوعة للمجد والكرامة والأخرى ملقية للسب والهوان وقد بنى لكم بناء جديداً واعتقاداً محدثا وهدم ما قد بناه وعقده المجمع النيقاوى حيث قال:"من يزيد على هذه الأمانة أو نقص شيئاً منها فليكن محروماً لأن باعتقاده فى الصورتين قد صير فى المسيح الواحد من بعد الاتحاد عبداً ومعبوداً خالقاً ومخلوقاً. وقد نقض قول الأب كيرلس الكبير صاحب كرسى الإسكندرية حيث قال:"من قسم المسيح الواحد إلى فعلين أو إلى اقنومين ولم يحسن أن يتحدهما اتحاداً طبيعياً فليكن محروماً". وقال أيضاً الأب كيرلس:"من أفرق أصوات المسيح المذكورة فى الإنجيل المقدس وفى الكتب المقدسة ونسب بعضها للاهوت وبعضها للناسوت كما تعتقدون الآن زعماً فليكن محروماً".

ونسألكم عن إعتقادكم بالصورتين واقراركم بهما. ولما تقرون وتعتقدون. فإن الصورة هى القيام والخاصة. والخاصة هى الأقنوم لأن معنى الاقنوم عين خلص وغير ممكن أن تقوم صورة بغير أقنوم وأنتم تعتقدون بصورتين ثم باقنوم واحد. فإن كانت المقدمة صادقة تصير الثانية كاذبة وكذلك بالعكس.

ثم نسألكم عن اعتقادكم فى المسيح الواحد إنه إله تام وإنسان تام. ونسألكم أيضاً عن الأقنوم الواحد هل تنسبونه للإله أم للإنسان. فلابد أن تقولوا إن الإقنوم للاله خاصة فعرفونا هل هذا الإنسان ذو أقنوم أم بغير أقنوم فلابد أن تجاوبونا قائلين بنقص الإقنومية. فاجيبكم أنه أولاً عرفتمونا عن إنسان كامل ثم قلتم ثانياً لنا بنقص الإقنومية وصيرتم الثانية ناقصة للأولى. لأن الكامل غير الناقص والناقص لم يدع كاملا. وصارت السالبة نافية للواجبة. ونقضتم اعتقادكم وحدكم. وهذا محال.

ثم نسألكم أيضا عن الإنسان الذى اتحدت به الطبيعة الإلهية هل هو إنسان تام لم ينقصه شئ من الإنسانية فلابد أن تقولوا لنا إنسانا كاملا فى كل الانحاء ماخلا الخطية. كما قال بولس الرسول. فأجيبكم يامن تريد أن تدخل كافة الخليقة إلى معتقدك وأقول لك: عرفنى هل هذا الإنسان التام له أقنوم أو ينقص الأقنومية؟ فتسرعوا لنا قائلين: ينقص الإقنومية وأبطلتم ما اعتقدتموه بقولكم إنه إنسان كامل ماخلا الخطية. وقد قررتم واعتقدتم أن الإقنوم للاهوت وحده ونسيتم الناسوت بغير أقنوم. فلنحضر الآن بيننا كاروز الأمم تلميذ يسوع المسيح. تعالى الآن يابولس الإلهى وهات معك درج رسالة العبرانيين وخبرنا ماذا تقول عن المسيح الواحد زعم أنه قال باقنوم تولى تطهير خطايانا. فعرفنى يارسول البابا. ما هو معنى تولية تطهير خطايانا وبأى نوع طهرنا منها؟ فلابد أن تجيبنا قائلا لنا: إن ما طهر خطايانا إلا بصلبه وآلامه وموته. فمن جوابك هذا وإقرارك بذلك قد أدخلت الألم على اللاهوت وحده باعتقادك أن الاقنوم ينسب إلى اللاهوت وحده بقولكم إن الناسوت بغير اقنوم وأبطلتم منفعة التجسد لأنه صار على رأيكم هذا أن جميع أفعال المسيح التى فعلها لأجل خطايانا مثل الألم والصلب والموت والقيامة إنما كان ذلك جميعه بأقنوم اللاهوت بقولك أن الناسوت بغير أقنوم. وهذا من أعظم اعتقادات المحال.

ثم أسألكم عن الإنسان العام من كافة الطبيعة البشرية وما منها موجود فى العالم شخص شخص. هل يوجد منها شخص خاص بغير أقنوم فلابد أن تقولوا "لا" فاسألكم عن الإنسان الذى اتحدت به الطبيعة الإلهية هل له أقنوم أم لا. فتجيبون قائلين: ينقص الإقنومية. فقد أبطلتم ساير الكتب التى تشهد أنه أخذ ما للبشرية ماخلا الخطية ويكون مثل قولكم: أن الاله لم يتحد بطبيعتنا كاملة. بل أخذ منها شيئاً وابقى منها شيئاً مثلما تعتقدون أنتم أنه أخذ الطبيعة بغير أقنوم. وهذه الأقاويل يضحك منها ذوى العقول السليمة والفلاسفة وذوى المنطق.

ونسألكم أيضاً:"عرفونا ما معنى الطبيعة" فلابد أن تقولوا الطبيعة هى الجوهر. فاجيبكم ما معنى الجوهر فلابد أن تقولوا إن الجوهر هو جنس لذاته والجوهر والجنس ما كان فوقه جنس وتحته جنس وما كان يعم ويخص وما كان

الطبيعة البشرية يشترك معها ساير الحيوان بالجنسية ويكون مثـــل قولكـــم. لأن الاتحاد وقع بالجنس وتجنس الجنس. وإن قلتم إن الاتحاد كان بجوهر خاص مـــن عام. وذكرتم الخاصة فقد اعترفتم بالإقنوم لأن الخاصة هى الإقنوم كقولنـــا فـــى جوهر اللاهوت: إذا قلنا جوهر الإله فقد عممنا الثالوث المقدس. وإن قلنا خاصيـة الابوة فقد أعنينا أقنوم الآب وإن قلنا خاصية الحياة فقد أعنينا أقنوم الـــروح. لأن معنى الخواص هم الأقانيم ومن الحق الواضح أن الجواهر وإن شئت الطبايع فهى تحوى الأقانيم وليس الإقنوم يحوى طبايع لأن الأقنوم عين خاص لا يتكثر. فبطـل قولكم إن الإقنوم حاوى طبيعتين وبطل قولكم أيضـــاً إن الطبيعـــة التـــى أخذهـــا اللاهوت بغير أقنوم لأن الطبيعة إذا كانت عامة فهى تحوى عدة أقانيم. وإن كانت الطبيعة خاصة من طبيعة عامة فقد تحوى أقنوم واحد ولا يمكن أن تقوم طبيعـــة بغير أقنوم أو أقانيم. ولا يمكن أن تقوم طبايع كثيرة فى أقنوم واحد لأنـــه حيـث الاقنوم هناك طبيعة واحدة جزئية. لأن الجزئى غير الكلى لأن الكلى يحوى أقـانيم عدة.

ونسألكم أيضاً عن الذى صلب وقيل الحربة وجرى منه الدم والماء فهل ذلـك من الإله أم من الإنسان فلابد أن تقولوا إن الدم الذى جرى على الصليب هو مـــن الإنسان وحده وتعارضون بولس الرسول القائل إنه باقنوم تولى تطهير خطايانـــا وقوله إنهم صلبوا رب المجد. وقوله أيضاً إنه قدم ذاته عنا لله الآب ذبيحة كاملـــة بل وأبطلتم اعتقادكم بقولكم إن الإقنوم ينسب إلى اللاهوت وحده والاقنـــوم هـــو المتولى لتطهير خطايانا وصار كقولكم إن الدم الذى قطر على الصليب لا منفعـــة به لأنه دم إنسان ساذج حاشا لله من ذلك وأف على هذه العقيدة الفاسدة البعيدة عن الحق الموضوعة على الباطل.

وأما دعواكم علينا بأننا تابعون لاوطاخى ومعتقدون باعتقاده. فهو باطل لأننا نحرمه ونحرم كل من يقول بقوله لأنه أدخل علـــى طبـــايع المســـيح الاختـــلاط والامتزاج ولم يحسن اتحاد الطبايع لأن معنى الاتحاد غير الخلط فنحن نفرزه مـــن كنيستنا.

وأما دعواكم على ذلك الكوكب المنير ضياء كورة مصر والإسكندرية الرجل

مات لأجل الحق تدعون عليه أنه هو الذى حالل أوطاخى وهذه دعواكم باطلة لأنه عندكم مكتوب فى أعمال المجمع الأفسسى الثانى أنه لما قام أوطاخى الملحد أمام المجمع ليقول اعتقاده أقر قدام المجمع بلسانه أنه معتقد بالأمانة الصحيحة كما قرروها الأباء الثلثماية وثمانية عشر بنيقية وحرموا كل من يخالف قولهم ويحيد عن معتقدهم فيصير مثل سيمون الساحر ودقلا الكافر فأول من حاللـه من أعضاء المجمع استفانوس اسقف أفسس وبعده أسقف سالق وبعده فلان وفلان وآخرهم جميعهم حاللـه أبونا ديسقورس. ومن أجل أن كلام المذكور كان بمكر وأخذ الحل سرقة فمن أجل هذا بطل ذكر المجمع الأفسسى الثانى.

وأما دعواكم على الأب الفاضل أنبا ديسقورس أنه كان موافقاً لاوطاخى الملحد ليس ذلك بصحيح لأن ادعائكم عليه باطل لأنك إذا تصفحت فى الباب الحادى والعشرون من أعمال المجمع الخلقيدونى حيث قال أساقفة الشرق:"هذا هو قول أوطاخى وهكذا يقول ديسقورس" أجاب ديسقورس وقال:"إننا لا نقول بلا اختلاط ولا امتزاج ولا بالاستحالة" لأن قولنا فى المسيح وقول الأب ديسقورس "طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة" مثلما قال الأب كيرلس لأنك إذا تصفحت هذه الكلمة أو قلتها بالعكس فيظهر لك الحق جهاراً. يعنى تقول أن الله الكلمة المتجسدة طبيعة واحدة.

فقد اتضح لك الحق الآن من كلام الأب كيرلس لأن ذاك المذكور ذا الذكر الجميل أعنى الأب كيرلس ينفى ويبعد كل من يقول بالطبيعتين بعد التجسد لئلا يبطل معنى الاتحاد.

ونسألك أيضاً يامن تظن فى نفسك أنك ترد الضالين. أن تعرفنى كم طبيعة فى الإنسان الساذج لأن الإنسان قائم من جزء مائت وهو الجسد ومن جزء حى وهى النفس الحساسة ومن جزء ناطق وهى الروح العقلية. فهو حى ميت ناطق وكل حى ميت ناطق إنسان وبالعكس. فهل الجزء المائت جوهر أم عَرَض فلابد أن تقول لنا أنه جوهر لأنه من المفهوم أن جسم الإنسان ليس بعرض. وماذا تقول عن جزئى الحى والناطق فلابد إن كان لكم عقل سليم من حوادث أمراض الهوى أن تقروا أنهم ليسوا باعراض مثل شبه. وكل من هو ليس بعرض فهو جوهر. فقد

وكذلك الإنسان قائم من نفس عاقلة وجسم مائت. وقد شهد بولس الرسول وهو أصدق الشاهدين قائلا عن إقامة الروح مع الجسم أن كل واحد منهما ضد صاحبه والروح يفعل ما يضر الجسم والجسد يفعل ما يضر الروح فهل هما جوهر أو جوهران. إن قلتم أنهما جوهران فقد ظهر لنا الآن أن فى الإنسان جوهرين ثم زيد عليهما جوهر ثالث أعنى الاله الكلمة. يكون كقولكم أن فىالمسيح ثلاثة جواهر وبطل قولكم أن فى المسيح جوهرين وإن رجعتم للحق وقلتم أن الروح باتحادها بالجسد صار منهما جوهر واحد أعنى الإنسان. فهذا هو قولنا ان الطبايع إذا اتحدت فى موضع واحد صار منها جوهر واحد. لأن معنى الاتحاد أى الوحدانية. وحيث صارت الوحدانية ابطلت الكثرة والعدد لأننا نرى جسم الإنسان مكون من أربع طبائع أعنى النار والهواء والماء والتراب ومع اختلاف كيفياتهم يقام منها جسم الانسان لأن النار بالكيفية حارة وبالكمية حارة رطبة وطبيعة الماء بالكيفية باردة وبالكمية باردة رطبة وطبيعة الأرض بالكيفية يابسة وبالكمية باردة يابسة فصارت الخاصيات ثمانية فأخذنا الحرارة من النار وتركنا اليبوسة ثم الحرارة من الهواء فتركبا. ثم أخذنا البرودة من الماء مع البرودة من الأرض فتركبا ثم أخذنا الرطوبة من الهواء مع الرطوبة من الماء فتركبا. ثم أخذنا اليبوسة من النار التى تركناها أولا فتركبا فخاصية النار الصفرة وخاصية الهواء الدم وخاصية الماء البلغم وخاصية الأرض السواد وهذه الخواص متحركة فى جسم الإنسان مادام حياً. تعرّف حركاتها المتفلسفون وحكماء الجسد. وكل طبيعة تعرف بحركاتها وحدها دون غيرها. ثم بعض الاحيان تتمازج حركات الطبائع بعضها ببعض لأن الكثيف بالكثيف يتمازجان. ثم اننا بعد أن عددنا الجزء المائت نقول فى الجزء الحى. هل هو جوهر أم عرض مثلما قلنا أولا. فنقول الآن إن كان هو عرض فليس بثابت لكن نراه أعنى الجزء الحى فى الحيوان الناطق والغير ثابت دائما لحد الموت. فمن الحق الواجب أن لا يقال أنه عرض بل هو جوهر. ثم نقول عن الجزء الناطق هل هو جوهر أم عرض فإن كان يقال فيه أنه عرض كان يمكن أن يقال على الإنسان فى وقت أنه حيوان ناطق وفى وقت آخر أنه حيوان ناهق لأن الأعراض لاثبات لها بل يجب أن يقال أنه جوهر دائم البقاء والحياة صار معنا فى

القول فسد عليكم اعتقادكم بقولكم أن فى المسيح طبيعتين وأما نحن إذا أقررنا بالوحدانية أبطلنا كثرة الاعداد. لأن معنى الوحدانية أو الاتحاد تصير الأشياء المتعددة واحداً كاجتماع الطبايع التى عددناها فى الإنسان وباجتماعها فى موضع واحد صار منها جوهر واحد وهو الإنسان وكذلك قولنا فى المسيح الواحد المتألف من الطبائع المتعددة أنه جوهر واحد لأن اتحاد البسيط بالكثيف غير اتحاد الجواهر الكثيفة أو الجواهر السايلة الممتزجة لأن اتحاد البسيط بالكثيف كاتحاد النفس العقلية بالجسد الكثيف وكاتحاد النار بالحديد كما قال ماريسقورس وماركيراس. وكذلك قد نرى أشياء كثيرة تتفاضل عن بعضها بعض بالزيادة ولم نر فيها زيادة جواهر مع زيادتها على بعضها بعض ومع تضاعفها بعضها على بعض فلا يظهر منها زيادة جواهر كقولنا فى الحجر الواحد أنه جوهر واحد قائم بذاته مستغنى عن غيره من جهة قيام وجوده. كذلك نرى الشجرة متضاعفة عن الحجر بالقوة النامية ويجوز عليها القول أنها كبرت وطولت وحملت واثمرت وضعفت وماتت ومع ذلك جميعه لا يقال عليها أكثر من جوهر واحد مع كثرة ما رأيناه فيها مما شرحناه. وليس ذلك موجوداً فى الحجر بل يقال عنها أنها جوهر واحد لا يكثر. وكذلك الحيوان الغير ناطق نرى فيه قوة متضاعفة عما نراه فى الشجرة أعنى القوة الحساسة وهى حياة الحيوان. لأننا نري فى هذا الحيوان إنه يأكل ويشرب ويجوع ويعطش ويصرخ من أجل الجوع ويعرف قانيه ومزود صاحبه ويألف من يوده ويهرب ممن يؤذيه. ومع كثرة هذه الأشياء المتضاعفة عما فى الشجرة فلا يقال أكثر من جوهر واحد مثل قولنا فى الشجرة وكذلك فى الحجر وهكذا فى الحيوان الناطق نرى فيه قوة متضاعفة غير ما نراه فى الحيوان الغير ناطق أعنى القوة الناصعة لاننا نرى فى الإنسان أنه يميز الزمان ويتحايل فى العواقب ويفهم الاوقات ويتفطن فى الحساب ويحسب المستقبل ويتحايل فى الصناعات. ومع هذه الأشياء المتضاعفة عما فى الحيوان الغير ناطق فليس إنه أكثر من جوهر واحد بل هو جوهر واحد مثلما قلنا فى الحيوان الغير ناطق إنه جوهر واحد وكذلك الشجرة والحجر وكل منهما جوهر واحد وكذلك نرى فى المسيح إلهنا لذكره السجود أن فيه قوة متضاعفة عما نراه فى الانسان أى كلمة الله الأزلية المتحدة بالإنسان

انتتوا ومشى على سطح المياه كمن هو على اليابس وزجر عواطف الرياح فاسكتها وبارك على قليل خبز فأشبع منه آلافا كثيرة ومما فضل منهم أضعافا كثيرة متضاعفة عما كان أولا. وقتل الموت بخشبة وأماته وكسر أبواب الجحيم وسجن الشيطان وفتح باب الفردوس الذى كان قفله الآب فى وجه آدم من أجل أكله من الشجرة. ومع هذه الأشياء المتضاعفة التى لم نراها فى الإنسان الساذج فلا يقال فى المسيح أنه أكثر من جوهر واحد حيث أنه صار فى موضوع واحد. وإذا كان يقال فى المسيح أنه أكثر من جوهر واحد كان يجب أن نعد فيه كامل الصفات التى حددناها كالجرمية والنمو والحياة الناطقة والالهية وفى هذه المفردات يظهر لنا أنه فى المسيح خمسة جواهر وقد سبقنا وقلنا من أجل تركيب الطبائع نقول الآن من أجل اتحادها لأن الاتحاد غير التركيب حيث يصير الإنسان شيئان أو أكثر من اثنين شيئاً واحداً لأننا قد سبقنا وقلنا أن الإنسان قائم من أربعة طبائع وهم النار والهواء والماء والتراب وكل طبيعة من المذكورات ذات طرفين فاتحدت كل طبيعة بالأخرى بالجهة المنسوبة المناسبة لها أعنى الحرارة بالحرارة لأن الحرارتان إذا صارتا فى موضع واحد صار منهما شئ واحد. وكذلك اتحدت الرطوبة بالرطوبة والبرودة بالبرودة واليبوسة باليبوسة وصارت الطبائع الأربعة متحدة اتحاداً طبيعيا كل واحدة بالأخرى من جهة طرفى المنسوبة المناسبة لها. وكل طبيعة من الأربعة المذكورين لها خاصية تعرف بها باقية دايرة متحركة فى الجسم أعنى الصفرة والدم والبلغم والسودة وقد صارت الطبائع الأربعة جوهراً واحداً وإن شئت طبيعة واحدة ذات جرم لأن كل جرم جوهر ولا ينعكس أعنى ليس كل جوهر جرم. ثم نقول عن نفس الحياة أعنى النفس الحساسة الحيوانية انها ذات طرفين الأول أنها دم متحرك جرم يُسأل والطرف الثانى أنه قوة حساسة قريبة من العقل تعرف باللطافة من هذه الوجهة الأولى. والطرف الأول أعنى الدم وافق فى الجسم فى القرب والجنسية وقد اتحد بخواص الطبائع التى ذكرناها دائرة متحركة فى الجسم وهذا الجزء هو أحد طرفى النفس الحية وهو المحرك لها وهو حياة الجسم جميعه وتبقى من النفس الحية الطرف الحساس اللطيف القريب من العقل لأنه ليس فى الجسم كيفية توافقية يتحد بها من أجل هذا صارت هذه القوة

ثم إننا نرى فى النفس الناطقة خاصتين وإن شئت نوعين أعنى اللطافة والبساطة لأن النفس لطيفة روحانية كالملائكة والعقل بسيط لأنه هو صورة الله ومن أجل هذا النوع وهو العقل قال الله نريد أن نخلق إنسانا كصورتنا ومثالنا ويتسلط على جميع الوحوش وطير السماء وسمك البحر. وأما النفس من جهة لطافتها فقد وافقت أحد طرفى النفس الحيوانية التى هى القوة الحساسة واتحدت بها وبهذا النوع سمى حيواناً ناطقاً أعنى الإنسان صار فى موضوع واحد جوهر واحد وإن شئت طبيعة واحدة من جهة كل إتحاد طبيعة للاخرى بالطرف الموافق لها منها وصار الكل موضوعا واحداً حتى إننا نرى أن يصدر عن الجسم انفعالات روحانية كالوقوف فى الصلاة والركوع والسجود والتضرع بل وبالأكثر الصوم والسهر الزائد الذى يفوق طبع الجسد وهذا كله يصدر من أفعال الجسم وإن قلت لى لماذا؟ فأجيبك أنه ما يصدر عنه هذا الفعل إلاّ من أجل الروح المتحدة به اتحاداً طبيعياً أعنى اتحاد الطبيعة الأخرى بالطرف الموافق لها كما قلنا أولا.

وقد نرى أفعالا تصدر عن الروح من جهة جهر العقل لأننا نرى الإنسان فى حالة نومه تبطل حركات حواسه أعنى النظر والسمع والشم والذوق واللمس وتصير انفعالاتهم غير ظاهرة ثم إذا تحرك أحد من الزاجات الأربعة أعنى الصفرة والدم والبلغم والسودة بواسطة النفس الحية فيرى فى نومه الحركات المختلفة والصور المتغايرة ثم يرى العقل البسيط فى بعض الأحيان أنه يأكل أكلا ثم بعد اليقظة يرى فى الجسم علامة الأكل ظاهرة وبالها من عجب عجيب واتحاد طبيعى. إن العقل البسيط يأكل أكلا ويدخل تحت الانفعالات الجسمانية فهاهنا يجب أن يقال إن الروح العقلى صار جسما والجسم الكثيف فى وقت يصير روحا. والكتاب المقدس يقول عن أهل عصر نوح لما انصبّت عقولهم فى الانفعالات الجسمانية إن هؤلاء القوم صاروا لحماً ياترى كانت الروح العقلية فارقتهم؟ كلا. لكن لما انصبت عقولهم فى أفعال الجسد صاروا جسداً وكذلك إذا انجذبت الافعال الجسمانية إلى أغراض الروح فصار الجسم روحاً لأن الآباء المتقدمين الذين تمموا الفضائل دُعُوا رجالا روحانيين. ولماذا قول ذلك والكتاب المقدس يقول أنكم آلهة وبنى العلى تدعون.

جهة اللطافة التى فى النفس الروحانية وصارت النفسان نفساً واحدة ومن أجل هذا قال الكتاب:"من أهلك نفسه أحياها ومن أحياها أهلكها" ولم يقل من أهلك نفسه الحيوانية أحيا نفسة الروحانية لأنهما لما اتحدا صارتا نفساً واحدة وبقى معنا من نوعى النفس جوهر العقل باقياً ليس فى الإنسان وليس فى النوع شيئاً يوافقه حتى يتحد به من أجل هذا صار رئيساً ومترئساً على الإنسان بل وكافة المخلوقات التى تحت السماء كقول الله لآدم "إنك تسود وتتسلط على كافة البرايا أعنى بالعقل الذى هو أحد نوعى النفس العاقلة. ومع هذا جميعه الذى عددناه فى الإنسان فإنه جوهر واحد وإن شئت طبيعة واحدة. وأن خاصية نطق اللاهوت الذى هو كلمة الله الآب أعنى أقنوم الابن لما أرادت أن تتحد بالطبيعة البشرية اتحدت بالعقل الذى هو صورة الله. اتحد الإله البسيط بالعقل البسيط. اتحد اقنوم الإله باقنوم الإنسان اتحدتا اتحاداً طبيعياً لأنه حيث اتحد الأقنوم بالاقنوم اتحد الجوهر بالجوهر وحيث اتحد الإله البسيط بالعقل البسيط اتحد بالنفس والجسد معاً اتحاداً يفوق طبع البشر. حينئذ لا نغلط فى شئ إذا قلنا إن الإله صار إنساناً والإنسان صار إلها هكذا قال الإنجيل المقدس:"إن الكلمة صار لحماً" ويقول بولس الرسول أيضاً: "إن كنا عرفنا المسيح بالجسد فلسنا الآن نعرفه جسدانيا" ومن أجل هذا فلا يقال أن المسيح بعد الاتحاد طبيعة وطبيعة وندخل فى التجسد الكمية ولا نقول بالاختلاط والامتزاج كاوطاخى ولا نفرق ولا نفصل مثل نسطور ولكننا نعترف بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة مثلما قال الاب الكبير أنبا كيرلس وقد بيَّن لنا أيضاً معنى الاتحاد فى الحرم الثالث حيث قال: من فرق بعد الاتحاد المسيح الواحد إلى اقنومين وطبق بعضهما ببعض بالصحابة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان وليس باحسن يتحدهما بوحدانية طبيعية فليكن محروما.

وقال أيضاً فى الحرم الرابع: من منا ميز تلك الأصوات المذكورة فى كتب الإنجيليين أم فى رسائل الرسل أم نطق بها الآباء القديسين أم قالها المسيح على ذاته وفرزها إلى اقنومين أم إلى اثنين كل قائم بذاته ويصدق أن البعض منها لايقه لإنسان خاص وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله والبعض منها هى ملائم الله فهو يخصها إلى كلمة الآب وحده فقط فليكن محروماً.

يأكل منه يعيش إلى الأبد فأى طبيعة من اللتين تنسبهما للمسيح بعد التجسد تسمى الخبز المحيى الذى نزل من السماء إن قلت ان هى طبيعة اللاهوت الذى نزل من السماء فقد كابرت وعاندت المسيح القائل:"إن الخبز الذى أعطيه هى جسدى" والخبز المعطى منه لنا وحقيقة جسده لم ينزل من السماء. وإن قلت لا بل هو طبيعة الناسوت فقد كفرت وعاندت الحق لأن الآباء المؤيدين بنعمة روح القدس قالوا:"كل من قال إن طبيعة الناسوت نزلت من السماء فليكن محروماً" من أجل هذا لا نقول إن فى المسيح بعد الاتحاد طبيعتين أو أقنومين أو فعلين بل طبيعة واحدة وفعل واحد يصدر عن المسيح الواحد. ونسألك أيضاً عن قولك وعقيدتك فى المسيح أنه طبيعتان ويصدر عنهما فعلان وتقول إن كل طبيعة تفعل ما يختص بها وحدها فعرفنى أى طبيعة من الطبيعتين ولدتها مريم وهى بتول. فإن قلت هى طبيعة اللاهوت فقد كفرت ويكون مثل قولك أن المسيح لم يولد من مريم بالجسد ويكون المولود منها شبه وخيال وأبطلت سائر الكتب التى تشهد أنه أخذ طبيعتنا كاملة وإن قلت لا بل هى طبيعة الناسوت المولود من مريم فقد عاندت لأن مريم ولدت وهى بتول وهذا بخلاف ميلاد الطبائع البشرية لأنك قلت لنا أولا أن كل طبيعة تفعل ما يختص بها وهذا العقل ليس مختص بفعل طبيعة جسمانية لأنه لو كان فعل طبيعة جسمانية لم تكن مريم بتولاً بعد الميلاد ويطل قولكم أن فى المسيح طبيعتين وفعلين. لكنا نحن نعترف أنه مسيح واحد جوهر واحد وفعل واحد.

ونسألكم أيضاً عن عرفونا اعتقادكم فى الروح القدس. كيف تعتقدون أنه منبثق من الآب والابن وخالفتم قول المسيح القائل عن الروح القدس البارقليط:"إنه من الآب ينبثق".

ونسألكم أيضاً عن الاله هل له ذات موجودة. لابد أن تقولوا نعم. فهل هذه الذات الموجودة ذات حياة لابد من نعم وهل هذه الذات الموجودة ذات نطق. لابد من نعم. فعرفونى أيضاً هل النطق مولود من الذات أو من الحياة أو من الذات والحياة. لابد أن تقولوا مولود من الذات لأن الذات علة للنطق والنطق والحياة معلولين عن الذات. لأن النطق مولود منها والحياة منبعثة منها. وايضا عرفونا عن الحياة هل هى منبعثة من الذات أم من النطق فلابد أن تقولوا منبعثة من الذات

وصيرتم فى اللاهوت ذاتين أو يكون مثل قولكم أن الحياة ابن للذات لانكم تقولون أن الحياة مبعوثة من النطق والنطق مولود من الذات ويكون على هذا الرأى الفاسد أن الذات جد للحياة أو يكن فى اللاهوت ذاتين وجوهرين. فحمانا الله واياكم من هذه العقيدة الفاسدة. وأما نحن نعتقد:"أن الله ذات موجودة ذات نطق وحياة وأن النطق مولود من الذات وليس بوالد ولا باعث وأن الذات والد للنطق وباعث للحياة وليس بمولود وأن الحياة مبعوثة من الذات وليست بوالدة ولا باعثة. وأن الذات قائم بذاته ناطق بخاصيه النطق حى بخاصية الحياة وأن النطق قائم بالذات الوالدة له ناطق بخاصيته حى بخاصية الحياة وأن الحياة قائمة بالذات الباعثة لها ناطقة بخاصية النطق حية بخاصيتها الذى هو الآب والابن والروح القدس الإله الواحد الذى له المجد دائماً وعلينا نعمة ورحمة وبركة من الآن وإلى أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين" أ هـ (سلاح المتسلحين من ص ٤إلى ٢٠"أ").

١١ . فشل مساعى الكاثوليك فى مصر

ولما حاججهم الأنبا يوساب الأبح بالبراهين القاطعة والأدلة والايات السلطعة كما تقدم بيانه عاد الكاثوليك إلى روميه حاملين علم الفشل والخيبة فى مسعاهم أما كتاب حجج خلقيدنية الذى نال منهم كل اهتمام وتحملوا نفقات طبعه ونشره فقد اتضح لهم أنه يثبت صحة عقيدة الكنيسة القبطية الارثوذكسية ويكسبها دعواها دعايتهم الخائبة فندم البابا الرومانى على القيام بنشره وأمر بجمع ما تمكن من جمعه وحرقه وأنفق كثيراً فى سبيل ذلك (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٧"أ").

ولكن الكاثوليك لم يخلدوا إلى السكينة بعد هذا الفشل المخزى فإنهم فى أواخر القرن الثامن عشر تمكنوا من استمالة أحد كبار أئمة القبط الارثوذكس إليهم لقلة علمه وضعف مركزه بين أبناء كنيسته وهو أسقف جرجا. فقام عليه جماعة القبط قومة واحدة وكذلك المسلمون والحكام لم يستحسنوا عمله فباء بالخيبة واضطر إلى الهرب من مصر لعدم استطاعته الاقامة فيها بين أبناء الأمة الغيورين على ارثوذكسيتهم وبيعتهم المقدسة وسافر إلى روميه وبقى هناك حتى مات سنة ١٨٠٧م (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله روفيله ص ٢٦٩).

١٢ . مشاهير الأقباط فى مصر فى عهد: المعلمان رزق وإبراهيم الجوهرى

وفى النصف الثانى من الجيل الثامن عشر نبغ فى مصر رجلان قبطيان وهما المعلم رزق والمعلم إبراهيم الجوهرى وذلك فى العصر الذى ظهر فيه بمصر رجل عظيم من كبار المماليك يسمى على بك وكان هذا الرجل شديد البأس عالى الهمة اقتنى من طريق الجور والنهب ثروة طائلة فأكثر من شراء المماليك فاشتد أزره بهم وطرد الوالى من مصر وتمكن فى سنة ١٧٦٤م من استلام مشيخة البلد فى القاهرة واستقل بالأحكام والرئاسة (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧٠ والتوفيقات الالهامية ص ٥٨٩).

١٣ . المعلم رزق كبير المباشرين

وكان بين الكتاب النصارى رجل يسمى المعلم رزق كان كاتب الجمارك ويظهر إنه كان لعلى بك معرفة به من قبل وبينهما مودة قديمة فإنه لما اشتغل بالأحكام وصار هو الآمر الناهى بمصر رقاه وجعله ناظراً على دار الضرب ورفع مقامه وكان مسموع الكلمة عنده ويعّول عليه فى سائر أحواله وأموره ويعمل بحسب اشارته.

وفى أيام على بك ظهر أيضاً المعلم إبراهيم الجوهرى المشهور صاحب المآثر الجميلة والأيادى البيضاء التى سبق ذكرها فيما تقدم ويقول الجبرتى فى تاريخه أنه فى أيام على بك هذا ارتفع شأن النصارى بهذين الرجلين: المعلم رزق والمعلم إبراهيم (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧٠).

فقد جاء فى كتاب الجبرتى جزء أول ص ٣٨٤ عن مركز المعلمين رزق والجوهرى في عهد على بك ما يأتى:

"وقد بلغ كاتبه القبطى المعلم رزق فى أيامه من العظمة مالم يبلغه قبطى فيما رأينا ومن مسقاته كرع المعلم إبراهيم الجوهرى وأدرك ما أدركه بعده فى أيام محمد بك أبو الذهب وأتباعه من بعده".

كان بمدينة دمياط فى هذه الأيام رجل تاجر مشهور يسمى الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسى الأصلى اتفق حصل بينه وبين أحد النصارى التجار بهذا الثغر منافسة أدت إلى المشاحنة البذيئة فاغتاظ لذلك الحاج عمر وحضر إلى مصر

المشايخ بمعونة كبار النصارى بمصر وتواقعوا عليه وقدموا لهم هدايا فسبكوا الدعوى فى قالب آخر وقالوا ان النصرانى لم يسبه بالألفاظ التى ادعاها وأنه بعد التسابب صالحه وسامحه فخابت مساعى الحاج عمر وعاد إلى دمياط ولم يبلغ قصده.

وبعد هذه الحادثة بقليل انتهت رئاسة الديار المصرية إلى على بك فقبض على الحاج عمر ونهب داره وأمواله وأنزله فى مركب مع نسائه وأرسله إلى طرابلس الشام منفيا وبقى فيها إلى أن مات على بك (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧٠ و ٢٧١ ــ الجبرتى جزء ثان ص٩٦).

لما استقل محمد بك الشهير بأبى الذهب بامارة مصر وبعد وفاة على بك توسط له بعض المشايخ وكلمه فى شأن رجوع الحاج عمر إلى دمياط فوعده أن ينظر فى ذلك فيما بعد (تاريخ الأمة القبطية ص٢٧١).

وينسب الجبرتى نفى هذا الحاج إلى دسائس النصارى انتقاما للنصرانى الذى كان يسعى فى ايقاعه فى التهلكة دون أن يقيم الدليل الذى يؤيد هذه التهم إذ اكتفى بقوله:"إن النصارى ارتفع شأنهم فى أيام على بك بكاتبيه المعلم رزق والمعلم إبراهيم الجوهرى فعملوا على نفيه من دمياط" (الجبرى جزء ثان ص ٩٦و٩٧).

وليس الحاج عمر المذكور أول من وقع فى مخالب على بك الذى تتبع كثيرين من أمراء وأغنياء مصر مسلمين ونصارى وهدر دمائهم طمعاً فى الاستيلاء على أموالهم وأملاكهم. والظاهر أن قول الجبرتى:"أن النصارى ارتفع شأنهم فى أيام على بك" مبنى على كونه بصفته حاكما لم يسمح بإيقاع الأذى بالنصارى بمجرد ارادة أصحاب الأغراض أو بالنسبة لانتفاع الوطن والحكومة بخدماتهم نظراً لما امتازوا به من الاقتدار على ضبط الحسابات وتسيير دفة الأعمال فى دواوين الحكومة بما لم يستطع غيرهم القيام به فكان هذا موجباً لحسدهم والغيره منهم. كما أننا لا ننكر أنهم كانوا دون المسلمين فى اتقان معرفة اللغة العربية وعلومها. ومع كل ذلك لم ينج القبط من جور على بك فإنه فضلا عن المغارم التى فرضت عليهم بالاشتراك مع المسلمين خصهم بغرامة مقدارها مائة ألف ريال (الجبرتى جزء أول ص ٣٥٤).

بالإسكندرية القبض على أمتعته فاستصدر المعلم رزق أمراً من على بك بعدم التعرض له فى شئ والافراج عن أمتعته بغير دفع رسوم جمركية عليها. ولما وصل بروس إلى القاهرة أرسل إلى المعلم رزق هدية مالية نفيسة فى نظير المعروف الذى صنعه له فردها إليه مع هدية أخرى من عنده وطلب منه أن يسمح له بمقابلته بعد استراحته من عناء السفر ويريه ما معه من الآلات والمعدات الفلكية وكيفية استعمالها. وأعدّ له محلا لايقاً بجهة بابلون بمصر القديمة ليقيم به مدة إقامته فى مصر وقام له بتقديم كل ما يلزم لراحته. ولما قصد الرحيل إلى بلاد الحبش جهزه بكتاب من البابا البطريرك لملكها بالتوصية عليه وتأدية ما يلزم له. وفى أثناء وجوده فى مصر قدّمه إلى على بك فقابله أحسن مقابلة (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧٢و٢٧٣).

ولما قام محمد بك أبو الذهب مملوك على بك على استاذه وقاتله ونزع الرئاسة من يده واختص هو بها عزل المعلم رزق ويقال إنه قتله وأمر أن لا يتعامل بالنقود التى ضربت على يده فى أيام على بك (تاريخ الامة القبطية ص٢٧٣).

أما المعلم إبراهيم الجوهرى فأبقاه فى وظيفته. ولما مات محمد بك أبو الذهب استقل بالإمارة ثلاثة من الأمراء أصلهم من مماليك على بك وهم إسماعيل بك ومراد بك وإبراهيم بك. ولكن لم يلبثوا أن وقعت النفرة بينهم فعمل إبراهيم بك ومراد بك على معاكسة إسماعيل بك وكان خيرهم وإذ لم يقدر عليهما فر من أمامهما فخلا الجو لهما واقتسما الأحكام فاختص مراد بك بامارة الحج أما إبراهيم فقام بمشيخة البلد (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧٣ــ٢٧٤).

١٤ . المعلم إبراهيم الجوهرى كبير المباشرين

نشأ هذا الرجل الكامل والعصامى الفاضل. فى القرن الثامن عشر للميلاد من أبوين فقيرين متواضعين وكان اسم والده يوسف الجوهرى وكانت صناعته الحياكة فى بلدة قليوب وقد كان أبواه مملوئين نعمة وإيماناً فربياه التربية الدينية فى كتاب البلدة فتعلم الكتابة والحساب واتقنهما واشتهر منذ حداثته بنسخ الكتب الدينية وتقديمها إلى الكنائس على نفقته الخاصة وكان يأتى بما يتمم نسخه من الكتب إلى

التى قدمها إبراهيم الجوهرى وكثرة ما تكبده من النفقات فى سبيلها. فاستفسر منه عن مورد المصاريف الباهظة التى ينفقها على نساخة وتجليد هذه الكتب العديدة فكشف له إبراهيم عن حاله فسُر البابا من غيرته وتقواه وقربه إليه وباركه قائلا:"ليرفع الرب اسمك، ويبارك عملك، وليقم ذكرك إلى الأبد" وتوثقت العلاقات بعد ذلك بينه وبين البابا.

والتحق إبراهيم فى بدء أمره بوظيفة كاتب لأحد أمراء المماليك ثم توسط له البابا لدى المعلم رزق رئيس الكتاب وقتئذ فاتخذه كاتباً خاصاً له واستمر فى هذه الوظيفة إلى آخر أيام على بك الكبير الذى الحقه بخدمته ولما تولى محمد بك أبو الذهب مشيخة البلاد اعتزل المعلم رزق من رئاسة الديوان وحل المعلم إبراهيم محله فى وظيفته، فإبتدأ نجمه يتألق فى سماء مصر من هذا الحين. ولما مات أبو الذهب وخلفه فى مشيخة البلاد إبراهيم بك تقلد المعلم إبراهيم رئاسة كتاب القطر المصرى وهى أسمى الوظائف الحكومية فى ذلك العصر، وتعادل رتبة (رئاسة الوزارة) فى عصرنا الحاضر، ولم يؤثر هذا المنصب العظيم فى أخلاق إبراهيم الجوهرى بل زاده دعة وتواضعا وسخاء وكرماً وإحساناً حتى جذب إليه القلوب. ومن فرط حب إبراهيم بك له، أولاه ثقته حتى آخر نسمة من حياته فاخلص له الجوهرى كل الإخلاص.

تجاربه واحتماله وقوة إيمانه

وتزوج المعلم إبراهيم من سيدة فاضلة تقية فشاركته فى أخلاقه الطيبة، وتجاربه واحتماله وقوة إيمانه وعاونته فى أعمال البر والاحسان، وشجعته على تعمير بيوت العبادة، ورزق منها ولداً اسمه يوسف، وابنة اسمها دميانة وكانت سكناه بجهة قنطرة الدكة، ولما ترعرع ابنه يوسف عزم على تأهيله فأعد له داراً خاصة به جهزها بأفخر المفروشات، وأثمن الأوانى والأدوات واستعد لحفلة الزفاف ولكن شاءت إرادة الرحمن أن تختار هذا الولد الوحيد وتضمه إلى الأحضان الأبوية قبل إتمام حفلة زواجه، فحزن عليه والداه حزنا شديداً وأغلق المعلم إبراهيم دار ابنه على ما فيه وكسر السلم الموصل إليه حتى لا يستعمله أحد، وقد كان لوفاة هذا الابن الوحيد أثر كبير فى نفس إبراهيم وزوجته فازداد

أرادت زوجته الاعتراض على أحكام الله تراءى لها القديس أنطونيوس الكبير كوكب البرية فى حلم وعزاها قائلا:"اعلمى ياابنتى أن الله أحب ولدك كما أحب والده ونقله إليه شاباً لحكمة قصدها لحفظ اسم المعلم الكبير نقياً إذ ربما أفسد ولده شهرته وعاب اسمه، وهذا خير جزاء من الله سبحانه وتعالى لزوجك على بره وتقواه فتعزيا وتشجعا واستأنفا أعمالكما المرضية" واختفى وقد تراءى فى الوقت ذاته للمعلم إبراهيم وعزاه وشجعه، ولما استيقظت الزوجة توجهت إلى مقام زوجها لأنه كان من فرط حزنه معتزلا مسكنها وقصت عليه الرؤيا، فاجابها بأنه قد رآها هو أيضا فى هذه الليلة فتركا عوضهما على الله واستبدلا لباس الحداد باللباس العادى، وامتلأ قلباهما عزاء وشاركته زوجته فى كل أعماله الخيرية وصدقاته، ومبراته حتى يوم وفاته، وقد توفيت كريمته دميانه بعده بزمن قليل وهى عذراء فى ريعان الشباب.

واستمر المعلم إبراهيم فى رئاسة الدواوين، حتى حصل انقلاب فى هيئة الحكام، وحضر لمصر حسن باشا قبطان موفداً من قبل الدولة العلية فقابل إبراهيم بك شيخ البلد ومراد بك أمير الحج واضطرهما إلى الهرب إلى أعالى الصعيد ومعهما إبراهيم الجوهرى وبعض الأمراء وكتابهم ودخل قبطان باشا القاهرة فنهب بيوت البكوات والأمراء والأعيان والمشايخ وأنزل بالبلاد بلاء وظلماً واضطهد المسيحيين اضطهاداً عظيما حتى انكمشوا فى بيوتهم، وكفوا عن الخروج أياماً وأرسل يطلب من قاضى القضاة إحصاء ما أوقفه المعلم إبراهيم الجوهرى عظيم القبط على الكنائس والديارات من أطيان ورزق وأملاك وغير ذلك، ولسبب هذه الأحوال اختفت زوجة المعلم إبراهيم الجوهرى فى بيت حسن أغا، كتخدا على بك، أمين الحساب، وقد كان لزوجها عليه مآثر كبيرة، فبحث عنها أعوان السوء ناكرو الجميل والاحسان ودلوا حسن باشا على مكان اختفائها، فاجبرها على الاعتراف ببعض الخبايا، فاخرجوا منها أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروج وغيرها وبيعت باثمان عالية، وغمز بعضهم على مسكن المرحوم يوسف بن المعلم إبراهيم، فصعدوا إليه وأخرجوا كل ما فيه من فرش وأمتعة وأوانى ذهب وفضة وصينى وأتوا بها إلى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت بكثرة

وعهد هذا بامارة الحج إلى صديقه حسن بك جداوى، وظل اسماعيل بك فى الحكم إلى سنة ١٧٩٠م التى انتشر فيها بمصر وباء شديد مات به معظم السكان، وكذلك مات اسماعيل بك وأهل بيته. وتولى إدارة البلاد بعده عثمان بك الطبل فلم يطل وقته إذ فشل فى إدارة الحكم. وعاد إبراهيم بك ومراد بك إلى منصبيهما. الأول فى إدارة البلاد والثانى فى إمارة الحج ودخلا القاهرة فى ٧ أغسطس سنة ١٧٩١م وعاد المعلم إبراهيم الجوهرى واستأنف عمله، وعادت إليه سلطته ووظيفته ولكنه لم يتمتع بها اكثر من أربع سنوات. واستمر محبوباً من الجميع لآخر أيامه. وقد اطلق عليه الناس لقب سلطان القبط كما دل على ذلك نقش قديم على حجاب أحد هياكل كنائس دير الأنبا بولا بالجبل الشرقى، والكتابة المدونة على القطمارس المحفوظ فى هذا الدير أيضاً. وقال عنه الجبرتى المورخ الشهير:"إنه أدرك بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة، وعظيم الصيت والشهرة، مع طوال المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه، وكان هو المشار إليه فى الكليات والجزئيات، وكان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يغرب عن ذهنه شئ من دقائق الأمور، ويدارى كل إنسان بما يليق به من المداراة، ويفعل بما يوجب انجذاب القلوب والمحبة إليه، وعند دخول شهر رمضان كان يرسل إلى غالب أرباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا، وعمرت فى أيامه الكنائس والديورة، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة، والأطيان، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدائرة والغلال".

وقال عنه الأنبا يوساب الشهير بابن الأبح أسقف جرجا وأخميم ما مؤداه:"إنه كان أكبر أهل زمانه وكان محباً لله، يوزع كل ما يقتنيه على الفقراء والمساكين، مهتما بعمارة الكنائس، وكان محباً لكافة الطوائف يسالم الكل، ويحب الجميع، ويقضى حوائج الكافة ولا يميز واحداً عن الآخر فى قضاء الحق" هذا مختصر حياته العامة.

خدماته للكنائس، وإصلاحه للأديرة، وتعضيده للفقراء

إشتهر المعلم إبراهيم الجوهرى بشغفه الشديد بتعمير الكنائس والديارات واصلاح ما دمرته يد الظلم فبواسطة نفوذه الحكومى، وماله من الأيادى البيضاء على الحكام المسلمين تمكن من استصدار الفتاوى الشرعية بالسماح للقبط باعادة

وكثيراً ما أصلح ما تخرب منها وقد بلغت حجج تلك الأملاك ٢٣٨ حجة، مدونة في كشف قديم محفوظ بالدار البطريركية كما اشتهر بنسخ الكتب الثمينة النادرة على نفقته واهدائها لجميع الكنائس والديارات، من أقاصى البلاد إلى أقاصيها، فلا تخلو كنيسة من كتبه وآثاره، وهو أول من سعى في إقامة الكنسية الكبرى بالأزبكية فإنه كان محرماً على الأقباط في الأزمنة الغابرة أن يشيدوا كنائس جديدة، أو يقوموا بإصلاح القديم منها إلا بإذن من الهيئة الحاكمة يحصلون عليه بعد شق الأنفس. فاتفق أن احدى أميرات العائلة السلطانية قدمت من الاستانة العلية إلى مصر لقضاء مناسك الحج فباشر المعلم إبراهيم بنفسه أداء الخدمات اللائقة بمقام هذه الأميرة وأدى لها الواجبات اللازمة لراحتها وقدم لها هدايا نفيسه فارادت مكافأته واظهار اسمه في دار السلطنة فالتمس منها السعى لاصدار فرمان سلطاني بالترخيص له ببناء كنيسة الأزبكية حيث يوجد محل سكنه وقدم لها بعض طلبات أخرى خاصة بالقبط والاكليروس، فصدرت الارادة السلطانية بذلك، ولكن عاجلته المنون قبل الشروع في بناء الكنيسة فاتمها أخوه المعلم جرجس الجوهرى.

ولعدم تغيير مواعيد الصلاة بكنيسة العذراء الكبرى بحارة زويله قام بانشاء كنيسة صغرى برسم الشهيد (مرقوريوس) أبى السيفين بجوارها، حتى يتمكن موظفوا الحكومة من حضور القداس معه فيها دون الاخلال بمواعيد العمل بمصالحهم، وقام بتجهيز أصناف الميرون ومواده على حسابه الخاص وأرسلها بصحبة أخيه المعلم جرجس لغبطة البابا البطريرك بالقلاية العامرة. وفي سنة ١٤٩٩ش (١٧٨٣م) بنى المعلم إبراهيم السور البحرى جميعه مع الساقية لدير كوكب البرية القديس أنطونيوس بعد أن اهتم ببناء هذا السور من القبلى والغربى في سنة ١٤٩٨ش ويعرف إلى الآن باسم سور الجوهرى، وقام أيضا بتجديد بنيان كنيسة العذراء المغيثة بحارة الروم في سنة ١٥٠٨ش (١٧٩٢م) وشيد كنيسة الشهيد أبو السيفين بدير أنبا بولا بالجبل الشرقى. وشيد بدير البرموس كنيسة أنبا أبالى وأنبا أبيب (ولكنها هدمت سنة ١٨٨١م لتوسيع كنيسة مار يوحنا) وعمر قصر السيدة بالسريان، وأضاف إلى دير السريان خارجة كبيرة من الجهة القبلية، وبنى حولها سوراً حتى بلغت مساحتها ٢٤٠٠متراً. وبالاختصار بنى كنائس

المصرى، ووزع الصدقات على جميع الفقراء والمساكين فى كل مكـــان، واهتـم بطعامهم وكسائهم، وكذا الأرامل واليتامى الذين ليس لهم من يهتم بهم وأخرج لهم فى كل شهر ما يقوم بكفايتهم، وذلك حسب ما شهد له به ابن الابح فى مرثية البابا يوأنس البطريرك (١٠٧). وظل على هذا الحال إلى أن انتقل إلى دار الخلود فـى يوم الاثنين ٢٥ بشنس ١٥١١ش ٣١مايو سنة ١٧٩٥م فحزن عليه الجميع كمـا أسف على وفاته أمير البلاد إبراهيم بك لأنه كان يعزه كثيراً فسار فـى جنازتـه اكراماً له وتقديراً منه لمقامه السامى، ورثاه البابا يوأنس البطريرك وقد دفن فـى المقبرة الخاصة التى شيدها لنفسه بجوار كنيسة مارجرجس بمصر القديمة، وحبس على هذه المقبرة وقفاً يصرف ريعه على قنديل لا يطفأ وثور لا يموت.

نعم مات هذا الرجل كما مات أباؤه وأجداده من قبله ولم يترك عقباً له ولكـن ذكراه لم تمت لان ذكر الصديق يدوم إلى الأبد. وقد اهتمت جمعية نهضة الكنائس بتجديد مقبرة الجوهرى بدرب التقا بمصر القديمة فاصبحت كعبة المعجبين بأعمال هذين الأخوين البارين. نفعنا الله بأعمالهما الصالحة أمين.

آثار الجوهرى فى دير الأنبا بيشوى

(بكنيسة الملاك ميخائيل) بالقصر القديم وبأعلى هيكلها تاريخ سـنة ١٤٩٨ش (١٧٨٢م). والمهتم بها المعلم إبراهيم الجوهرى، وعثر المنتيح القمص أرمانيوس شنا على خطاب من المعلم إبراهيم الجوهرى إلى الأنبا بطرس مطـــران جرجـا فحواه أنه وصله خطاب المطران بخصوص دير الأنبـا بيشـوى وأرسـل إليـه المصالح المطلوبة وقد عرفه الراهب عبد الملاك أنه لم يكفهم خمسة آلاف مـــتر حجر ويريدون ثمانية آلاف وأمر المطران أن يعطيهم ما يطلبون وينبه عليـهم أن لا يقرطوا فى أى شئ وأن يبعث إليه بكامل الأخبار ثم يقول: وأخينـا (جرجـس الجوهرى) وولدنا "يوسف" يقبلان أيديكم سنة ١٤٩٥ش (١٧٧٩م) الحقير إبراهيم الجوهرى

حشية ــ وهذا بيان المصالح الواصلة إليكم: قنطارين فسيخ. قنطارين زبيب أسود، عدد ٢٠ خيش. قنطار جبن. قنطار أرز. قنطارين دخان. قنطار ســيرج قنطـار زيت مبارك. قنطار عسل. ربع قنطار بن.

آثاره فى دير الأنبا مكاريوس

وبنى المعلم إبراهيم الجوهرى فى سنة ١٤٨٩ش ١٧٧٣م لشيوخ البرية الشهداء كنيسة وهى تجاه كنيسة القديس مكاريوس بلصق الصور الغربى. وغربى الهيكل توجد المقبرة التى فيها الأجساد وترتفع عن الأرض مقدار ٣٣ سنتمتر (كتاب وادى النطرون ص ١٩٣وص٢٠٥).

١٥ . المعلم واصف من كبار الكتاب المباشرين

وكان فى هذا العصر بين الكتاب المباشرين المشهورين رجل يدعى المعلم واصف. فقبض عليه حسن باشا قبطان مبعوث السلطان العثمانى وحبسه ظلماً وانتقاماً وضربه وطالبه بالأموال. وقال الجبرتى عن المعلم المذكور:"وواصف هذا أحد الكتاب المشهورين بين المباشرين ويعرف الايراد والمصاريف وعنده نسخ من دفاتر الروزنامه ويحفظ الكليات والجزئيات ولا يخفى عن ذهنه شئ من ذلك ويعرف التركى" (الجبرتى ص١٢٩ جزء ثان).

١٦ . حالة البلاد فى هذا العصر والمصايب التى حلت بالنصارى واليهود

ونودى على طايفة النصارى بأن لا يركبوا الدواب ولا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجوارى والعبيد وان يلزموا زيهم الأصلى من شد الزنار والزنار والزنوط (الجبرتى جزء ثان ص١٢٣و١٢٤).

وفى اليوم التالى نودى على النصارى بالأمان وعدم التعرض لهم بالإيذاء وسبيه تسلط العامة والصغار عليهم. (الجبرتى ص١٢٤جزء٢).

وبعد ذلك باسبوع طلب حسن باشا من التجار المسلمين والافرنج والأقباط سلفة مالية لتسهيل لوازم الحج وكتب لهم وثائق واجلهم ثلاثين يوما ففردوها على أفرادهم بحسب حال كل تاجر وجمعوها (الجبرتى ص١٢٤جزء٢).

ثم عاد حسن باشا باضطهاد النصارى واليهود فنادى عليهم بأن يغيروا أسماءهم التى هى على اسماء الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحق وأن يحضروا جميع ما عندهم من الجوارى والعبيد وإن لم يفعلوا وقع التفتيش عليهم فى دورهم وأماكنهم فصالحوا على ذلك بمال فحصلوا على العفو وأذنوا لهم فى أن يبيعوا ما عندهم من الجوارى والعبيد ويقبضوا أثمانها لأنفسهم ولا

وبعد ذلك نودى على النصارى باحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاريخه ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى واستخرجا ما فيها فكان شيئاً كثيراً وأحضروهم إلى القبطان فعرضوهم فى المزاد وباعوهم (الجبرتى جزء ثان ص ١٢٨).

ثم قبض بعد ذلك حسن باشا قبطان على راهب من رهبان النصارى واستخلص منه صندوقا من ودايع النصارى (الجبرتى جزء ثان ص١٢٨).

وفى سنة ١٧٨٨م طلب اسماعيل بك مبلغاً كبيراً بصفة قرض فوزعوه على التجار وغيرهم وعلى نصارى القبط فانزعج الناس والتجأوا إلى مشايخ الأزهر فقام الشيخ سليمان القيومى بمقابلة سليمان بك وحصل منه على أمر بالامان والعفو عن الطوايف المذكورة (الجبرتى جزء ثان ص ١٦٢).

وفى شهر ديسمبر من السنة المذكورة حضر إسماعيل بك ومعه عابدى باشا إلى بيت الشيخ البكرى بسبب المولد النبوى فلما استقر بهم الجلوس التفت الباشا إلى جهة حارة النصارى وسأل عنها فقيل له إنها بيوت النصارى فأمر بهدمها وبالمناداة عليهم من ركوب الحمير فسعوا فى المصالحة وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال منها على الشوام سبعة عشر ألف وباقيها على الكتبة (الجبرتى جزء ثان ص ١٦٥).

١٧ . عمل الميرون المقدس

وقد قام البابا يوأنس الثامن عشر فى سنة ١٥٠٢ش (١٧٨٦م) بعمل الميرون المقدس فى بيعة السيدة العذراء بحارة الروم وكان المهتم به المعلم إبراهيم الجوهرى وأخوه الحاج جرجس الجوهرى (كتاب ١٠١ طقس ص٢٣"أ" و٣٤).

١٨ . حدوث وباء فى مصر وعودة الامراء والمعلم إبراهيم الجوهرى

وبعد هذا كله حل بمصر وباء شديد فى سنة ١٧٩١م مات به من سكانها الألوف المؤلفة وممن مات به اسماعيل بك خصم مراد بك وإبراهيم بك والذى قلده حسن باشا قبطان مشيخة البلاد قبل عودته إلى الاستانة ومات به أيضاً كل أهل بيته فسماه الناس بوباء اسماعيل.

أما مراد بك وإبراهيم فإنهما انتهزا هذه الفرصة وعادا إلى مصر واستلما

أيامه كما سبق بيانه فى تاريخه فانتقل من هذا العالم فى يوم الاثنين ٣١ مايو سنة ١٧٩٥م وتولى بعده رئاسة المباشرين شقيقه المعلم جرجس الجوهرى.

١٩ . انتقال البابا يوأنس الثامن عشر من هذا العالم

وبعد وفاة المعلم إبراهيم الجوهرى بما يقرب من السنة انتقل من هذا العالم البابا القديس يوأنس الثامن عشر فى يوم ٢ بؤونة سنة ١٥١٢ش الموافق ٧ يونيه سنة ١٧٩٦م بعد أن تولى على الكرسى الرسولى المرقسى مدة ستة وعشرون سنة وسبعة أشهر وأربعة عشر يوما واحتفل بنقل جثمانه إلى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة وكان ذلك فى أيام السلطان سليم الثالث ومدة امارة البيكوين إبراهيم ومراد بك.

البابا مرقس الثامن
البطريرك (١٠٨)

١ موطنه وتاريخ ميلاده وتربيته

ولد هذا الاب فى بلدة طما بمديرية جرجا فى أواسط الجيل الثامن عشر الميلادى ودعى اسمه يوحنا وتربى التربية المسيحية الحقة حتى مال من صغره إلى الحياة النسكية (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٨"أ").

٢ رهبنته

ولما ترعرع وكبر زادت أمياله إلى الزهد والرهبنة فبارح بلده قاصداً دير القديس العظيم أنطونيوس بجبل العربة ودخل الدير وترهبن فيه ولما ظهرت فضائله ونسكه وزهده وانكبابه على الدرس والاطلاع سيم قساً فى عهد البابا يوأنس الثامن عشر والحقه بحاشيته البطريركية وشاهد ما حل بهذا البطريرك من الويلات (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٨"أ" وابن الراهب ص ٢٤٨ بخط البابا بطرس البطريرك ١٠٩).

٣ اختياره للبطريركية

ولما تنيح البابا يوأنس الثامن عشر فى ٧ بؤونة سنة ١٥١٢ش الموافق ٧ يونيه سنة ١٧٩٦م اتفق الأساقفة وأراخنة الشعب على ترشيح الأب يوحنا الراهب

الهيكلية وبعد عملها وقعت القرعة على الاب يوحنا فرسم بطريركا فى ليلة الأحد الموافق يوم السبت ٢٣ توت سنة ١٥١٣ وتمت الرسامة فى كنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس أبى سيفين فى صبيحة الأحد الموافق ٢٤ توت سنة ١٥١٣ (٢أكتوبر سنة ١٧٩٦) كما دونه خليفته البابا بطرس السابع فى كتاب التواريخ لابن الراهب بخطه الجليل ولقب باسم البابا مرقس الثامن البطريرك (١٠٨) فى عهد السلطان سليم الثالث العثمانى وشيخى البلد إبراهيم بك ومراد بك (ابن الراهب ص ٢٤٨وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٨ وكتاب تاريخ وجداول بطاركة الاسكندرية ص٩٦).

٤ . عهد البابا مرقس الثامن

وقد شارك هذا البابا عهد سلفه البابا يوأنس فى البلايا التى حاقت بالبلاد وقاسم المؤمنين مصايب ذلك العهد المشؤوم وانفطرت احشاؤه حزناً وكمداً وقاسى بسماع الأذن ورؤيا العين تلك الظروف القاسية التى قصمت ظهر المسيحيين اضطهاد وسوء معاملة (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٨).

٥ . سوء معاملة إبراهيم بك ومراد بك للأهالى والأجانب

بعد أن استرد إبراهيم بك ومراد بك منصبهما وأخذا يحكمان مصر بحزم لابأس به إلا أنهما اشتطا فى ابتزاز أموال الناس وخصوصاً التجار بغير حق وتطرقا بتصرفهما السئ إلى الأجانب القاطنين بمصر فكثرت شكاوى هؤلاء إلى دولهم فطلبت منهما أن يعدلا عن هذه الخطة الذميمة ويحسنا معاملة رعاياهم فلم يسمعا نصيحتهم الأمر الذى لفت نظر أوربا إلى مصر وجعله الفرنسيين ذريعة لاغارتهم عليها فى سنة ١٧٩٨م (تاريخ الأمة القبطية ص٢٨٠ وتاريخ مصر للإسكندرى ص٨٤).

٦ . الحملة الفرنساوية على مصر

قضت مصر تحت حكم ولاة العثمانيين والأجناد والمماليك نحو ثلاثة قرون عانت فيها من أنواع العذاب والظلم وسوء الإدارة ما أضعف تجارتها وجعلها فى معزل عن بقية العالم فاصبحت لاتدرى شيئاً عن نوع الدول الأوربية وأطماعها أو علاقة بعضها ببعض. وقد كان يقيم بمصر فى ذاك الحين كثير من جالية الفرنسيين والانجليز ولكن المصريين لم يتفهموا أغراض هذه الجاليات

عنهم أيام الحروب الصليبية وفاتهم أن الزمان قد تغير وأن أوربا اصبحت على مبلغ من القوة وسعة العلم وعظم الدراية بالفنون الحربية بحيث لا يمكن مصادمته إلا بمثله.

وكانت دولة فرنسا قد قويت شوكتها بين دول أوربا وظهر منها فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى قائد حربى عظيم أخذ يتغلب على ممالك أوربا وبات كثير من دولها فى خوف منه ذلك هو البطل الشهير نابليون بونابرت (تاريخ مصر للإسكندرى ص ٨٦و٨٧).

ولما لم يسمع مراد بك وإبراهيم بك نصيحة دول أوربا ويحسنا معاملة رعاياها جعلت فرنسا تقدم على تجريد حملة عسكرية لفتح مصر واحتلالها فإن نابليون بونابرت اتخذ اعضاء البيكوين عن العمل بالنصح لهما وسيلة لتنفيذ ما كان يخالج صدره من افتتاح مصر وضمها إلى مملكته فعرض هذا الرأى على مجلس الإدارة الفرنسى الذى كان قائماً بتدبير شئون الدولة الفرنسية وشرح لهم ما يعود على فرنسا من الخير العميم لو فتحوا مصر ومازال بهم تارة بالاقناع وتوراً بالتهديد بالاستعفاء حتى وافقوا فجهز جيشاً مؤلفاً من سبعة وثلاثين ألف مقاتل من نخبة العساكر وأمهر القواد وجماعة من أهل العلم وأرباب الصنائع (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٨٠و٢٨١).

وفى يوم ١٩ مايو سنة ١٧٩٨م بارح بعساكره فرنسا وفى يوم أول يوليه وصل إلى الإسكندرية واحتلها وبعد أن استولى عليها ترك فيها حامية وخرج منها بباقى عساكره قاصداً القاهرة على طريق البر الغربى من نهر النيل (تاريخ الأمة القبطية ص٢٨١).

ولما شاع خبر قدوم العساكر الفرنسية واشتغل الأمراء بالاستعداد لمقابلتهم اختل النظام وسادت الفوضى وكثرت اللصوص وقطاع الطرق فى البلاد وهاج سكان القاهرة وماجوا وهجموا على بيوت وكنائس النصارى الأقباط والسوريين والافرنج والأروام بدعوى البحث عما فيها من الأسلحة واتخذ الفساد والطمع هذا ذريعة فنهبوا بيوت الذين لا قدرة لهم على المقاومة وأشار البعض بقتل النصارى عن آخرهم فعارضهم فى ذلك إبراهيم بك وقاومهم ومنعهم واحتمى بعض

العساكر الفرنسية ودخلت القاهرة فاطلقوا سبيلهم. وهجم رعاع الناس على بيوت البيكوات والأمراء الذين فروا من أمام الفرنسيين ونهبوها (تاريخ الأمة القبطية ص٢٨١و٢٨٢).

وكان مراد بك قد بنى بيتا واسعاً بجهة الأزبكية يطل على البركة ولم يسكنه لاشتغاله بالحرب ولما انتصر عساكر الفرنسيين على المماليك فى امبابه وعدوا إلى بولاق كلف المعلم جرجس الجوهرى رئيس المباشرين أن يعد هذا البيت لنزول نابليون فيه. فقام بفرشه وتجهيزه أحسن تجهيز ولما دخل قائد الفرنسيين القاهرة أقام به ومن ذلك الحين عرف نابليون المعلم جرجس الجوهرى وأهداه جبة مزركشة بالقصب ليلبسها فى أيام التشريفات (كتاب تاريخ الأمة القبطية ص ٢٨٢).

أخبار الاحتلال الفرنسى للبلاد المصرية

احتل الفرنسيون البلاد المصرية فى ٢٣ بؤونة سنة ١٥١٤ش الموافق ٥ يوليه سنة ١٧٩٨م ودخلوا عاصمة البلاد فى ١٢ أبيب الموافق ٢١يوليه سنة ١٧٩٨ وأخذوا يديرون دفة الأحكام فى البلاد بانظمة جديدة واعتقد النصارى أن الجو العكر قد صفا والعدل سيسود البلاد.

قام نابليون بعمل اصلاحات كثيرة ونظم هيئة الحكومة التى تقوم بادارة دفة الأحكام فى البلاد وأعد النظم الخاصة بالصحة العامة والأمن وقيد عقود الزواج والوفيات والمواليد مع تأدية مغارم لكل ذلك مما جعل المصريون يحسون تدخله فى حريتهم الشخصية وقلت ثقتهم بوعود نابليون ومواثيقه وأخذوا ينظرون شزراً إلى كل قانون جديد يسنه خصوصاً عندما أمر بهدم أبواب الحارات والدروب وأخذ فى تحصين القاهرة فهدم لذلك كثيراً من الآثار والمساجد فزاد استياء الأهلين. ولما جمع العلماء وكلفهم تعليق شارات الحكومة الفرنسية ذات الثلاثة ألوان ونهرهم عندما رفضوا ذلك امسكوا عن مساعدته فى تحسين العلايق بينه وبين العامة وأخذ سخطهم يستفحل.

وبينما هو مشتغل بإصلاحاته هذه إذ جاءه نبأ تدمير الإنجليز لاسطوله فى خليج أبو قير فحزن حزناً شديداً لانقطاع كل اتصال بينه وبين فرنسا (تاريخ مصر

ولكنه أظهر الجلد واستمر فى تقوية مركزه فى الديار المصرية وتحصين المواني والبلاد حتى قام فى الثغر الإسكندرى بهدم الكنيسة المرقسية ومنارتيها التحصينتين خشية أن يستولى عليها الإنجليز من البحر ويعتصموا بها لمقاومة الفرنسيين فاضطر رعاتها القبط إلى حمل كل أثر نفيس إلى كنيسة رشيد مدة الاحتلال الفرنسى لاقامة الشعاير الدينية بكنيستها (مجلة صهيون عدد ٣ سنة ١٩٤٤ص٧١) (كتاب ١٠١طقس ص٣٨"أ").

وقد ازداد استياء الأهلين من تصرفات الفرنسيين حتى بلغ السيل الزبى وخرج سكان القاهرة على الفرنسيين خروجا عاما فى ١٠ جمادى الأولى الموافق ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٩٨م (١٤ بابه سنة ١٥١٥ش) واستفحل أمر الثورة وأظهر فيها عوام القاهرة اقداما كبيراً لم يعهد فيهم من قبل فذبحوا كثيراً من الفرنيسين ثم تحصنوا فى الاحياء الوطنية فلم يكد نابليون يسمع بالخبر حتى صار بالعسكر إلى مواضع المتاريس وصوب عليها المدافع فاستولى على القاهريين الفزع واضطر مشايخ الأزهر إلى الذهاب إلى بونابرت وإظهار خضوعهم له فاشبعهم تأنيباً وتعنيفاً على ما سببوه من سفك الدماء ثم أمر بالكف عن اطلاق النيران. ثم دخل الفرنسيون المدينة وتجولوا فى أسواقها لاعادة النظام والسكينة واحتلوا بخيولهم الجامع الأزهر وأرسل المشايخ وفداً إلى نابليون يلتمسون اصدار الأمر بإخلاء الأزهر من الجند فاجاب ملتمسهم بعد التحذير والتهديد (تاريخ مصر للإسكندرى ص١٠٢و١٠٣).

٧. نقل الكرسى البطريركى إلى الازبكية

إن كرسى البطريركية القبطية كان مقره بمدينة الإسكندرية منذ تأسيس الكنيسة المصرية وانتقلت بعد ذلك إلى مصر فى عهد البابا خرسطوذلو البطريرك (٦٦) حيث استولى لهذا الغرض على كنيسة المعلقة بظاهر الفسطاط فى منتصف الجيل الحادى عشر للميلاد ثم انتلقت بعد ذلك إلى كنيسة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين بدرب البحر بمصر القديمة التى جعلها كرسياً بطريركياً البابا غبريال بن تريك البطريرك (٧٠) حول منتصف الجيل الثانى عشر ثم رجع الكرسى البطريركى إلى المعلقة فى أيام البابا مرقس الثالث البطريرك (٧٣) واستمر

بحارة زويله فى أيام البابا يوأنس الثامن البطريرك (٨٠) فى سنة ١٣٠٣م ميلادية واستمرت القلاية البطريركية تقيم فى مبانى هذه البيعة الأثرية إلى أن نقل البابا متاوس الرابع البطريرك (١٠٢) الكرسى من حارة زويله إلى حارة الروم فى سنة ١٦٦٠م ولبثت كنيسة حارة الروم الأثرية كرسياً بطريركيا إلى آخر زمن البابا يوأنس الثامن عشر والبطريرك (١٠٧) إذ قام خليفته البابا مرقس الثامن البطريرك (١٠٨) بنقل الكرسى من حارة الروم إلى الأزبكية مقره الحالى وكان السبب فى إنتقال الكرسى حدوث اضطهاد شديد على البابا مرقس فى حارة الروم بسبب استيلاء الفرنسيين على مصر فاضطر البابا مرقس إلى الإنتقال إلى الأزبكية فى مواضع كان بناها الأرخن المبارك المعلم إبراهيم الجوهرى قبل نياحته (كتاب ١٠١ طقس ص ٣٨ بالدار البطريركية).

إن سبب بنيان المواضع التى اقام فيها البطريرك مرقس الثامن هو أن المعلم إبراهيم الجوهرى قام باحضار فرمان شريف من عظمة السلطان العثمانى فأخذ المعلم إبراهيم الفرمان وأودعه فى القلاية فى مدة المتنيح البابا يوأنس السابع بعد المائة وبعد ذلك اشترى محلات وهدمها وقام بتحديد موقع الكنيسة التى كان يزمع بناءها ووضع أساسها وبنى بجوارها المحلات التى سكن فيها البابا مرقس الثامن لما انتقل من حارة الروم إلى الأزبكية (كتاب ١٠١طقس ص٣٨"أ").

واضطر البابا بسبب حالة الثورة التى كانت عليها البلاد بصفة عامة والقاهرة بصفة خاصة أن يعمل ترتيبات وصلوات جمعة البصخة وأن يحتفل بعيد القيامة المعظم فى منظرة بالحوش كانت من ضمن الأمكنة التى بناها المعلم إبراهيم الجوهرى بجوار أرض الكنيسة لأنه لم يقدر أحد على الخروج من الأزبكية ولا الدخول فيها بسبب الثورة المتقدم ذكرها والتى كانت سببا فى حرق محلات كثيرة ونهب مخازن التجار والمنازل حيث كانت شدة عظيمة على طوائف النصارى كلها (كتاب ١٠١ طقس ص ٣٨"أ").

٨. تشييد كنيسة القديس مرقس البشير والإنجيلى الطاهر بالأزبكية

ولما هدأت الأحوال فى البلاد رفرف السلام عليها واستتب الأمن فيها وسارت الناس فى طمأنينة أمكن القيام بتشييد الكنيسة التى كان المعلم إبراهيم

وفى يوم الأحد المبارك خامس شهر توت سنة ١٥١٧ش كرزها السيد البابا مرقس الثامن البطريرك (١٠٨) على اسم مارمرقس الإنجيلى ناظر الاله عوضاً عن الدير الذى هدمه الفرنسيون بالثغر الإسكندرى (ص٣٨"أ") وذلك بحضور الأباء الأساقفة والكهنة والأراخنة والمعلمين وحصل عندهم بهذا العمل الجليل فرح عظيم وابتهاج زايد (ص ٣٩"أ").

ثم أخذ السيد البابا مرقس الثامن محلات بجوار الكنيسة الجديدة وشيد عليها قلاية كبيرة (ص ٣٩"أ") وكملها على أحسن نظام وذلك فى ملك الجنرال يعقوب والمعلم ملطى اللذين كانا يشغلان مركزاً عظيما فى أيام الاحتلال الفرنسى (كتاب١٥ ص٣١٠).

٩. حريق كنيستى حارة الروم

وفى عهد البابا مرقس الثامن فى سنة ١٥٢٢ حلت التجارب على الكنيسة بالحرائق التى التهمت بناء الكنيستين بحارة الروم الكنيسة العليا باسم الأمراء البواسل جاورجيوس وتاودروس ومرقوريوس والكنيسة السفلى التى باسم السيدة العذراء المعروفة بالمغيثة.

وكان الميرون المقدس والغليلاون الذى قام بعملهما البابا يوأنس الثامن عشر البطريرك (١٠٧) فى سنة ١٥٠٢ش موضوعين فى موضع واحد بأعلى دهليز الكنيسة التحتانية. ولما حصل الحريق فى الكنيستين المذكورتين التهمت النيران المكان المحفوظ فيه الميرون المقدس والغليلاون واحترق كل ما كان مخزونا منهما وتبدد جميعه ولم يتبق منه شيئاً (كتاب ١٠١ طقس ص٣٧"أ").

١٠. حرب الفرنسيين بمصر وثورة القاهرة

وبعد دخول الفرنسيين بثمانية عشر شهر حصل حرب عظيم بين الفرنسيين والعثمانيين وأهل البلد بالقاهرة مدة أربعة وثلاثين يوما وكان ذلك فى الصوم الأربعين المقدسة وفى النصف الثانى منه (كتاب ١٠١ طقس ص ٣٨"أ").

وقد التجأ المتمردون من المماليك وغيرهم إلى الوجه القبلى وعاثوا فيه بالسلب والنهب والاعتداء فلم ينج أحد من عبث هؤلاء الطغاة الثائرين الذين اغتالوا أموال النصارى الذين لم يشعروا بالنجاة من هذه المحن حتى وقعوا بعد سنة فيما هو أشر من ذلك فإنه لما نقضت المعاهدة التى عقدت فى ٢٤ يناير سنة

التى كانت تقضى بانسحاب الفرنسيين من مصر بمؤنهم وذخائرهم دارت رحى القتال بين الطرفين فى المطرية وذهب الفرنسيون إلى الصالحية ،كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٩).

وقد اغتنم الأهالى فرصة خروج عسكر الفرنسيين من القاهرة وثاروا على النصارى وكان ناصف باشا أحد قواد الجيش العثمانى قد جاء إلى المدينة بجماعة من المماليك ونادى فيها بأنهم غلبوا الافرنج وأمر بقتل باقى النصارى فشرعوا يقتلونهم غير مميزين بين القبطى والسورى والافرنجى. فاستدرك حالهم عثمان بك أحد ضباط الأتراك وجاء إلى ناصف باشا وقال له:"إنه ليس من العدالة أن تهرقوا دماء رعايا الدولة فإن ذلك مخالف للإرادة السنية" ثم فرق رجاله فى المدينة فأوقف القتل (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٩).

وفى آخر أيام الاحتلال الفرنسى للبلاد حل ضيق آخر بالأقباط فى أيام البابا مرقس الثامن فقد رفتوا المستخدمين القبط من دواوين الحكومة وذلك لأن الجنرال مينو لما تولى قيادة الجيش الفرنسى بعد موت كليبر قتلا فى ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠م اعتنق الاسلام وأطلق علي نفسه اسم عبد الله مينو وتزوج من مسلمة ورزق منها بغلام سماه سليمان واكتفى بتأليف ديوان القاهرة من المسلمين دون النصارى وقد كان فى الأصل مؤلفاً من العنصرين وبعد هذا التغيير أصبح أمر جباية الخراج موكولا إلى المسلمين دون غيرهم بعد أن كان يتولاها الأقباط وحدهم وذلك تحقيقاً لما كان يرنو إليه هذا الفرنسى المتقلب من تحقيق المبدأ القائل:"فرق تسد".

ولم تطل أيام الاحتلال الفرنسى بعد أن مكثوا فى البلاد نحو ثلاث سنوات وأربعة أشهر إذ أنهم خرجوا من الديار المصرية بمساعدة الجيوش الانجليزية للدولة العثمانية فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٠١م (كتاب ١٥ تاريخ ص٣٠٩"أ").

١١ .رسالة رعوية من البابا مرقس الثامن

وبعد إنتهاء الحرب والثورات التى عاثت فى البلاد حول أربع سنوات واستتبت الأحوال فى البلاد المصرية ورأى استمرار شعبه على طغيانه رغم المحن التى حاقت به ولم تزل تكتنفه فاراد أن يصلح أعوجاجه ويرده على الطريق

(باسم الله الرؤوف الرحيم) (مرقس ١٠٨)

(يا الله الخلاص) (باللغة القبطية)

"البركة الكاملة. والنعمة الشاملة. علـــى ذات الأبنـــاء المبـــاركين. الأحبـــة الطائعين. القمامصة المدبرين. والكهنة المؤتمنين ــ الشمامسة المكرمين. الأراخنة المبجلين. وكافة الشعب المسيحى بارك الله عليهم بالبركات الروحانية الحالة علـــى رسله وأنبيائه وصانعى إرادته ووصاياه بشفاعة العذراء فى كل حين. آمين.

"بعد تجديد البركات اليهم واهداء السلام الروحانى عليهم. الموجب لاصـــدار هذه الرسالة إليهم" نعلم ودكم أننا نريد أن نشرح لكم بعض الأمور السائرة فى هذه الأيام. وإن كانت محزنة لكن الله قادر أن يبدلها بفرح وابتهاج. إلاّ أن الضـــرورة الجأتنا أن نورد لكم السبب الذى من أجله صارت هذه الأمـــور. لأن كـــل شـــئ موضوع له محمول. وكل موضوع ومحمول له نتيجة. والحال أننا إذا اســـتعملنا الأمور المنهى عنها. وابتدأنا أن نتعلم عادات الأمم الغريبة ولازمنا معاشرة فاعلى الشر. وأبدلنا حب بعضنا بعضا بالعداوة. ورحمة المساكين ومؤاساتهم التى تعلـــو كل فضيلة بدلناها بالقساوة وعدم الالتفات اليهم وبدلنا الطهارة بضدها. والتواضـــع بالرياء والصلف. واستعملنا أشياء كثيرة نستحى من ذكرها. وليس قولى هذا بقصد شتمكم. لأنى أنا مثلكم فى البشرية والطبع. ولست اتزكى قدام الله وانما قولى هـــذا أن أذكركم بالأسباب الموجبة لحلول الغضب والسخط. ونتيجة هذا حصل الغـــلاء والوباء وتسلط الحكام الذى هو أمر كل شئ. وأمور اخرى غير ذلك. وما يطـــول فيه الشرح منى. ما باشرناه جميعنا وكابدناه. وكل ذلك ونحن لا نرجع عن فعلنـــا الردئ. ولا نميل بقلوبنا نحو التعطف الالهى ليردعنا بسخطه. ونرجع عـــن ردئ أفعالنا. لأننا لو فعلنا ذلك لرفع الغضب ليس عنا فقط بل وعن الناس أجمعين. لأنه لو وجد فى أرض سادوم وعامورة عشرة أبرار لما أهلكها الرب. وأما نحـــن الآن فمثابرون ليس على الأعمال الصالحة بل على ضد ذلك. عكسنا المقدمـــات كلـــها وأضعنا تدبير حياتنا فيما لا ينفع ولا يبنى. فلا الشيخ يستحى من شـــيخوخته ولا الأب يحسن تدبير أولاده ينظر كيف يرضون الرب. ولا الشاب يشفق على شبابه. ولا النساء تستحى من بعولهن. ولا العذارى من بتوليتهن. واعاننا الله وإياكم مـــن

جميعهم زاغوا وطغوا. وليس من يعمل صلاحاً لا واحد"(مز ١٤: ١-٢و ٥٣: ٢). فلا يكن هذا يارب بل لتتركنا مراحمك لئلا يقال فى الأمم أين إلههم.

قد سمعتم ما ذكرناه لكم من المحن والتجارب التى حلت بنا فى هذه السنين فهلم الآن يا أحبائى نتأمل أعمالنا القبيحة. ونفحص أعمالنا الردية. تعالوا نفحص قلوبنا ونفتش ضمائرنا وننظر هل لنا نية خالصة على عمل الصلاح من الآن وصاعداً. وهل نبدأ سيرة التوبة أم لا. وهل نعزم على الصوم والصلاة والرحمة والصدقة على إخوتنا المساكين أم لا. وتهيأنا لحفظ الوصايا. والتزام سنن الرب التى إذا ما خالفها قوم نزل عضب الله عليهم. لقد تعدينا وصاياه. وعملنا ما لا يرضى صلاحه فمن أجل ذلك نزلت بنا هذه التجارب ونحن لا نرجع عن قبيح أفعالنا. فأى عين لا تبكى. وأى قلب لا يحزن. وأى فم لا يندب. وأى ضمير لا يذوب. فمن لنا بنائحات تولول على ما أصابنا. ومع ذلك فإننا إلى الآن ونحن لا نرجع عن سوء أفعالنا ونتعظ بإمهال الله علينا!

فإن كان ياأخوتى الجزاء فى العالم شديدةً حوادثه بهذا المقدار. فماذا يكون جوابنا يوم مجلس الديان العظيم على كرسى مجده. يوم تتكشف فيه خفايا الظلمات. يوم تضطرب فيه قوات السماوات. يوم تتساقط فيه الكواكب. يوم تنحل فيه السماء والأرض تنطوى كالرداء. يوم يجرى قدامه طوفان النار. يوم يظهر فيه الصديقون متلألئين مثل الشمس. يوم يكون فيه الخطاة مساقين بملائكة لا ترحم. مصفدين بالقيود الجهنمية إلى السجن الجحيمى الذى لا انفكاك منه.

"فاسألكم ياأخوتى بلين المسيح ووداعته أن لا يثقل عليكم كلامى. لأنى نطقت به من مرارة نفسى بصفتى أبوكم الشفيق. وأنا مثل الوالدة كثيرة الحنان على أولادها. والذى أرجوه من الرب وأتمناه دائما. واطلبه من رحمته أن لا يكون من هذا الحال حاله. بل تكونوا جميعاً كجسد واحد مؤلف من أعضاء كثيرة. شفوقين. رحومين. محبين. غيورين على فعل الخير. طاهرين مخلصين لله والناس. مقدسى النفس والجسد والروح. وهذا اكليلى وفخرى. وهذا نياحى وراحتى وفردوسى. أن تكون رعيتى بلا لوم قدام الله لانكم جميعاً جسدى وروحى. وثمرة أحشائى. وجراحكم كلها فى ضميرى.

"فالمطلوب من هذا جميعه، نتيجة خطابنا لكم، نقول لكم أن

النساء. الشيوخ والشبان. الكهنة والرهبان. والعلمانيون. فترجعون عما يغضب الله إلهنا. وننزع القساوة من قلوبنا. نسالم بعضنا بعضاً. ونقطع العادات الردية عنا. ونلازم الطهارة التى بدونها لا يعاين أحد مجد الله".

"ومن كان ناقصاً فى شئ من ذلك فنصلّ كلنا من أجله ونقول يارب لا بغضبك تبكتنا. ولا برجزك تؤدبنا. بل برحمتك دبرنا. وارحمنا يارب فإننا ضعفاء ومساكين. واشفق يا إلهنا على شعبك. وغنم رعيتك. لأننا صرنا كمثل الخراف وسط الذئاب. ومثل الغنم التى لا راعى لها فلتدركنا مراحمك يارب. فإننا نأتى إليك بنية صالحة وقلب مستقيم. فليرفع ربنا عنا هذه التجارب فى هذا الدهر الفانى. وفى الدهر الآتى. ويمتعنا بملكوته الأبدية بما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر. ويسمعنا وإياكم. صوته الفرح القائل: تعالوا يامباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم فليكن لنا جميعا بنعمة ربنا يسوع المسيح".

"كونوا محاللين مباركين من فم الله القدوس. ومن فم الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية الكنيسة. ومن أفواه الأباء وأصحاب المجامع الثلاثمائة وثمانية عشر بنيقية والمائة والخمسين بالقسطنطينية. والمائتين بأفسس. ومن فمي أنا الحقير"مرقس" خادم بنعمة الله الرتب المرقصية. التى لا تحد ولا تدرك. سلام الرب يحل عليكم والبركة والنعمة تحوط بكم مدى الليالى والأيام. والشكر لله دائما..

(طبق الدرج الأصلى المحفوظ بالقصر البطريركى)

فكانت لهذه الرسالة الرعوية التى تشف عن كل حنان وإخلاص ومحبة وغيرة على شعب الله أثر فعال فى نفوس أبناء الأمة القبطية فأثرت فيه نصيحة هذا البابا الورع الساعى إلى خلاص شعبه فانصلحت النفوس واستقامت الأحوال وسارت الأمور فى الطريق السوى.

١٢ . رسامة الأساقفة والمطارنة

وقد قام هذا البابا برسامة عدة أساقفة لابرشيات القطر المصرى كما قام برسم مطران للمملكة الحبشية وذلك على أثر مجئ بعض الرهبان والكهنة مع وفد

برسم الأنبا مكاريوس مطراناً للحبشة فى سنة ١٨٠٨م وأصحبهم بكتب تعليم ومواعظ لأن البابا سمع أن بعضهم اعتنق معتقدات الهراطقة لكي يثبتهم فى الأمانة المستقيمة.

١٣ . نياحة البابا مرقس الثامن

وبعد ذلك انتقل البابا مرقس الثامن من هذا العالم ومضى إلى رب الأرباب سيد البرايا يسوع المسيح له المجد الذى أحبه وأخلص فى خدمة شعبه والغيرة على بيعته وذلك فى يوم الخميس المبارك ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ش (٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٩م) واحتفلوا بجنازته فى يوم الجمعة احتفالا عظيما لايقا بقداسته وكرامته ودفنوا جثمانه الطاهر فى المقبرة التى أعدها غبطته تحت الكنيسة الجديدة التى شيدها على اسم القديس مرقس البشير بالأزبكية تنفيذاً لوصيته لاخوته الأساقفة وهو أول من دفن من الآباء القديسين بابوات الكرسى الرسولى الاسكندرى فى الأزبكية (كتاب ١٠١طقس ص٣٩"أ" بالدار البطريركية).

١٤ . مشاهير الرجال فى هذا العهد

لقد امتاز عهد البابا مرقس الثامن برجال عظام اشتهروا فى مجال الدين والسياسة امتيازاً عظيما مما يسجل لهم بالفخر والاكرام. ونخص بالذكر منهم حضرات:

(١) الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا (٢) المعلم جرجس الجوهرى
(٣) المعلم ملطى (٤) الجنرال يعقوب

أولاً . الأنبا يوساب الابح أسقف كرسى جرجا وأخميم

ولد هذا الأب الوقور والعالم الفاضل المشكور ببلدة النخيله بمديرية أسيوط فى سنة ١٤٥١ش (١٧٣٥م) وكان والده من أغنياء هذه البلدة المشهود لهم بالاحسان والرفق بالفقراء والمساكين فضلا عن شدة تمسكهم بالدين فربيا ولدهما يوسف أحسن تربية وعلماه فى كتاب البلدة. ولما بلغ من العمر ٢٥ عاما أراد والداه أن يزوجاه فرفض وامتنع عن تنفيذ غرضهما لأنه كان منذ صغره مشغوفا بالحياة النسكية ونفسه تواقه للمعيشة الرهبانية. وتنفيذاً لهذه الرغبة المقدسة قصد فى سنة ١٤٧٦ش (١٧٦٠م) عزبة دير القديس أنطونيوس ببلدة بوش بمديرية بنى

هناك استقبله رهبان الدير بكل ترحاب وحبور وفرحوا بقدومه إليهم لأنهم سمعوا عن فضائله ونسكه وإنهماكه فى الدرس والبحث فى الكتب النسكية ومطالعة أسفار العهدين المقدسين القديم والجديد وتعمقه فى المواضيع اللاهوتية وتضلعه فى المباحث العقائدية فاكتسب ثقتهم وتقديرهم لسمو مركزه والبسوه بعد فترة قصيرة ثياب الرهبنة وظل منكباً على مكتبة الدير لاستيعاب مخطوطاتها القيمة مدة طويلة حتى خلا فى أثنائها كرسى جرجا وأخميم.

وفى تلك الأثناء اتصل خبره بالبابا يوأنس البطريرك السابع بعد المائة وذاع سيطه وقتئذ فاستدعاه عنده وحجزه فى قلايته البطريركية بحارة الروم إلى أن تأكد قداسته من صحة ما امتاز به هذا الراهب من فضائل الورع والتقوى والعلم والاتضاع فدعا البابا مجمع الاساقفة وتشاور معهم على تقدمة هذا الأب اسقفاً على كرسى جرجا وأخميم. ولما بلغ هذا الخبر للأب يوسف اعتذر عن قبول منصب الاسقفية لكثرة أعبائه وزهداً منه فى المراكز العالية إلا أن البابا قام برسامته رغماً عن إرادته فى سنة ١٥٠٧ش (١٧٩١م) باسم الأنبا يوساب أسقف جرجا وأخميم.

ولما وصل إلى مقر كرسيه وجد الشعب مختلطا بالهراطقة والبعثات الرومانية الكاثوليكية فبذل جهداً جباراً فى سبيل لمّ شعبه وضمه إلى أحضان كنيسته الارثوذكسية.

وكان أول عمل خلد به ذكراه العاطرة أن قام بتشييد كنيسة فخمة فى مركز كرسيه كما بذل مجهوداً جباراً فى تعليم شعبه حقائق معتقدات كنيسة الإسكندرية وتمكن بذلك من رد الضالين إلى أحضان البيعة المقدسة وهداية الكثيرين إلى التعاليم الحقة المستقيمة.

قد وضع هذا الأب الجليل عدة مقالات عن تجسد السيد المسيح وحل كثيراً من المعضلات الدينية وفسر الآيات الكتابية التفاسير القويمة وقام فى الوقت ذاته بتقويم أخلاق شعبه وبث روح المسيحية الصحيحة فى أطوار حياتهم حتى أبطل بذلك العوايد المستهجنة التى كانت تجرى وقت الصلاة فى الكنيسة وخارجها كما أفلح فى القضاء على المشاجرات والمخاصمات التى كانت تقع من المعاندين للحق.

الكنسية. ولذلك اختاره البابا يوأنس الثامن عشر ليقوم بحملة دينية قوية ضد الرسالات الكاثوليكية. لأنها كانت فى ذاك العصر تسعى إلى اجتذاب الكنائس الشرقية عامة والكنيسة القبطية خاصة. فرأت كنيسة روميه من وسائل التأثير على رومية هذه الكنائس أن تقوم بطبع محاضر مجمع خلقيدونية المسكونى ولكنها اخفقت بنشره فى تحقيق غرضها بل أيدت به حجة دعوى الكنيسة المصرية وبراءة البابا ديسقورس البطريرك (٢٥) مما اتهمته به الكنائس المنشقة عن حظيرة الجامعة الرسولية المقدسة التى علمت منذ البدء ولم تزل تعلم إلى يومنا هذا بأن المسيح مخلص العالم الوحيد كامل فى لاهوته كامل فى ناسوته بطبيعة واحدة بغير امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير ورب واحد لمجد الله الآب. وقد نادى القديس ديسقورس المجاهد العظيم والشهيد الجليل بكل صراحة فى هذا المجمع الخلقيدونى قائلا: إننا لا نقول بالاختلاط ولا الامتزاج ولا الاستحالة (خلقيدونية ص١١٤و١١٥) كما نادى أيضاً فى هذا المجمع قائلا:"أما إن كان أوطاخى يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو يستحق ليس فقط العقاب بل النار أيضاً فاما أنا فإنى مهتم بالأمانة الجامعة الرسولية دون النظر إلى الاهتمام بشأن أحد من الناس بل فكرى شاخص إلى اللاهوت لا أهتم بأحد إلا بنفسى وبالأمانة المستقيمة الصحيحة (خلقيدونية ص ٨٩ باب ١٨) واستمرت كنيسة الإسكندرية فى المحافظة على تعاليم آبائها أثناسيوس وكيرلس وديسقورس القائلة بطبيعة واحدة متجسدة منزهة اللاهوت عن التأثر والانفعال وفى سبيل المحافظة على هذا المعتقد الصحيح أضافت الكنيسة فى أيام البابا غبريال بن تريك البطريرك (٧٠) إلى الاعتراف إلى النفس الأخير أن هذا هو جسد ربنا يسوع المسيح الذى أخذه من والدة الإله مريم العذراء وجعله واحداً مع لاهوته "بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير" وذلك دفعاً لكل لبس.

فاهتم البابا يوأنس الثامن عشر لما وردت إليه رسالة بابا روميه يومئذ يطلب الانضمام إلى كنيسته ومعتقداتها واستدعى الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا وأخميم لفحص هذه الرسالة والقيام بالدفاع عن صحة معتقدات الكنيسة القبطية التى تسلمتها منذ فجر النصرانية وحافظت عليها سليمة.

فقام اللاهوتى الكبير الأنبا يوساب الأبحى بدراسة هذه الرسالة دراسة

ادعاءات روميه من اساسها وقد أثبتنا الرد بحرفيته فى سيرة البابا يوأنس السلف الذكر وياء بعد ذلك بابا رومية بالخيبة وندم على نشر محاضر مجمع خلقيدونية.

وقام الأنبا يوساب الأبح بتأليف كتاب ثمين يدعى:"سلاح المؤمنين" ضمنه معتقدات الكنيسة القبطية وتعاليمها القويمة الصريحة كما وضع كتب أخرى نسبها للبابا يوأنس.

ولما تنيح البابا يوأنس الثامن عشر قام الأنبا يوساب برثائه رثاء مؤثراً كما قام برثاء الأرخن العظيم ساكن الفردوس المعلم إبراهيم الجوهرى فى يوم وفاته.

واشترك هذا الأب الجليل والعالم الفضيل فى اختيار البابا مرقس خليفة لسلفه البابا يوأنس الثامن عشر فى يوم ٢٤ توت سنة ١٥١٣ش (٢أكتوبر سنة ١٧٩٦م) الذى احتفلت فيه الكنيسة برسامته كما قام برثائه فى يوم وفاته فى ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ش (٢١ديسمبر سنة ١٨٠٩م).

كما اشترك أيضاً هذا الشيخ الوقور فى انتخاب البابا بطرس السابع الشهير بالجاولى وقام مع الآباء الأساقفة برسامته فى يوم ١٦ كيهك ١٥٢٦ش (٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٩م) بكنيسة مارمرقس بالأزبكية.

وكان الأنبا يوساب الأبح رحوما بالفقراء لا يأخذ بالوجوه ولا يحابى المتقاضين ولا يقبل رشوة فى أي سبيل. أما ما كان يفضل منه من إيراد الكرسى فكان يرسله إلى أخوته الرهبان بالأديرة ولم يكن يملك شيئا إلا ما يستر به جسده وما يحتاج إليه من الكفن ولم ينطق بغير الحق ولم يهب سلاطين العالم ولا الرؤساء ولا الزعماء الأغنياء وغيرهم فى سبيل نصرة الحق والدفاع عن الدين.

وقد رعى هذا البار شعبه أحسن رعاية ولما أراد الله انتقاله من هذا العالم مرض عدة أيام قضى البعض منها فى كرسيه بأخميم والبعض بالقلاية فى ضيافة البابا بطرس الجاولى ثم توجه إلى ديره بالبرية فتلقاه الرهبان بالتهليل والفرح وهناك انتهت حياته الصالحة أسلم روحه الطاهرة فى يد الرب القدوس الذى أحبه فى يوم ١٧ طوبه سنة ١٥٤٢ش الموافق ٢٤ يناير سنة ١٨٢٦م وكانت مدة حياته احدى وتسعين سنة. وقد كافأته الكنيسة بذكر اسمه وتاريخه فى سنكسار اليوم المذكور.

ثانياً. المعلم الكبير والارخن الجليل جرجس الجوهرى كبير المباشرين

إن المعلم جرجس الجوهرى هو أخ المعلم إبراهيم الجوهرى الذى وردت سيرته فى تاريخ البابا يوأنس الثامن عشر. وكان جرجس من مشاهير الأقباط فى أواخر الجيل الثامن عشر وأوائل التاسع عشر وهو ابن المعلم يوسف جوهرى. قد تربى مثل أخيه فى كتاب مدينة قليوب تربية ذاك العصر فتعلم الكتابة والحساب والخط علاوة على العلوم الدينية واللغة القبطية التى كانت وقتئذ تدرس اجباريا فى جميع الكتاتيب والتى اهملت بكل أسف فى عصرنا هذا فى المدارس القبطية.

ولما كبر أشركه المعلم إبراهيم الجوهرى شقيقه فى الأعمال والأمور الكتابية فكان له خير معلم وأحسن مرشد بل كانت عشرته لأخيه ذات أثر فعال فى مستقبل حياته وسبباً فى نجاحه عندما تبوأ رئاسة المباشرين بعد وفاة المرحوم أخيه.

وقد كانت ظروف المعلم جرجس غير ظروف أخيه لأن المعلم إبراهيم باشر أعماله مدة حياته مع الأمراء المماليك الذين قدروه ولكن المعلم جرجس باشر أمور الحكومة الكتابية والمالية فى أربعة عهود مختلفة واحتك بكثير من حكام متباينين فى العادات والأخلاق والدين.

أولاً: (عهده فى مدة حكم المماليك)

قد كان فى عهد رئاسة أخيه المعلم إبراهيم الجوهرى فى أيام الأميرين إبراهيم بك ومراد بك معاوناً له فى تأدية مهام مالية الدولة وأمورها الكتابية وظل مساعداً لأخيه حتى مجئ حسن باشا قبطان من قبل الدولة العثمانية فى سنة ١٧٨٦م لتأديب الأميرين إبراهيم بك ومراد بك. فهرب الأميران فى يوليه سنة ١٧٨٦م إلى الصعيد الأعلى وفر معهما المعلم إبراهيم الجوهرى وتقلد بدلاً منهما شياخة البلد الأمير اسماعيل بك قبل عودة قبطان باشا للاستانة.

ولكن المعلم جرجس الجوهرى بقى بالقاهرة مباشراً أعمال الديوان مدة قيام اسماعيل بك بمهام شياخة البلد. وذكر يعقوب بك نخله روفيله فى تاريخ الأمة القبطية:"وكان بين الكتبة النصارى الذين تحت إدارة المعلم جرجس الجوهرى رجل يدعى المعلم يوسف كساب من عائلة سورية الأصل سولت له نفسه الإمارة بالسوء أن يسعى عند مخدومه وهو إذ ذاك إسماعيل بك واتهمه بما ليس فيه. وإذ

رئيساً على الدواوين. ولكن لم تمض أيام حتى ظهرت لاسماعيل بك خيانة يوسف المذكور. ولما انكشف الأمر لاسماعيل بك قبض عليه وأمر بتغريقه فى نهر النيل وأعاد المعلم جرجس الجوهرى إلى منصبه كما كان. وخبر ذلك أنه كان على العساكر الاناؤود رئيس يسمى صالح أغا تواطأ مع الأمراء الفارين فى الصعيد على أن يسلمهم المراكب والقلاع التى بناحية طره والجيزة وكان الواسطة فى ذلك هو يوسف كساب المذكور. ولما انكشف الأمر لاسماعيل بك قبض عليه وألزمه بالمبلغ الذى كان أعطاه له الأمراء فى نظير هذه الوساطة وأخذ منه سنداً به وحصله من ممتلكاته التى أوقع الحجز عليها. وبعد ذلك أمر بتغريقه فى نهر النيل. أما صالح أغا فطرده من مصر منفياً" (ص٢٨٣-٢٨٤).

وظل المعلم جرجس الجوهرى شاغلا مركز أخيه من وقت اختفائه فى سنة ١٧٨٦م إلى أن عاد الأميران إبراهيم بك ومراد بك ومعهما المعلم إبراهيم الجوهرى إلى القاهرة فى سنة ١٧٩١م. ولما عاد المعلم إبراهيم إلى القاهرة تنحى له أخوه المعلم جرجس عن رئاسة الكتاب وعادت إليه الرئاسة والسلطة كما كان قبل النفى.

ولما انتقل المعلم إبراهيم من هذا العالم فى ٣١مايو سنة ١٧٩٤م قلد الأمير إبراهيم بك المعلم جرجس منصب رئاسة المباشرين مكان أخيه وأصبح صاحب الكلمة المسموعة فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها (الجبرتى جزء ٣).

وظل المعلم جرجس فى مركز رئاسة المباشرين حتى أتت الحملة الفرنسية إلى مصر.

ثانياً: (مدة حكم الفرنسيين)

ولما خلا الجو للأميرين إبراهيم بك ومراد بك تصرفا فى أمور الدولة بكل حزم وشدة وشدة إلا أنهما اشتطا فى ابتزاز أموال الناس واستبدا بالتجار الأجانب وخصوصاً الفرنسيين. فكثرت شكاوى هؤلاء إلى دولهم مما لفت نظر أوربا إلى مصر وجعلها الفرنسيين سبباً لاغارتهم عليها فى سنة ١٧٩٨م تحت ستار تأديب المماليك واستخلاص البلاد من جور حكمهم.

فوصلت الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية بقيادة الجنرال بونابرت فى أول

وكلف المعلم جرجس رئيس المباشرين باعداد قصر محمد بك الألفى على شاطئ بركة الأزبكية لاقامة نابليون بونابرت قائد الحملة. فقام بفرشه وتجهيزه ونزل فيه القائد المذكور. وكان هذا الحادث سبب التعارف بينه وبين المعلم جرجس. وظل هذا القصر مقاما لقواد الحملة كليبر ومينو بعد سفر نابليون.

ولما قامت الثورة فى القاهرة فى مارس سنة١٧٩٩م ضد الفرنسيين انحصر الأقباط فى دورهم وخافوا من النهب والسلب والسطو. فقام المعلم جرجس ومعه أكابر الأقباط وطلبوا الأمان من المتصدرين للحركة فأمنوهم وحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء بالمال واللوازم (الجبرتى جزء ثالث ص ١٠١).

وكان المعلم جرجس منظور فى مدة حكم الفرنسيين بعين الاحترام واعتبروه عميد للقبط وثبتوه فى مركزه وهو رئاسة الدواوين لما تحققوا فيه سداد الرأى وعدالة الحكم وحسن التدبير حتى اطلق عليه لقب رئيس الرؤساء (الجبرتى جزء رابع ص١٣٤) (نوابغ الأقباط للبحاثة توفيق اسكاروس جزء ثان ص٢٨٦).

وكان الفرنسيون يستصحبونه معهم فى انتقالاتهم داخل البلاد فزامل بونابرت عند سفره إلى السويس لقطع شأفة الأمير إبراهيم بك كما صحبه أعيان الفرنسيين وقوادهم عندما رحلوا إلى جهة بحرى فى ١٨ مارس سنة ١٨٠٠م (الجبرتى جزء ثالث ص٣٨).

وقرب نابليون المعلم جرجس إلى مجلسه وكان يستأنس برأيه فى كل مهام البلاد الداخلية والمالية وخلع عليه كسوة فخرية يرتديها فى الحفلات الرسمية. ففى يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨م كان يوم عيد الفرنسيين فضربوا فى صبيحته مدافع كثيرة ودقوا طبولهم واجتمعت عساكرهم ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط والشوام فاجتمعوا فى بيت سارى عسكر بونابرت وجلسوا حصة من النهار ولبسوا فى ذلك اليوم ملابس الافتخار ولبس المعلم جرجس كركة بطراز قصب على أكتافها إلى أكمامها وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار وكذلك فيلثاوس وتعمموا بالعمايم الكشمير وركبوا البغال الفارهة واظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية (الجبرتى جزء ثالث ص١٨و١٩).

وظل المعلم جرجس محافظا على رئاسة الكتاب والمباشرين وحائزاً على ثقة

الفرنسيين عن مصر فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١م بعد أن قضوا فيها نحو ثلاثة أعوام.

ثالثا: (مدة حكم الأتراك)

أخلت الجيوش الفرنسية القاهرة فى ١٤ يوليه سنة ١٨٠١م ودخلتها الجنود التركية وبعض رجال الجيش الإنجليزي ومعهم أمراء مصر إبراهيم بك الكبير والبرديسى والألفى والسيد عمر مكرم وغيرهم وامتلأت قلوب الأمة المصرية فرحا لتخلصهم من الاحتلال الفرنسى. وتعيين خسرو باشا واليا على الديار المصرية.

وقد حضر لمصر فى سنة ١٨٠١م محمد على (مؤسس العائلة المالكة المصرية) مع جيش القبطان حسن باشا الذى أوفدته الدولة العثمانية لمحاربة الفرنسيين فى مصر وبقى فى القاهرة من ذاك الحين إلى أن صار واليا عليها.

وفى ٩ سبتمبر سنة ١٨٠١م قرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا مُنوهاً فيها بذكر أعيان الكتبة الأقباط والتوصية عليهم مثل جرجس الجوهرى وواصف ملطى لمقدرتهم فى تحرير الأموال الأميرية. وعند مجئ الوزير والعثمانيين قدموا المعلم جرجس وأجلسوه لما يسديه عليهم من الهدايا والرغايب حتى كانوا يطلقون عليه اسم جرجس أفندى وقد رآه الجبرى يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف أفندى الدفتردار ويشرب بحضرتهم الدخان وغيره ويراعون جانبه ويشاورونه فى الأمور (الجبرتى جزء ثالث ص٢٠٤و٢٠٧ وجزء رابع ص١٣٤).

وعندما حضرت حرم الباشا الوالى وحاشيتها وسراريه من الديار الرومية فى يونيه سنة ١٨٠٢م أسكنهم المعلم جرجس بيت خليل باشا البكرى بعد اعداده وزخرفته وفرشه بالأثاث الفاخر وقام المحروقى بفرش مكان والمعلم جرجس فرش وكذلك أحمد بن محرم. واعتنوا بذلك اعتناء زائداً حتى أن المعلم جرجس فرش بساطا من الكشمير وغير ذلك عمل وليمة العقد وعقد على اثنين فى آن واحد (الجبرتى جزء ثالث ص٢٣٩).

وفى أول سنة ١٨٠٣م ثارت العساكر التركية فى شهر مايو على الوالى ثم

جرجس الجوهرى وأخذوا منه أشياء نفيسه وفراوى مثمنة فاراد طاهر باشا قائد فرقة الالبانيين مساعدة الوالى فلم يفلح وانضم للعصاة (الجبرتى جزء٣ص٢٥٦).

ولما لم يجد خسرو باشا الوالى جنداً تحميه ولى هاربا إلى دمياط وبقى فيها ينتظر فرصة يسترد بها ما فقده وبعد فراره جمع طاهر باشا كبار العلماء وأشراف العاصمة ونادوا به حاكما على مصر حتى يقيم الباب العالى خلفاً لخسرو باشا. ولم يكمل طاهر باشا شهراً واحداً حتى تألب عليه الجند بسبب عدم دفع الرواتب واغتاله أحد الضباط. واصبح بعد ذلك محمد على الذى يلى طاهر باشا فى الرتبة فى الجيش رئيساً للاجناد إذ خلى له الطريق بهرب خسرو باشا وقتل طاهر باشا فانضم إلى عثمان بك البرديسى وتحالفا معاً ونصبا إبراهيم بك الكبير نائباً عن الوالى العثمانى وطردوا الانكشارية وكذا أحمد باشا والى المدينة ويتبع الذى كان مقيما فى مصر فى ذاك الحين (الجبرتى جزء ثالث ص٢٥٩و٢٦١و٢٦٢و٢٦٣).

وبعد ذلك بزمن يسير أمكن محمد على التخلص من البرديسى الذى فر مع محمد بك الألفى إلى الصعيد وعين الباب العالى أحمد خورشيد باشا واليا جديداً على مصر (الجبرتى جزء ثالث ص٣٠٥).

وفى ٢١ مارس سنة ١٨٠٣م وصل أحمد خورشيد باشا إلى منوف فقام السيد أحمد المحروقى والمعلم جرجس الجوهرى بتجديد عمارة بيت إبراهيم بك بالداودية وفرشاه وفى ٢٦ منه وصل القاهرة وأقام فى هذا القصر بالداودية إلى أن انتقل منه إلى بيت البكرى بالأزبكية (الجبرتى جزء ثالث ص٣٠٥و٣٤٥).

وفى ٢٣ مارس سنة ١٨٠٤م خلع الوالى الجديد على السيد أحمد المحروقى فروة سمور واقره فى منصب أمانة الضربخانة وشاهبندرية التجار وكذلك خلع على جرجس الجوهرى واقره فى وظيفة رئاسة المباشرين (الجبرتى جزء ثالث ص٣١٠).

وفى ٨ مايو سنة ١٨٠٤م سافر الشيخ الشرقاوى إلى مولد السيد البدوى بطنطا واعتزم السفر معه السيد أحمد المحروقى والمعلم جرجس الجوهرى واستاذنا الباشا فسمح لهما ولكنهما لما علما بقدوم الأمراء المماليك من الصعيد

وفى ٢٩ يونيه سنة ١٨٠٤م أحضر الباشا إلى مجلسه المعلم جرجس الجوهرى وكبار الكتبة وعددهم اثنان وعشرون قبطياً ولم تجر العادة باحضارهم فخلع عليهم أيضاً ثم نزلوا إلى بيت المحروقى فتناولوا طعام الغدا عنده ثم حجزهم إلى العصر. وبعد ذلك طلبهم الباشا إلى القلعة وحبسهم تلك الليلة واستمروا فى الترسيم حتى طلب إليهم الف كيس وأفرج عنهم فى ٥ يوليه سنة ١٨٠٤م بعد أن قرروا عليهم ألف كيس خلاف البرانى وقدره ٢٥٠ كيس ونزلوا إلى بيوتهم بعد العشاء الأخير فى الفوانيس (الجبرتى جزء ثالث ص٣١٩و٣٢٠).

وفى ٦ يناير سنة ١٨٠٥م سافر السيد محمد بن المحروقى والمعلم جرجس الجوهرى ومعهما جملة من العسكر إلى جهة القليوبية بسبب القافلة المنهوبة ورجعا من هناك فى ٢٣ منه وأحضروا معهما بعض أحمال قليلة بعدما صرف أضعافها فى مصالح وكساو للعرب وغير ذلك (الجبرتى جزء ثالث ص٣٣٥).

وقد كان خورشيد باشا ضعيف الإرادة وعجز كاسلافه عن دفع رواتب الجند الأتراك فعاد هؤلاء إلى السلب والنهب فاغتنم محمد على ورجاله الالبانيين هذه الفرصة لحماية الأهالى واكتساب رضاهم وحاصر خورشيد باشا فى القلعة وأطلق عليه المدافع فى مايو سنة ١٨٠٥م وحينئذ اجتمع علماء البلد ووجهاؤها وأقاموا محمد على والياً على مصر. وقد وافق الباب العالى على رغبة الأهالى وعينه واليا على مصر فى يوليه سنة ١٨٠٥م وتولى خورشيد باشا عن القلعة وسلمها إليه (التوفيقات الإلهامية ص ٦١٠ والجبرتى ص ٣٥٠وص٣٥٧جزء ثالث).

رابعاً: (مدة حكم محمد على باشا)

ظل المعلم جرجس فى رئاسة المباشرين بعد زوال حكم الولاة العثمانيين وكذا عندما بدأ محمد على باشا بالعمل على تعزيز مركزه وتثبيت سلطانه إلى أن قام باعباء الحكم فى مصر منذ مايو سنة ١٨٠٥م.

وفى أول مايو سنة ١٨٠٥م طلب محمد على من ابن المحروقى وجرجس الجوهرى ألفى كيس وفى ليلة ١٢ يونيه سنة ١٨٠٥ حضر كتخدا محمد على وجرجس الجوهرى إلى بيت السيد عمر وحضر أيضاً الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والقاضى وتشاوروا فيما عرضه عليهم محمد على من الشئون والأراء وفى

ولما استقرت الولاية بمحمد على عمل على استرضاء الجند بصرف المتأخر من مرتباتهم وطلب فى ١٨ يوليه سنة ١٨٠٥م سلفة من أقباط مصر وقسمها على كبرائهم فكان ذلك أول قرض عقده بعد ولايته وكانت قيمته كبيرة.

وفى ٣ أغسطس سنة ١٨٠٥م قبض على المعلم جرجس الجوهرى ومعه جماعة من الأقباط وحبسهم فى بيت كتخداه وطلب الحساب من ابتداء سنة ١٢١٥هـ (سنة ١٨٠٠م) وأحضر المعلم غالى الذى كان كاتب الألفى بالصعيد وأقامه فى منصب رئاسة الكتاب المباشرين مكانه وكلفه بعمل حساب التزامه عن الخمس سنوات الماضية وبعد سبعة أيام أفرج عنه وعمن معه على شرط أن يدفع أربعة آلاف وثمانمائة كيس وأن يبقى على حاله.

فقام المعلم جرجس بدفع مبلغ عظيم من هذا المقدار ووزع الباقى على الكتاب والصيارفة ماعدا المعلم غالى والمعلم فلتاوس لأسباب اختلفت فيها الأقوال. فحصل من ذلك له وللأقباط مضايقات شديدة اضطرته إلى التنازل عن أفخر أملاكه ولاسيما التى كانت على بركة الأزبكية وقنطرة الدكة ولم تزل فى أوقاف أمراء العائلة العلوية. ومن ذلك الحين أخذ نجم المعلم جرجس فى الأفول (الجبرتى جزء ثالث ص٣٦٢و٣٦٤).

ولما كثرت معارضة المعلم جرجس الجوهرى لمحمد على باشا وتوقفه عن تحصيل الأموال رحمة بالعباد خاف سوء العاقبة وخشى غضب الوالى عليه فلم يسعه غير الهرب من أمامه إلى الأقاليم القبلية فركب فى يوم الأحد ٩ سبتمبر سنة ١٨٠٥م من دير مصر القديمة إلى الأمراء المماليك بالوجه القبلى وقيل أن محمد على نفاه إلى الصعيد (الجبرتى جزء رابع ص١٣٤).

ولما شاع خبر اختفائه فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٠٥م دعا محمد على المعلمين فلتاؤوس وغالى وجرجس الطويل فى هذا الشأن وفى ١٥ منه نزع البلاد التى كانت التزام المعلم جرجس الجوهرى وطرحها فى المزاد فاشتراها القادرون والراغبون (الجبرتى جزء ثالث ص ٣٦٥و٣٦٦).

وفى ٢٠ منه استدعى البطريرك وتكلم معه فى أمر هروب المعلم جرجس وانتهى الأمر على المصالحة بدفع ١٤٠ كيساً وزعها الأقباط على بعضهم

وبعد أربع سنين قضاها المعلم جرجس مختفيا صرح له محمد على بالعودة إلى مصر بأمان فدخلها فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٠٩م ولما حضر دهب إلى دار الولاية وقابل محمد على باشا فأكرمه ونزل فى بيته الذى بحارة الوندياك. وفرشه له المعلم غالى وقام له بجميع لوازمه وذهب مسلمهم ونصرانيهم وعالمهم وجاهلهم للسلام عليه (الجبرتى جزء رابع ص١٠٨).

خامساً: (حياة جرجس الجوهرى الخاصة)

تزوج المعلم جرجس الجوهرى ورزق بابنة واحدة تدعى مختارة. وأخذ الفرنسيون صورة له أثناء اقامتهم بمصر ووضعوها فى متحف فرساى بباريس فى القاعة الشرقية ويؤخذ من صورته أنه كان قمحى اللون ربع الجسم ممتلئة عيناه عسليتان أسود اللحية مع بعض الشيب ويلبس عمامة من الكشمير الأحمر القاتم فيها نجوم صفراء قصبية وفراجية من جوخ بنى فاتح وقفطان شاهى بنملة صفراء رفيعة وقلم كحلى غامق عريض وحزام كشمير من نوع العمامة وفى يده شبق للتدخين له تركيبة من أحجار كريمة ومنقوش بالذهب (نوابع الأقباط لتوفيق اسكاروس جزء ثان ص٢٨٨).

وقد كان عظيم النفس يعطى العطايا ويفرق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوى والبن. ويعطى ويهب. وبنى عدة بيوت بحارة الوندياك والأزبكية. وأنشأ داراً كبيرة وهى التى يسكنها الدفتردار ويعمل فيها الباشا وابنيه الدواوين عند قنطرة الدكة (الجبرتى جزء رابع ص١٣٤).

وكان يقف على أبواب الحجاب والخدم. ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالى وتداخل فى الباشا الوالى ومهد له السبيل لأخذ الأموال والمترجم يدافع فى ذلك وإذا طلب الباشا طلباً واسعاً من المعلم جرجس كان يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فيأتى المعلم غالي فيسهل له الأمور ويفتح له أبواب التحصيل دون النظر إلى الرأفة فى عباد الله الذين كادوا أن يختنقوا من شدة التحصيل وارتفاع قيمة الأموال فضاق المعلم جرجس وخاف على نفسه فهرب إلى قبلى ثم حضر بأمان وانحط قدره ولازمته الأمراض حتى مات فى أواخر شعبان (٢٧ منه) فى يوم ١٧

سادساً: (حياته الطائفية)

وقد عاصر المعلم جرجس الجوهرى من البطاركة البابا يوأنس الثامن عشر والبابا مرقس الثامن. وكان يبذل قصارى جهده فى العمل لخير كنيسته وإعلاء شأن طائفته وهى لا تقل قيمة عما قام به أخوه المعلم إبراهيم الجوهرى. وكان شريكا له فى تعمير الكنائس والأديرة وعمل الوقفيات وغيرها من أعمال البر والإحسان وتموين الكنائس والأديرة بالكتب الدينية الثمينة بعد نسخها علي نفقته وتقديم الشموع والبخور والأوانى وضواحيهما. وقد وجه عنايته الكبرى بالاتحاد مع البابا مرقس الثامن وأعيان الشعب إلى إنشاء كنيسة ودار لمقر البطريركية بالأزبكية فى أملاكه وأملاك أخيه وأملاك الجنرال يعقوب والمعلم ملطى وذلك تحقيقاً لرغبة شقيقه الذى سعى وتحصل على فرمان من الباب العالى ببنائها قبل وفاته.

ولما عاد من النفى فى ٢١ يوليه سنة ١٨٠٩م اعتلت صحته ولزم بيته إلى أن انتقل إلى دار الخلود فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٠م (الجبرتى جزء رابع ص١٣٤).

ودفن بجوار شقيقه المعلم إبراهيم بالمدفن الخاص المجاور لدير مارجرجس بدرب التقا بمصر القديمة ولا يزال قبرهما موجوداً للآن ولكنه تخرب وظل متخرباً منسياً زمناً طويلا إلى أن قامت جمعية نهضة الكنائس المشمولة برئاسة الأرخن الكبير الدكتور أيوب فرج عضو المجلس الملى العام بتجديد هذا القبر بعمارة فخمة لايقة بكرامة هذين الارخنين العظيمين فى عهد البابا يوأنس التاسع عشر البطريرك (١١٣) واحتفل بذلك رسميا فى يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٩٣٨م بحضور قداسة البابا واستمرت هذه الجمعية الزاهرة تقيم سنويا على هذه المقبرة قداساً وتذكاراً خالداً.

ثالثاً. المعلم ملطى القبطى

كان المعلم ملطى القبطى كاتبا عند أيوب بك الدفتردار أحد مماليك محمد بك أبو الذهب وقد تولى الامارة والصنجقية بعد موت استاذه فى موقعة امبابه الحربية التى هزم فيها الفرنسيون جيش المماليك واستولوا بعدها على مصر.

المسلمين برئاسة المعلم ملطى القبطى فوض إليه الفصل فى أمور التجارة وقضايا العامة والمواريث والدعاوى وجعل لذلك الديوان قواعدا وأركانا وكتب فيها نسخا كثيرة أرسلت للأعيان وغيرهم. وكان الأعضاء يجتمعون كل يوم ويتذاكرون واستقر رأيهم على أن تبقى المحاكم والقضايا الشرعية على ترتيبها. ولضبط الرسوم المحصلة قرروا ما يأخذه القضاة ونوابهم على الأموال والحجج العقارية على درجات ثلاث: أعلى وأدنى ووسط.

ثم اجتمعوا بالديوان فى يوم الأحد (٢٦ ربيع الثانى الموافق ٨ أكتوبر) وباشروا أعمالهم. ولما جاء ذكر المواريث قال المعلم ملطى: "ياحضرات المشايخ خبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث" فأخبروه بالقسمة الشرعية. قال:"ومن أين نعلم ذلك" قالا:"من القرآن الكريم" وأخذوا يتلون بعض آيات المواريث. فقال ميخائيل كحيل الشامى:"نحن والقبط، يقسم المسلمون لها المواريث والتمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة والدليل عليها فكتبوا لهم فاستحسنوه (الجبرتى جزء ثالث ص ٢٠ والخطط التوفيقية جزء ٣ ص٦٥).

عندما شرعت الجيوش الفرنسية فى الرحيل قامت الفتنة فى البلاد فاضطر الفرنسيون إلى اخمادها. واستطاعوا أن يشتتوا شمل الجيش العثمانى وقلول المماليك وكسروا شوكتهم.

وخلال هذه الثورة طلب عظماء القبط المعلم جرجس الجوهرى والمعلم فيلوثاوس والمعلم ملطى من كبار المسلمين المساعدة لأنهم تحصنوا فى دروهم لم يستطيعوا الخروج منها خوفا من نهبها. فأمنوهم على أنفسهم وأموالهم فخرجوا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء وأعانوهم بالمال واللوازم. أما الجنرال يعقوب قائد الفيلق القبطى فإنه مكث فى داره بالدرب الواسع واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر للدفاع وتحصن بقلعته التى كان قد شيدها بعد الواقعة الأولى. وكان حسن بك الجداوى يشن عليه الغارة (الجبرتى جزء ٣ ص١٠١).

وتم الاتفاق بين العثمانيين والانجليز من جهة وبين الفرنسيين من الجهة الأخرى على اخلاء البلاد ورجوع الجيش إلى فرنسا. واستلم العثمانيون زمام الحكم فى البلاد.

صحبة عثمان كتخدا وفيها التنويه بذكر أعيان القبط والتوصية عليهم وخص بالذكر المعلم جرجس الجوهرى والمعلم واصف والمعلم ملطى والمقدمين فى تحرير الأموال الأميرية (الجبرتى جزء ثالث ص٢٠٠و٢٠٧).

واضطربت حالة البلاد واختل الأمن بها فى أواخر سنة ١٢١٧ حتى شهر محرم سنة ١٢١٨هـ (أبريل سنة ١٨٠٣م) فى أيام طاهر باشا والى مصر بالنيابة وفرض الثائرون على كتبة القبط خمسمائة كيس. وقبضوا على جماعة منهم وحبسوهم.

وفى يوم الخميس ٢٧ محرم الموافق ١٩ مايو سنة ١٨٠٣م قبضوا على المعلم ملطى القبطى وقطعوا رقبته عند باب زويله (الجبرتى جزء ثالث ص٢٦١) ونال بذلك إكليل الشهادة.

وفى عهد البابا مرقس الثامن شيد المعلم جرجس الجوهرى وكبار الأمة القبطية كنيسة مارمرقس بالأزبكية فى أرض من أملاك الأمير يعقوب والمعلم ملطى (كتاب رقم ١٥ تاريخ ص٣٠٩"أ" و٣١٠).

رابعاً. الجنرال يعقوب حنا القبطى

ولد النابغة يعقوب بن حنا القبطى حوالى عام ١٧٤٥م واتخذه سليمان بك أحد رجال على بك الكبير وكيلا عاما له على أسيوط. وكان إدارة هذه الوكالة واسعة الاكتاف متشعبة الاطراف وصفها بعض الكتاب بأنها لا تقل عن وزارة مالية بأقصى حدود الوظيفة وأوسع معانيها.

ولم يكن المعلم يعقوب هذا إدارياً حازما أو مالياً قديراً فقط بل كان فوق ذلك بطلا مغواراً وفارساً مهيباً إذا ما استعر لظى الهيجاء كما كان مفكراً حكيماً ومشيراً سديد الرأى إذا ما دعا داعى الفضيلة أو صودفت المعضلات.

ولم يكن المعلم يعقوب مقصوراً على اعباء إدارته المالية الواسعة بل كنت تراه يخوض غمار الحرب وميادين القتال غير هياب ولا وجل. فقد كان بجانب سليمان بك ــ والدنيا مدبرة ــ حين هرب أمام جيوش الاتراك المنتصرة كما كان بجانبه ــ والدنيا مقبلة ــ مع مراد بك وقد انهزمت أمامهما نفس هذه الجيوش العثمانية شهر منهزم فى واقعة المنشية بأسيوط فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٩٨م

وحدث بعد هذا أن زحفت الجيوش الفرنسية على مصر فتألب المماليك على المسيحيين وهجموا على بيوتهم وكنائسهم وأديرتهم للتنقيب عن الأسلحة وغيرها وسجنوهم وعذبوهم. فانضم المعلم يعقوب إلى قواد الفرنسيين وأفادهم بخبرته المالية والحربية كل الفائدة إذ دبر لهم مؤونة العساكر وملبسهم ودلهم عل بعض المواقع الحربية واشترك معهم فى كثير من المواقع.

وتولى القيادة بنفسه فى أثناء حملة الصعيد فى واقعة "عين القوصية" حيث هاجم عدداً من المماليك لا يقل قوة عن عشرة أمثال قوته عدداً وعدةَ فابلى بلاءً حسناً وكان يوما مشهوداً قلده فى مسائه "ديسيه" قائد نابليون المشهور سيفاً كتب على نصله اسم الواقعة فى حفلة رهيبة على مشهد من جميع الجيوش. وقد جمعت خصيصاً لتلك الحفلة. ومازال هذا السيف باقياً حتى اليوم لكنه للأسف ليس فى مصر.

وقد أنشأ المعلم يعقوب للفرنسيين أيضاً فى حملة الصعيد نظاما بريدياً متقناً على الهجن وصل به ما بين فصائل الجيش المتفرقة على طول النيل ما بين القاهرة وأسوان. وجعل أسيوط مقره هو والقائد "ديسيه" لوقوعها فى منتصف الطريق تقريباً بين هذين البلدين. وكان معروفا للخاص والعام فى ذلك الاقليم لسابق عهدهم به أيام كان وكيلا لسليمان بك فظهر بمظهر الأمراء العظام الكرام وكان رحمه الله يحب العز والأبهة.

وقد اتصلت أسباب الألفة بين هذين النابغتين يعقوب القبطى وديسيه الفرنسى وتوثقت بينهما عرى المودة والاخاء حتى أنه لما قتل ديسيه فى معركة مارنجو بفرنسا فى نفس اليوم الذى اغتيل فيه كليبر بمصر وهو يوم ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠م وأريد اقامة تمثال له بباريس جمع له من الجيش وحده ما يزيد عن أربعة وعشرين ألف فرنك وكتب يعقوب إلى القائد مينو كتاباً مؤثراً جداً أملاه عليه وجدانه أمدى فيه فرط أسفه وحزنه على فقد "عزيزه" الذى حارب بجانبه لاخضاع أرض "طيبة" وتبرع بثلث قيمة التمثال "مهما تبلغ".

ومما حدث فى أيامه أنه بعدما انتصر الفرنسيون على الترك فى واقعة عين شمس غار سكان القاهرة على الفرنسيين وتسللت قبيلة عثمانية إلى القاهرة تحت

ذلك احتياطياً لمثل هذا الطارئ أن يحصن الحى الذى يقطنه الأقباط فهدم المساكن المجاورة وابتنى قلعة منيعة خلف "الجامع الأحمر" وكانت بقاياها ترى إلى زمن قريب وكان يحيط بها سور ضخم تحميه أبراج حصينة ورتب لها القوة اللازمة وجعل لها حرساً من القبط يتناوبون حراستها ليل نهار على نمط الحصون المنظمة.

وكان الفرنسيون فى جميع أدوار حملتهم بمصر يجلونه ويقدرون مواهبه العالية قدرها. ولما انعم عليه برتبة "اميرآلاى" احتفل به احتفالا خاصاً لايقاص حضره كليبر نفسه وقلده بيده شارة هذه الرتبة العسكرية.

وفى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٠م بعد موت كليبر أسند إليه رسمياً لقب "القائد العام للفيالق القبطية" بالجيش الفرنسى وكان وقتئذ فى الخامسة والخمسين من عمره.

ولما رحلت الجيوش الفرنسية عن مصر بعد اتفاق القاهرة بين الفرنسيين من جهة والانجليز والعثمانيين من جهة أخرى نقلتها المراكب الانجليزية إلى فرنسا وصمم المعلم يعقوب على الخروج معها رغم سعى القائد التركى "حسين باشا قبطان" لدى القيادة الفرنيسة لمنع القائد يعقوب من السفر حتى لا تحرم مصر من مواهبه.

فكان المعلم يعقوب من الذين سافروا على السفينة "بلاس" وكان معه أخوه حنين حنا وأمه مارى غزاله وزوجته مريم نعمه وابنته منّه ونفر من الأقارب والخدم وعساكر القبط غير أن المنية وافته فى عرض البحر فى منتصف الساعة السابعة من صباح ٦ أغسطس سنة ١٨٠١ن فى اليوم الخامس من اقلاع السفينة عن الشواطئ المصرية أثر مرض لم يمهله ثلاثة أيام.

ونظراً إلى مقامه الخاص ورغبة ذويه فى أن لا يدفن إلا فى أرض فرنسا لم ينفذ فيه قانون الدفن فى اليم وإذ لم تكن ثمت معدات للتحنيط احتفظ فى دن خمر حتى رست به السفينة فى مرسيليا فدفن فيها فى ١٨ أكتوبر من تلك السنة (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٤١-١٤٦).

البابا بطرس السابع
البطريرك (١٠٩)
الشهير بالجاولى

١ محل ميلاده ونشأته

قد ولد هذا الأب فى قرية الجاولى بمركز منفلوط بالصعيد ولذا اشتهر بلقب الجاولى. وقد اطلق عليه أبواه اسم منقريوس وربياه التربية المسيحية فنشأ منذ صغره زاهداً فى العالم حتى اشتهى العيشة النسكية الطاهرة (كتاب ١٥ تاريخ ص٣١٠).

٢ رهبنته

ولما استولت على مشاعره فكرة الزهد وعيشة التبتل واختمرت فى ذهنه صمم على دخول الدير فبارح بلدته الجاولى وقصد دير القديس العظيم أنطونيوس أبا الرهبان فقبله رئيس الدير وأقامه راهبا فى الدير.

ولما دخل الراهب منقريوس الجاولى فى الدير انعكف فيه وانكب على الدرس والبحث فى الكتب المقدسة والتزود منها حتى اشتد فى العبادة ومارس حقا عيشة نسكية طاهرة مزوداً بالعلم والمعرفة (كتاب ١٥ تاريخ ص٣١٠ وكتاب التواريخ لابن الراهب ص٢٤٨"أ").

واستمر الراهب منقريوس على هذا المنوال حتى ازداد علماً وثقافة فى الدين والتاريخ الكنيسى وارتفع قدر رهبنته وفاح عبير نسكه وزهده وانتشر أمر كماله وطهره رسمه البابا قساً بالدير باسم الاب مرقوريوس (كتاب ١٥ تاريخ ص٣١٠).

وظل بعد رسامته قساً مثابراً على الدرس والوعظ والتعليم والارشاد وانتشر خبر استقامته وقدسه وطهارته وعلمه حتى وصلت إلى مسامع قداسة البابا المعظم مرقس الثامن البطريرك (١٠٨) فاستدعاه وكافأه على نشاطه وعلمه وفضله وزهده بترقيته إلى رتبة القمصية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٠).

٣ ترشيحة لمطرانية المملكة الحبشية ورسامته مطرانا عاما

وفى سنة ١٨٠٨م حضر إلى مصر وفد حبشى يطلب إلى البابا مرقس رسامة

عزيز مصر وإلى قداسة البابا الاسكندرى (سنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس وشين ص٢٤٨).

وبعد المشاورة فى أمر من يصلح لهذا المركز الخطير وقع الاختيار على القمص مرقوريوس الجاولى الانطونى فاستدعاه البابا لرسامته لهذا الكرسى العظيم ولكن إرادة الله الذى يدبر كل الأمور بسياسة وحكمة أوحت إلى البابا القديس أن يرسم مرقوريوس مطرانا عاما على الكرسى المرقسى باسم ثاوفيلس بدلا من رسامته على كرسى اثيوبيا. وقام قداسته برسامة الأنبا مكاريوس مطرانا للمملكة الحبشية بدلا من أنبا ثاوفيلس. ويتضح من تصرف هذا البابا القديس أن الله سبحانه وتعالى أرشده إلى أن أنبا ثاوفيلس سيكون خليفته على الكرسى المرقسى (شين ص٢٧٠).

٤ . اختيار أنبا ثاوفيلس لرئاسة الكرسى الإسكندرى

استمر الأنبا ثاوفيلس مطرانا عاما مدة ستة أشهر وظل مقيما مع البابا مرقس الثامن فى القلاية البطريركية معينا له فى تدبير أمور البيعة وإدارة الأعمال الكنسية لشيخوخة هذا البابا. وبقى هكذا مساعداً لقداسة البابا قائما بأعماله خير قيام إلى أن انتقل إلى رحمة مولاه البابا مرقس فى يوم ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ش الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٩م فاجتمع عقب الوفاة المجمع المقدس ووقع اختياره مع كبار الأراخنة على أنبا ثاوفيلس ليكون خليفة لهذا البابا القديس كما دبر ذلك بحكمته قبل نياحته (كتاب ١٥ تاريخ ص٣١٠ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس).

٥ . رسامة الأنبا ثاوفيلس بطريركا باسم البابا بطرس السابع

اجتمع المجمع المقدس فى اليوم الثالث لوفاة مثلث الرحمة الأنبا مرقس الثامن وهو يوم الأحد المبارك ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ش الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٩م وقام برسامة المطران ثاوفيلس بطريركا على كرسى الكرازة المرقسية باسم البابا بطرس السابع البطريرك (١٠٩) فى كنيسة مارمرقس الإنجيلى بالأزبكية بمصر. واستقبل الشعب القبطى من كبيره إلى صغيره هذه الرسامة بفرح عظيم فى كل الأقاليم المصرية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٠ وابن الراهب

٦. فضائله وصفاته الحميدة

قد كان هذا البابا القديس العظيم ذا صفات حميدة فقد كان محباً للدرس فى الكتب الالهية ومواظباً على تعليم الشعب الثقافة الدينية والتاريخية وقد اهتم بترتيب مكتبة البطريركية وجمع فيها الكتب التاريخية والدينية والطقسية من المخطوطات القديمة الموجودة بالدار البطريركية وبكنائس مصر والقاهرة وأديرة ضواحيها ووضع لها فهرساً بخطه محفوظاً للآن بالمكتبة وكان هذا البابا بعيداً عن الأطماع البشرية وديعاً حليما متواضعاً حكيما ذا فطنة عظيمة وذكاء فائق وسياسة سامية فى رعاية شعبه.

وقد ألف كتاباً دافع به عن تعاليم الكنيسة محتجاً على التعاليم المغايرة لها وهو يعد من علماء الكنيسة القديرين المستوفين لكل الفضائل فى الصلوات والنسك والطهارة وكان طويل الروح والاناة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٠ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس).

٧. نية عمل الميرون المقدس

ولما كان يعلم قداسته بحادث حريق الكنيستين بحارة الروم وتبديد الميرون المقدس فى الحريق حتى لم يتبق منه شيئاً تزايدت عنده الفكرة الروحانية وصار يطلب إلى السيد يسوع المسيح أن يهدى سر شعبه ويرفع عنه المحن والتجارب والأحزان حتى يتيسر له عمل الدهن المقدس (الميرون) فقبل المسيح إلهنا طلباته ورحم شعبه ورفع عنه التجارب والشدائد (كتاب ١٠١ طقس ص ٣٩"أ").

٨. رفع الصلوات من أجل التجارب والأحزان

وكان البابا بطرس يطلب من الله بحرقة زائدة ودموع فائضة وأمانة ثابتة من أجل التجارب والأحزان التى كانت مترادفة على كافة الشعب المسيحى وأمر قداسته كامل الكنائس والديارات التى بمصر والقاهرة أن يقيموا القدسات ويرفعوا الطلبات. فقبل الله الرحوم صلواتهم واستجاب لدعواتهم ورفع عن كافة الشعب المسيحى الاكدار والأحزان والتجارب والمحن وصار الهدوء شاملا الجميع وتوطدت الطمأنينة فى العباد فلله الشكر والتمجيد والتسبيح إلى أبد الدهور (ص٤٠كتاب ١٠١طقس).

٩. الدسائس التى حلت فى عهده بكبار القبط إنتقاما للمعلم جرجس الجوهرى

قال المؤرخ الكبير يعقوب بك نخله روفيله أنه يؤخذ من أقوال العلامة الجبرتى فى تاريخه أن الضرورة الجأت محمد على باشا للقيام بسد النفقات والمصاريف الكبيرة التى تحملتها الدولة إلى الاستعانة على ذلك بمصادرة الأغنياء وأصحاب الثروة وكان أول من صادره من عظماء القبط وأغنيائهم هو المعلم جرجس الجوهرى وأن هذه المصادرة على ما يؤخذ من أقوال الجبرتى لم تكن خالية من دسيسة المعلم غالى والمعلم فلتاؤس والمعلم جرجس الطويل فإنهم اتهموه بالتأخير فى حسابات التزاماته وعدم حفظها بانتظام حتى أن محمد على أناطهم بمل حسابه عن الخمس سنوات الماضية وإذ كان جل مقصوده هو الاستحصال على النقود لاحتياجه إليها اكتفى بتحصيل ما ألزمه به وأفرج عنه وكان من أمره ما كان كما تقدم الذكر فى آخر الحلقة السادسة من سلسلة هذا الكتاب (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٩٦و٢٩٧).

وقد كان المعلم غالى فى الأصل كاتباً للألفى بك وكان على جانب عظيم من الذكاء والنباهة ويعرف من أين يؤكل الكتف. فلما التحق بخدمة محمد على باشا لم يظهر للمباشرة معارضة فى أوامره بل كان يساعده على تنفيذ أغراضه بتسهيل الأمر له ولا سيما فيما يختص بتحصيل الأموال التى ابهظت كاهل الممول المصرى المسكين (بخلاف ما كانت عليه سياسة المعلم جرجس الجوهرى الذى كان يدافع من كل قبله عن الشعب ويرفع عنه نير الضرائب المتعددة).

ولما كان المعلم غالى يعرف اللغة التركية ويتكلم بها فقد زادت منزلته لدى أمير البلاد وصار يعول عليه فى الأعمال المالية ويركن إليه ويعمل برايه وفكره (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٩٧).

وعندما قصد الأمير محمد على باشا تأسيس حكومة منتظمة كان لا يخفى على المعلم غالى أنه توجد أراضي كثيرة يزرعها أصحاب الاقتدار بغير دفع أموال عليها فشرع فى مسح عموم أراضى القطر المصرى وربطت عليها الأموال وبذلك نمت الايرادات فكانت هذه خدمة وطنية عظيمة قاب بها (تاريخ الأمة

ولما نكب المعلم جرجس واسندت رئاسة الكتاب إليه طلب منه الباشا ألف كيس فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها فى أقرب وقت. ولكن كان جمعها بسرعة موجباً لغير ما كان يتوقعه المعلم غالى وسبباً لجلب الضرر عليه وعلى غيره انتقاماً من العزة الإلهية لمصاب المعلم جرجس من جراء الدسائس التى حاكها له. فان الباشا بعد قليل أوقع الحوطه على بيت المعلم غالى وبيت المعلم جرجس الطويل وحنا أخيه وفرنسيس أخى المعلم غالى والمعلم فلثاؤس واثنين آخرين وأخرجوهم منها بصورة منكرة وسمروا دورهم وأخذوا دفاترهم. فلما حضروا بين يديه قال لهم:"أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه" وأمر بحبسهم وإلاّ يدفعوا ثلاثين ألف كيس. وبعد أيام أفرج عنهم بواسطة شخص يسمى حسين أفندى الروزنامجى على شرط أن يدفعوا سبعة آلاف كيس فقاموا بدفعها (تاريخ الأمة القبطية ص٢٩٨و٢٩٩).

ولكن لم تمض سبعة شهور حتى قبض على المعلم غالى وأعوانه ثانياً وحبسهم فى القلعة وختموا على دورهم ثم انزلوا المعلم غالى والمعلم فلثاؤس فى مركب ليسافرا إلى دمياط كمنفيين وكان رئيساً على ديوان الجمرك رجل يدعى المعلم منصور صربمون ومعه كاتبان آخران يسمى أحدهما بشارة والآخر رزق الله الصبّاغ وقال بعضهم إن الثانى كان من عائلة المعلم جرجس الجوهرى. فأحضر الباشا المعلم منصور وقلده مباشرة الدواوين ثم سعى الساعون فى مصالحة المعلم غالى ورفقائه فقبل الباشا العفو عنهم والرضا عليهم بشرط أن يدفعوا أربعة وعشرين ألف كيس.

ولما حضر المعلم غالى من دمياط طلع إلى القلعة وقابل الباشا فخلع عليه والبسه فروة سمور ونزل له عن أربعة آلاف كيس وأمر أن ينزلوا به إلى داره وأمامه الجاويشية بالعصى المفضضة وأعاده إلى الرئاسة كما كان.

أما المعلم منصور فجعله الباشا كاتبا لإبنه الأمير إبراهيم باشا (تاريخ الأمة القبطية ص٢٩٩).

وقد تكرر حصول ذلك من الباشا فكان يغضب عليه تارة ويعزله ويقلد غيره من رفقائه ويرضى عليه أخرى فيرده إلى منصبه بعد دفع مبلغ طائل لا يستطيع

رابطتهم وتفرقت كلمتهم وكان هذا غاية مقصد الباشا (كما كان من جهة أخرى درسا قاسيا على دسائسهم التى حاكوها للمرحوم جرجس الجوهرى) (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٩٩و٣٠٠).

واتفق أن الباشا كان قد توجه إلى الإسكندرية لمهمة واحتاج لنقود فحوّل على المعلم غالى صرف ستة آلاف كيس كانت باقية عليه فاعتذر بعدم الاقتدار على أدائها فى الحال بدعوى أنها بواقى على أربابها وهو ساع فى تحصيلها. فلم يقبل الباشا هذا العذر منه وأرسل إلى كتخداه فى مصر بالقبض عليه وعلى أخيه فرنسيس وأمينه المدعو المعلم سمعان وسجنهم فى القلعة حتى يدفعوا هذا المبلغ.

وخاف المعلم جرجس الطويل وحنا أخوه سوء العاقبة وكان فى نفسهما شئ من جهة المعلم غالى فأخذا يحطان عليه (كما كان يفعله مع المعلم جرجس الجوهرى) ووسوسا للباشا أنه إذا حوسب يظهر عليه ثلاثون ألف كيس وتعهدا بأنه إذا فوض لهما عمل حسابه ولم يظهر عليه هذا المقدار يكونا ملزمين بأدائه للخزينة. فاشتد غضب الباشا عليه وعزله من رئاسة الكتابة وولى آخر مكانه يسمى المعلم منقريوس البتانونى. وضيّق عليه فى الحبس وأهانه إهانة شديدة وكرر الضرب على أمينه حتى أشرف على الهلاك وبعد ذلك أفرج عن أخيه وأمينه ليسعيا فى التحصيل أما المعلم غالى فبقى فى الحبس مدة (تاريخ الأمة القبطية ص٣٠٠و٣٠١).

وهكذا كان المعلم غالى وأعوانه ينالون نفس الكيل الذى كيلوه للرجل التقى جرجس الجوهرى الذى ذهب ضحية مؤامراتهم ودسائسهم.

وبعد قليل شرع الباشا فى تغيير هيئة الدواوين واستبدالها بغيرها تكون أنظم منها وتعود بالفائدة على الخزينة فرضى على المعلم غالى وأناطه بذلك فقسم البلاد إلى مديريات وأقسام والأطيان إلى أحواض وقبائل. ولبث فى ذلك فى بلاد الصعيد نحو سنة وهو منهمك فى وضع هذه النظم ثم عاد إلى مصر وكان المتولى إمارة الصعيد محمد بك الدفتردار فزود المعلم غالى بكتاب توصية كبيرة منه للباشا. فقابله الباشا عند عودته بالرضا واثنى عليه ثم اتخذه كاتباً لسره وخصه بمباشرة الأعمال الحسابية التى ابتكرها فكانت يده فوق يد الجميع حتى حكام الأقاليم

١٨٢٢م لأسباب لا تزال حقيقتها خافية وبقيت جثته ملقاة فى الخلاء يومين إلى أن استأذن أحد الأقباط برفعها فأخذها ودفنها (تاريخ الأمة القبطية ص٣٠١و٣٠٢).

١٠. خيانة المعلم غالى لكنيسته القبطية الأرثوذكسية

ففى أيام محمد على باشا كان للفرنسيين نفوذ عظيم فى مصر. فسألوه العون على ضم كنيسة مصر إلى كنيسة روميه. ففاتح الأمير فى ذلك المعلم غالى. وكان صاحب المقام العلى لديه. فرأى المعلم غالى أن هذا الطلب مما يتعذر تحقيقه وأن الأقباط سيرفضونه إذا كوشفوا به فقال للأمير أنه لأجل حمل الأقباط على قبول المذهب الكاثوليكى يرى أن يعتنقه هو أولا مع أسرته فإذا ما رآه القبط فعل ذلك وهو كبيرهم يقتدون به. فحسن الرأى لدى محمد على ولدى الفرنسيين. وقيل أن المعلم غالى قصد بذلك إرضاء الفرنسيين لعلهم يستطيعون بنفوذهم لدى الأمير أن يخلصوه من المغارم التى كان محمد على باشا يثقل كاهله بها. وعلى كل حال فإن اعتناق المعلم غالى الكثلكة الأمر الذى عدته الكنيسة الأرثوذكسية أكبر خيانة أقدم عليها فلعنته كما أنه لم يأت بالنتيجة التى كان يرمى إليها المعلم المذكور إذ أدرك أمير البلاد بعد ذلك أن انضمامه للكنيسة الكاثوليكية كان لغرض سياسى فكان ذلك من أسباب غضب محمد على عليه كما أنه نال جزاءه على هذه الخيانة أن يموت قتيلا بعيداً عن أهله وخلانه (خلاصة تاريخ المسيحية ف مصر طبع سنة ١٩٢٢ ص٢٤٥).

١١. زيارة البابا بطرس لدير أنبا أنطونيوس بالجبل

وفى يوم الأحد من الصوم المقدس ١٠ برموده سنة ١٥٣١ش (١٧ أبريل سنة ١٨١٥م) توجه قداسة البابا بطرس إلى دير أبينا القديس العظيم أنطونيوس أب الرهبان واحتفل فيه بأحد الشعانين وعيد القيامة المقدسة وظل مقيما بالدير طول أيام الخمسين المقدسة إلى عيد الآباء الرسل فى يوم الاثنين ٥ أبيب سنة ١٥٣١ش (١١ يوليه سنة ١٨١٥م) (كتاب ١٠١ طقس ص٤٠"أ").

١٢. وصول بعثة حبشية بطلب مطران

وفى أثناء إقامة البابا بدير أنطونيوس العظيم وصل إلى القاهرة رسل من قبل يوعاس الثانى ملك الحبشة وكان هذا الوفد مكونا من كهنة ورهبان أحباش وواحد

البابا بطرس فيهما رسامة مطران لهم بدل المتنيح الأنبا مكاريوس مطرانهم السابق (كتاب ١٠١ طقس ص٤٠"أ").

وقد أحضر الوفد الحبشى معه هدية برسم ولى النعم محمد على باشا فاحضر الباشا لديه كبار المعلمين كتاب الدولة واطلعهم على جلية الأمر وشدد عليهم برسامة المطران المطلوب وإرساله إلى بلاد الحبشة سريعاً كطلب ملكهم.

وكان فى ذلك الوقت حاضر بالقلاية العامرة البطريركية الأنبا اخرستوذلو أسقف كرسى القيامة المعظمة والأنبا أثناسيوس أسقف كرسى أبو تيج فحضر كبار المعلمين إلى القلاية وابلغوا الآباء الأساقفة بما حصل من سعادة والى البلاد بخصوص المطران وأحضروا بصحبتهم الكهنة والرهبان الأحباش والجبرتى وأقاموهم بالقلاية العامرة (كتاب ١٠١ طقس ص٤٠"أ").

فبادر الآباء الأساقفة والمعلمون الأراخنة بالكتابة إلى قداسة البابا المعظم بالدير يعرفونه باهتمام أفندينا بارسال المطران المطلوب سريعاً. وكتب أنبا أثناسيوس أسقف كرسى أبو تيج ملحقاً صغيراً إلى قداسة البابا المعظم يعرفه فيه بضرورة اصطحاب أحد رهبان الأديرة لأن القسس والرهبان بمصر هربوا عندما وصل إليهم خبر طلب مطران للحبشة وأوصى حامل الرسالة أن يسلم الملحق سراً لقداسة البابا وأن لا يطلع عليه أحداً وختموا المكاتبات وأرسلوها مع تابع من القلاية إلى القمص يوسف رئيس دير القديس العظيم أنطونيوس بالعزبة بناحية بوش. وعند وصول الجوابات إلى القمص يوسف أحضر عرب الدير وأرسل المكاتبات صحبة اثنين من العربان وقام تابع القلاية بصحبتهم وعرفهم أن لا يظهروا شيئاً من ذلك إلى أحد من الكهنة والرهبان بالدير وأوصاهم أن يقولا انهم حاضرون لعودة البابا من الدير (كتاب ١٠١ طقس ص٤١).

فأخذوا الجوابات وتوجهوا بسلام إلى أن وصلوا الدير فى يوم الثلاثاء ٢٠ أبيب سنة ١٥٣١ش فقدموا لقداسة البابا الجوابات مع الملحق الخاص فقرأها وفهم مضمونها وتكلم قداسته مع العرب سراً قائلا:"انى سأقصد أخذ أحد القسس الرهبان وسأقول له اركب الهجن وانزل معنا فإن قبل الركوب ولم يخالف الأمر فلا يتعرض له أحد وإن خالف أخبطوه وقيدوه (١٠١ ص٤١"أ").

هذا القس الكلام باللحظ وقال:"هذا هو اليوم الذى صنعه الرب" وركب الهجن ولم يخالف أمر البابا ونزل معهم إلى أن وصلوا إلى دير الطين قبلى مصر القديمة فاختلف القس مينا المذكور مع البدوى وتعارك معه قاصداً بذلك الهروب. ولما اتضحت لهم نيته أمر البابا أن يكتفوه فقام البدوى وشنوده تابع القلاية عليه وتمكنا منه وكتفاه وأركباه حماراً إلى أن وصل القلاية العامرة بالسلامة وهو مكتوف ومربوط بالحبال وحبسوه فى المنظرة بالحوش الجوانى وأرسلوا إلى منزل المعلم جرجس أبو ميخائيل الطويل فاحضروا منه قيد حديد وقيدوه به خوفا من الهروب (١٠١ طقس ص٤١"أ").

ولما كان يوم الأحد ١٥ مسرى سنة ١٥٣١ش (٢٠أغسطس سنة ١٨١٥م) نزل قداسة البابا إلى الكنيسة المجاورة للقلاية العامرة بالأزبكية ولبس بدلة الكهنوت وصحبته الآباء الأساقفة الحاضرون معه وبعد قراءة الرسائل صعد الآباء الأساقفة وصحبتهم جماعة من الكهنة إلى القلاية العامرة لاحضار القس مينا ففكوا قيد رجليه واحضروه إلى الكنيسة ورسموه مطراناً على أرض الحبشة ودعوا اسمه كيرلس وذلك بحضور الأولاد المباركين الأراخنة والمعلمين.

وبعد ذلك قام قداسة البابا وقرأ صلاة الإنجيل وتلى طرح المزمور ثم قرأ البابا الإنجيل قبطياً وفسره الكاهن الخديم عربياً وكمل خدمة القداس كالعادة وتناول السراير المقدسة المحيية وانصرف الشعب بسلام (كتاب ١٠١ طقس ص٤٢).

وبعد ذلك صعد البابا بطرس وأنبا كيرلس المطران الجديد لحين تجهيز كامل ما يحتاجه للسفر وأسرع قداسة البابا فى اختيار القسوس والرهبان والشمامسة الذين سيصطحبونه إلى بلاد الحبشة واعداد الكتب والبدل الكهنوتية والملابس والأدوات المنزلية الاخرى وغيرها من أدوات السفر وزودوه باجور السفر على الجمال إلى السويس وفى البحر من السويس فجده فمصوع. وبعد اتمام كل ذلك قام ركب المطران وحاشيته إلى دير أنبا رويس وقام بصحبته قداسة البابا وأصحاب النيافة الأباء الأساقفة وحضرات الأراخنة المعلمين وودعوه ودعا لهم وبارك عليهم وحاللهم جميعاً وركب وتوجه بالسلامة وذلك فى يوم الاثنين ٨ توت سنة ١٥٣٢ش (١٨سبتمبر سنة ١٨١٥م) (كتاب ١٠١ طقس ص٤٢"أ").

١٣ . الزيارة الثانية لدير أنطونيوس العظيم

وفى سنة ١٥٣٣ش (١٨١٦م) توجه قداسة البابا إلى دير القديس أنطونيوس بعد اسبوع القيامة المقدسة وأقام به إلى يوم الاثنين ٩ هاتور سنة ١٥٣٤ وفى أثناء اقامته وردت إليه البشاير بعمارة دير الشهيد العظيم ناظر الاله مارمرقس الإنجيلى بالثغر الإسكندرى الذى سبق أن هدمه الفرنسيس فى وقت احتلالهم البلاد فى أيام المتلث الرحمة البابا مرقس الثامن البطريرك (١٠٨) وصار مهدوما طول هذه المدة (كتاب ١٠١ص٤٣).

١٤ . تصريح الحكومة بعمارة دير مارمرقس بالإسكندرية

ولقد تحصل البابا بطرس منذ مدة على فرمان من أفندينا المعظم محمد على باشا والى البلاد بالسماح بعمارة دير القديس العظيم مؤسس كراسى الإسكندرية ولكن لم يكن الوقت ملائما لتعميره لعدم وجود ما يقوم بعمارة ذلك الدير فى الثغر الإسكندرى بسبب المتاعب التى حلت على الأمة القبطية فى ذلك الحين. فلما أراد الله سبحانه وتعالى بالعمار فى وقت الخراب وبتدبيره الصالح الذى لا يدرك ولا يفحص وبالهامه الروحى توجه الجناب العالى إلى الثغر المذكور فحركته النعمة الروحانية وارادة الله الفعالة الالهية فتوجه لمقابلة أفندينا فى الثغر ولما حظى بالمثول بين يديه فاتحه فى أمر عمارة الدير وببركة القديس العظيم مارمرقس الإنجيلى صاحب الدير منح الجناب العالى المعلم صالح الاذن بالعمارة وحنن قلبه عليه فاعطى له فعلة وبنّايين من عنده فصار ينظف أتربة الهدد ويصلح فى الدير المذكور.

وقد أرسل المعلم صالح المكاتبات إلى محروسة مصر للسيد البابا بطرس يعلمه بما حصل ويبلغه هذه البشرى المفرحة ويطلب إليه إرسال الفرمان الصادر بعمارة هذا الدير (كتاب ١٠١طقس ص٤٣"أ").

فلما وصلت المكاتبات إلى مصر وقرأها الآباء الأساقفة المقيمون بالقلاية البطريركية العامرة وكذا الكهنة والمعلمون الاراخنة جرجس أبو ميخائيل الطويل وأخوه الملعم يوحنا والمعلم منصور سرابامون والمعلم منقريوس أبو يوسف والمعلم عبد الملك أبو يوسف حباطه وباقى الأخوة المسيحيين امتلأوا فرحا

وبادر حضرات الآباء الأساقفة والاراخنة بالكتابة لقداسة البابا بطرس بالدير وأرسلوا ما كتبوه مع المكاتبات الواردة من المعلم صالح عطاالله بالثغر الاسكندرى إلى الكاهن المؤتمن القمص يوسف رئيس دير القديس أنطونيوس بالعزبة ناحية بوش ليقوم بتوصيلها بدوره إلى قداسة البابا المعظم فعند وصولها إليه أسرع فى إرسالها بصحبة مندوب من طرفه إلى الدير فقام بتسليمها لغبطة البطريرك ولما قرأها انشرح صدره وامتلأت جوارحه فرحاً وسروراً لهذه البشرى العظيمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى رضى على شعبه المختار وقال:"هذه بادرة الرضا من السيد الرب على أمته القبطية" ثم كتب رداً مفرحاً إلى الآباء الأساقفة المقيمين بالقلاية البطريركية بمصر كما أرسل رسالة الدعاء والبركة إلى ابنه المبارك المعلم صالح عطاالله بثغر الإسكندرية ثم قدم الشكر للعزة الالهية وأرشد وكيله فى القلاية البطريركية إلى المكان المحفوظ فيه الفرمان المطلوب (كتاب ١٠١طقس ص٤٣"أ"و٤٤).

ولما وصلت المكاتبات والفرمان المطلوب إلى المعلم صالح عطاالله وارسلت إليه المبالغ اللازمة قام ببذل أكبر مجهود فى عمارة دير القديس مرقس بالثغر الإسكندرى كما أرسل إلى القاهرة طلباً بإيفاد مهندس مع جماعة من البنائين والنجارين وبارسال المبالغ اللازمة لاتمام المشروع فأرسل إليه مطلوبه واعانته القدرة العلوية حتى قام بتكميل عمارة هذا الدير على أحسن نظام حتى برزت أحسن مما كانت عليه من قبل ببركة القديس العظيم صاحب البيعة ومؤسس الكرسى الإسكندرى مارمرقس البشير والإنجيلى الطاهر الشهيد (كتاب ١٠١طقس ص٤٤"أ" و٤٥).

ويجب أن يذكر التاريخ المساهمة المباركة التى قام بها علاوة على أراخنة السابق ذكرهم حضرات الأولاد المباركين المعلم جرجس حسب الله البياطى بيندر رشيد والمعلم عبد الملك أبو يوسف حباطه لأنهما كانا واسطة خير فى هذه الشركة الروحانية (كتاب ١٠١ طقس ص ٤٥).

١٥ . عودة البابا بطرس السابع من دير أنطونيوس

وقضى البابا بطرس عيد الميلاد المجيد فى دير القديس أنطونيوس بالجبل ثم

قاصداً القاهرة ولما وصل إلى مصر القديمة استراح فى دير مارجرجس للبنات وكان وصوله إلى الدير فى يوم الأربعاء ٥ أمشير.

١٦. عناية البابا بالقدس الشريف وإرسال الهدايا البطريركية

ولما حلت أيام الصوم الاربعينى المقدس فى سنة ١٥٣٤ش الموافقة ١٨١٨م قام قداسة البابا بتجهيز الهدايا السنوية البطريركية المعتاد ارسالها للقدس الشريف فى عيد القيامة المقدسة ثم بعد إتمام جميع الحاجيات المعتاد تقديمها فى هذه المناسبة السعيدة ارسلت صحبة القمص يوسف كاتب القلاية العامرة فسافر بها مع الزوار فى يوم الاربعاء من الجمعة الثانية من الصوم المقدس الموافق ٣برمهات سنة تاريخه. وبعد إتمام الزيارة المقدسة عاد إلى القطر المصرى عن طريق يافا وقبرص ودمياط. فوصلها فى يوم الأحد ٢٩ بؤونه وأقام فيها إلى أن احتفل بعيد الرسل فى يوم السبت ٥ أبيب فبارحها ووصل القاهرة فى يوم الأربعاء ١٦ أبيب وتوجه إلى القلاية العامرة (كتاب ١٠١ طقس ص ٤٥"أ").

ولما مثل القمص يوسف بين يدى البابا المعظم قام باحاطة قداسته علماً بأحوال القيامة والديارات والحبساء والكهنة بمدينة القدس الشريف كما اطلعه على الأخص على أخبار العمارة اللازمة لأديرتها. وبعد ذلك بادر البابا إلى الاجتماع بأولاده المباركين الاراخنة المعلمين وعرض عليهم أمر عمارة أملاك الكنيسة بالقدس بحضور القمص يوسف.

فقام هذا الأب الفاضل بتعريف الاراخنة عن عدم إمكان عمل أى شئ فى سبيل المحافظة على هذه الابنية المقدسة إلا بإذن من جناب الباشا والى الشام. فاجاب عليه المعلم يوحنا أبو ميخائيل الطويل بأنه بمعونة القدرة العلوية سيفاوض حضرة أفندينا المعظم لاخذ فرمان منه إلى جناب والى الشام إبراهيم باشا بخصوص ذلك وانصرف الجمع على ذلك (كتاب ١٠١طقس ص٤٦).

ولما كان الجناب العالى والى الشام موجوداً فى هذا الوقت فى الاقطار الحجازية رأى المعلم يوحنا الطويل أنه يحسن انتظار عودته من الحجاز حتى تكون المخابرة فى شأن عمارة أبنية القدس ناجحة. وقابل سيادته قداسة البابا فى هذا الشأن فوافق على رأيه (كتاب ١٠١ ص ٤٦"أ").

أغا الخازندار فتقبلها منه بكل سرور وجهز له هدايا أعظم منها أرسلها صحبة الخازندار المذكور. وكان فى هذا الظرف حاضراً فى ديوان الباشا المعلم يوحنا الطويل فتقدم إلى ولى النعم محمد على باشا وتكلم معه فى شأن عمارة ديورة القبط فى أرض القدس الشريف وأنه لا يمكن الشروع فيها إلا بإذن من والى الشام فتكلم الجناب العالى فى شأن ذلك مع الخازندار وأمره فى الحال بكتابة فرمان منه إلى والى الشام للإذن بعمل العمارة المطلوبة وبالتوصية على العناية بأقباط القدس (كتاب ١٠١ طقس ص ١٦١"أ").

وبعد ذلك أرسل المعلم المبارك يوحنا الطويل فى طلب المعلم حبيب حنا الدقدوسى الكاتب بديوان الأموال الأميرية المحروسة لأنه كان ملماً باللغة التركية واتفق معه على السفر بصحبة الخازندار إلى القدس الشريف وبعد ذلك قدمه لأفندينا بحضور الخازندار فأوصاه به خيراً وسفره بصحبته إلى سعادة أفندينا والى الشام.

وقام المعلم يوحنا الطويل بمقابلة قداسة البابا واطلاعه على ما تم. ثم أرسل فى الحال وأحضر المهندس البارع أنطونيوس عصفور وأمره بالاستعداد للسفر إلى القدس بخصوص عمارة الأديرة بهذه المدينة المقدسة (كتاب ١٠١طقس ص١٦٢).

وسافر المعلم حبيب حنا الدقدوسى وفى صحبته ثلاثة من البنايين فى حاشية الخازندار إلى أن وصل دمشق الشام وقابل أفندينا إبراهيم باشا ثم توجهوا إلى قاضى المدينة وقرأوا الفرمان العلوى بحضور نقيب الأشراف وأعيان البلد وسجلوه بالمحكمة ثم أذنوا للمعلم حبيب بالقيام باجراء العمارة اللازمة للديارات المقدسة. وبإرادة الله وحسن توفيقه قد قاموا بإتمام عمارة دير السلطان والحلكورة التى فيها ودير الرمانة وكامل المحلات الداخلية الداخلة فيه وهى قاعة الملكة هيلانه ودار سالم الناظر كان والمحلات التى فوقها بجوار قبة القيامة ودار القمص سمعان القاطن فيها الآن ودير الشهيد العظيم مارجرجس ونظفوا بئر الملكة هيلانه الكائن أمام دير السلطان ورمموا حوائطه وكملت عمارة الديارات كلها على أحسن نظام فى ٢٤ برمهات سنة ١٥٣٧ش الموافق أول أبريل سنة ١٨٢١م (كتاب ١٠١ طقس ص ١٦٢"أ").

١٧ . زيارة البابا بطرس للثغر الإسكندرى

وتوجه قداسة البابا بطرس السابع فى يوم الاثنين المبارك أول شهر بابه سنة ١٥٣٦ش الموافق ١١ أكتوبر سنة ١٨١٩م إلى ثغر الاسكندرية لـيزور القديس العظيم مرقس البشير ويطلع على عمارة ديره تكريز الكنيسة التى شيدت فيه ويتبارك من الرأس المقدس (كتاب ١٠١ طقس ص٤٨).

وقد رافق البابا فى هذه الزيارة الأب المكرم والقديس الطاهر أنبا سرابامون الشهير بأبى طرحه أسقف كرسى المنوفية والبحيرة وكذا قام معهما القمص جرجس رئيس دير أبو مقار بشيهات والقمص حنين والقس موسى خادما كنيسة السيدة العذراء بحارة الروم والقس عازر خادم كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله والقس بسخرون خادم كنيسة ناظر الله مارمرقس الإنجيلى بالأزبكية والأرشى يوسف الغمراوى والأرشى باوم ابن اخ الأنبا سرابامون الأسقف الجليل والابن المبارك الدين الارثوذكسى الشماس المكرم والارخن المبجل المعلم منقريوس أبو يوسف البتانونى الذى اهتم بهذا التكريس والقائم بمصاريف هذه الرحلة المقدسة على نفقاته الخاصة (كتاب ١٠١ طقس ص ٤٨"أ").

وقد قام بتوديع قداسة البابا عند قيامه من شاطئ البحر ببولاق كل من الأباء المكرمين الأنبا خرستوذلو صاحب كرسى القيامة المعظمة والأنبا ابرآم صاحب كرسى منفلوط والقمص يوسف خادم بيعة مارمرقس الانجيلى وكاتب القلاية وبعض من الكهنة والاخوة المسيحيين وسافروا بالسلامة فى مركبين فوصلا دمنهور فى يوم الأربعاء ٣ بابه وصلّوا القداس المبارك فى بيعة الملاك ميخائيل بالناحية المذكورة فى يوم الخميس ٤ منه ثم بارحوها بعد القداس فدخلوا ثغر الإسكندرية فى يوم الجمعة ٥ بابه سنة ١٥٣٦ش (١٥ أكتوبر سنة ١٨١٩م) (كتاب ١٠١ص٤٨"أ" و٤٩).

فاستقبل الابن المبارك المعلم صالح عطاالله قداسة البابا وضيوفه المكرمين وتبارك من قدسه وكذا أخذ بركة الرجل القديس أنبا سرابامون والاخوة الكهنة وكان يوم فرح شامل وابتهاج كامل يوم تشريف البابا الطوبانى لمركز كرسيه الاسكندرى. وبعد ذلك قام قداسة البابا وحاشيته المباركة بزيارة الدير والكنيسة وخرجوا فرحين مهللين ومستبشرين وأقاموا فى الدير إلى ليلة الأحد السابع من

١٨. نياحة الأنبا أثناسيوس أسقف كرسى أبو تيج

ووصل فى يوم السب ٢٠ بابه سنة ١٥٣٦ش الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٨١٩م إلى قداسة البابا من الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط خطاب يخبره فيه بنياحة الأنبا أثناسيوس أسقف كرسي أبو تيج في يوم الأحد ٧ بابه سنة ١٥٣٦ش فحزن البابا لهذا الخبر لأنه كان يعز الأسقف المذكور معزة خاصة لطيب أعماله وحسن سيرته وعظم اجتهاده وكذلك شمل الحزن عليه جميع حضرات الأساقفة والآباء الكهنة والرهبان المقيمين في القلاية البطريركية.

وبعد ثلاثة أيام أمر قداسة البابا بكتابة خطاب إلي الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط ليقوم إلي كرسي أبو تيج ويمر عليه ويفتقد شعبه وينظر أحواله ثم يضبط كامل متروكات الأسقف المتنيح كما كتب أيضاً إلي سائر كهنة الأبروشية وكافة الشعب بالكرسي المذكور لتعزيتهم في فقد راعيهم ومدبرهم ويخبرهم بعد فروض التعزية بقيام الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط بتفقد أحوالهم وقضاء حوايجهم والنظر في دعاويهم ويطلب إليهم أن يستمعوا كلامه ويصغوا إلي أوامره ويمتثلوا لأحكامه.

ولما وصلت هذه الجوابات إلي الأنبا ميخائيل قام بتنفيذ أوامر قداسة البابا وقام إلي كرسي أبو تيج وتفقده وعزي شعبه ورتب أموره وأقام هناك إلي حين استدعائه إلي القاهرة للاشتراك في عمل الميرون المقدس (كتاب ١٠١ ص٥٠"أ"و٥١).

١٩. نياحة الأنبا متاؤس أسقف كرسى البهنسا والفيوم

ولما تنيح في شهر أمشير سنة ١٥٣٦ ش الأنبا متاؤس أسقف كرسي البهنسا والفيوم أوفد البابا إلي هذا الكرسي الأنبا سرابامون أسقف المنوفية والبحيرة لتعزية الشعب وعمل الترتيبات اللازمة بسبب الوفاة (كتاب ١٠١ طقس ص ٥١ "أ").

٢٠. عمل الميرون المقدس

واهتم البابا بطرس السابع بعمل الميرون المقدس فقام بإعداد جميع المواد اللازمة لطبخ الميرون المقدس ولما رأي قداسته أن كل شئ قد تم في شهر هاتور سنة ١٥٣٦ش أصدر الاوامر بدعوة حضرات الآباء الأساقفة من كراسيهم

حاضراً بالقلاية في أوان النيل وحضر الأنبا توماس صاحب كرسي المنيا في يوم الجمعة ١٢بابه سنة ١٥٣٦ش والأنبا يوساب أسقف جرجا حضر يوم الجمعة ١٥ كيهك أما الأنبا اخرستوذلو المكرم صاحب كرسي القيامة المعظمة فقد احيط علماً بهذا العمل المقدس لأن عادته أن يحضر من مقر كرسيه سنوياً في ابتداء صوم الأربعين المقدسة وأما الأنبا سرابامون أسقف المنوفية والبحيرة فقد كان مقيما بالقلاية البطريركية.

وبعد ذلك قام البابا وبصحبته الأنبا سرابامون بزيارة كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة في مصر وسألوا خادم الكنيسة القمص يوسف عن بواقي الميرون المحفوظ عنده ثم قاموا من هناك وتوجهوا إلي حارة أبو سيفين بدرب البحر بمصر ودخلوا كنيسة القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين وسألوا خادمها القس ميخائيل عن كمية الميرون والغليلاون الموجودة عنده ولما تأكد البابا من وجود بواقي كافية من النوعين في هاتين البيعتين تكفي لأن تكون خميرة مقدسة لطبخ الميرون المقدس فرح جداً لأنه لم يكن موجوداً منه شئ في كنائس القاهرة في ذلك الزمان (كتاب ١٠١ طقس ص ٥١ "أ" و ٥٢).

وبعد ذلك زار البابا في الوقت ذاته كنيسة القديس العظيم الشهيد مرقوريوس أبو سيفين بدرب البحر بمصر وسأل القمص نسيم والقمص فيليمون خادميها عن بواقي الميرون عندهما وعلم بوجود كمية منه أيضاً. فأصدر البابا في الحال أمره إلي رؤساء هذه الكنائس الثلاثة بأن يحملوا أوعية الميرون والغليلاون الموجودة عندهم إلي القلاية البطريركية بالازبكية فأحضروها. وكان طبخ الميرون هذا في الأزبكية لأول مرة في تاريخ البيعة المقدسة (كتاب ١٠١ طقس ص ٥٢"أ").

وفي يوم الجمعة من الأسبوع الأول من الصوم المقدس الموافق ١١ أمشير سنة ١٥٣٦ش قام البابا قبل البدء في عمل الميرون المقدس بزيارة كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويلة ليتبارك من السيدة العذراء مريم ويطلب إليها الشفاعة والمعونة لدي إبنها الحبيب لكي يعينه ويساعده علي إتمام هذا العمل المقدس.

فلما سمع الآباء الكهنة وخدام الكنيسة المذكورة بقدومه خرجوا إليه وتلقوه بالتراتيل والتبجيل والاكرام الواجب لقدسه وأدخلوه إلي الكنيسة وهم يرتلون أمامه قائلين KYRIOS PWPXT غ إلي آخرها وما يناسب مقامه البابوي

ابتدأ بالصلاة علي جاري العادة وكان الكاهن الخديم في ذلك اليوم القس منقريوس أحد خدام الكنيسة وبعد إنتهاء القداس بارك البابا الشعب وعلي رأسه المعلم منصور سرابامون كبير الأراخنة وانصرفوا بسلام (كتاب ١٠١ طقس ص٥٢ "أ" و ٥٣).

وبعد ذلك حضر الابن المبارك الكاهن المؤتمن القس عازر خادم كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة وطلب إلي السيد البطريرك أن يأمر بكتابة قائمة بكل ما يحتاج إليه الأمر في عمل الميرون المقدس ليقدمها إلي الابن المبارك الأرخن الكبير المعلم منصور سرابامون فكتب له القمص يوسف وكيل البطريركية القائمة بكل المطلوب وسلمها إليه فأخذها وتوجه بها إلي منزل المعلم منصور وعرضها عليه فأعطي له كل المصاريف اللازمة لشراء المطلوب (كتاب ١٠١ طقس ص٥٤).

وفي يوم الخميس من الأسبوع الثاني من الصوم المقدس الموافق ١٧ أمشير حضر الأب المكرم أنبا اخرستوذلو صاحب كرسي القيامة من الوجه البحري وفي يوم الجمعة ١٨ منه حضر الأنبا توماس أسقف كرسي المنيا والاشمونين من زيارة مليج بلده وفي يوم السبت ١٩ منه حضر الأنبا غبريال صاحب كرسي اسنا وفي يوم السبت الثالث حضر الاسقف أنبا ميخائيل صاحب كرسي أسيوط وفي ذلك اليوم عاد الأنبا سرابامون من زيارة كرسي البهنسا والفيوم وفي يوم السبت ٢٩ توت حضر الأنبا ابرآم أسقف منفلوط وفي يوم الجمعة المبارك ١٥ كيهك حضر الأنبا يوساب أسقف كرسي جرجا. ولما تكامل حضور الآباء الأساقفة اشتركوا مع البابا بطرس في تقديس الميرون المقدس وتم عمله بإذن الله تعالي في يوم الخميس المقدس الموافق ٢٩ برمهات سنة ١٥٣٦ش (كتاب ١٠١ طقس ص٥٧"أ").

٢١. تجديد كرسي النوبة

مضى على انسلاخ النوبة من الكرسي الرسولي المرقسي مدة خمسة أجيال وهي محرومة من رعاية الأساقفة لأن النصرانية في تلك البلاد قد انقرضت مع الزمن.

المصريين. ولما تم الفتح صار لأولئك النصاري إعتبار في تلك البلاد فاستوطنوها وقاموا ببناء عدة كنائس بها والتمسوا من قداسة البابا بطرس السابع أن يرسم لهم أسقفاً اختاروه من بين الرهبان وزكوه لدي البابا فرسمه لهم باسم الأنبا دميانوس ولما تتيح هذا الأسقف قام البابا بطرس برسامة أسقف جديد عوضاً عن المتنيح ومن هذا الحين تجدد كرسي النوبة وهو عبارة عن بلاد السودان (سنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس وسنكسار الدار البطريركية رقم ٢٦٦ طقس ص٢٤٧).

٢٢. قيام الأنبا سرابامون أسقف المنوفية والبحيرة بشفاء زهري هانم كريمة محمد علي باشا

ومما يستحق الذكر العجيبة التي تمت في أيام البابا بطرس علي يد رجل الله القديس سرابامون أسقف المنوفية فقد كان لأمير البلاد محمد علي باشا إبنة تدعي زهري هانم زوجة أحمد بك الدفتردار إعتراها روح نجس وعاني الأطباء في شفائها أتعاباً شاقة بلا فائدة لأن مرضها لم يكن طبيعياً. ولما كان أنبا سرابامون أسقف المنوفية أعطي من الله موهبة إخراج الأرواح النجسة وذاعت شهرته هذه في البلاد حتى بلغت مسامع أفندينا محمد علي باشا فلقد ذكر له بعض المقربين إليه أمر إمكان شفاء ابنته علي يد أئمة النصاري فاستدعي البابا بطرس السابع البطريرك وطلب إليه أن يؤدي له هذه المأمورية ويقوم بمباشرتها. ولما كان البابا يعلم أن ابنة أفندينا معتراه بروح نجس استدعي رجل الله أنبا سرابامون أبو طرحه وكلفه بالتوجه إلي السراي حيث تسكن زهري هانم فلبي دعوته وتوجه إليها وكانت السراي غاصة بالجنود والجماهير رجالا ونساء فاحسنوا استقباله وأدخلوه عند الأميرة ولما ابتدأ يصلي عليها تحرك الشيطان فيها وألقاها طريحة علي الأرض وازبدت وصارت تصرخ بأصوات مزعجة ارتجت لها القاعة. فارتعب الأب سرابامون من ذلك وخشي سوء العاقبة فصار يستغيث بقوة السيد المسيح صارخا بصوت حزين ذارفا العبرات قائلا: "عظيمة هي خطيئتك ياصليب. يايسوع مجد يمينك وأنصر كنيستك" وبعد أن أكمل صلاته رسم علامة الصليب علي الماء ورش به وجه الأميرة. فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها

متعافية فانسر جداً وحمد المولي تعالي علي هذه المنّة وشكر الأسقف علي هذه الخدمة العظيمة ورغب في أن يكافئه فصر له صرة من النقود الذهبية تبلغ قيمتها أربعة آلاف جنيهاً وقدمها للأب الورع فأبي أن يقبلها واعتذر له قائلا: "لا يحق لي أن أربح بمواهب الله مالا يحوجني إليه. فلباسي كما تري فراجية صوف أحمر وطعامي الخبز وطبيخ العدس. فبدل ذلك أسأل أفندينا أن تشملوا بعطفكم السامي أبناء الأمة القبطية وتوصلوا معاش أبنائها المرفوتين". فأجابه إلي طلبه وألح عليه أن يقبل العطية التي قدمها إليه فلبّي دعوته وأخذ منه بعض الشئ وفرقه وهو خارج علي العساكر وخدام السراي (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٠ "أ" إلي ٣١١).

٢٣. زيادة بحر النيل بصلوات البابا بطرس

وفى سنة ١٥٥٠ش كان النيل قليلا جداً وبلغ ١٩ ذراعاً وتأخر في الطلوع وأسرع في النزول فضج الناس لذلك وخشوا وطأة الغلاء ورزية الجوع إذا شرقت (أي عطشت) الأراضي (التوفيقات الالهامية ص ٦٢٥).

ولما اشتد انزعاج الناس من هبوط النيل استغاثوا بمحمد علي باشا طالبين إليه أن يأمر رجال الدين كي يرفعوا الصلوات ويتلوا الادعية كي يبارك الله في ماء النيل وتروي البلاد فاستجاب الباشا لندائهم فاحتفل أولا المسلمون بالصلاة وكثرة الدعاء ثم تلاهم اليهود ومن بعدهم الروم فالسوريون ثم الافرنج فلم ينتقل ماء النهر من مكانه. وبعد ذلك طلبت الحكومة إلي قداسة البابا بطرس السابع أن يقوم بدوره كبقية الطوايف ويبتهل إلي الإله عز وجل لكي يستجيب النداء بزيادة ماء النهر فأجاب البابا هذه الدعوة واستدعي لفيفاً من الاكليروس وجماعة الأساقفة وخرج علي رأسهم إلي شاطئ النهر وأقام صلاة القداس المبارك وبعد الانتهاء غسل أواني الخدمة المقدسة وطرح ماء الغسيل مع قربانة من الحمل المبارك في النهر فعجت في الحال أمواجه وفارت مياهه كدست يغلي وفاضت فبادر تلاميذ البطريرك إلي رفع أدوات الاحتفال ولم يتموا ذلك حتى أدركتهم المياه. وبعد هذه المعجزة العجيبة عظمت منزلة قداسة البابا وأمته عند الباشا وازدادوا اعتباراً لديه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١١ إلي ٣١١ "أ" ــ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣طقس).

٢٤ . انبثاق النور على يدى البابا بطرس فى القدس الشريف

عندما قام أفندينا إبراهيم باشا نجل محمد على باشا بفتح الديار الشامية واستولي علي القدس الشريف بلغه أن النور يظهر في ليلة عيد القيامة علي يد بطريرك الروم في القدس الشريف. فلم يصدق إبراهيم باشا هذا الكلام ودعا بشدة البابا بطرس السابع إلي الحضور للقدس الشريف لإقامة احتفال عيد القيامة ويباشر بنفسه خدمة خروج النور من ضريح السيد المسيح كما كان يفعل بطاركة الروم هناك في كل سنة.

فلبي البابا بطرس دعوة إبراهيم باشا والي الشام وقام إلي القدس الشريف وهناك تقابل مع أفندينا فاطلعه علي جلية الأمر. ونظراً لأنه سيترتب علي تعدي البطريرك بطرس علي حقوق بطريرك الروم في القدس الشريف عداوة كبيرة بين القبط والروم في المدينة المقدسة قابل قداسته الباشا واعتذر له فقبل العذر ولكنه طلب إليه أن يكون مصاحباً لبطريرك الروم في الصلاة ويكون الباشا ثالثهم داخل القبر المقدس لأن سعادته كان يرتاب في حقيقة ظهور النور علي القبر في ليلة القيامة. فخاف البابا بطرس من عاقبة تأخير طلوع النور وسوء العاقبة وأخذ يستغيث بالصلوات الحارة بقدرة الرب يسوع المسيح وكانت كنيسة القيامة في ذاك الوقت قد غصت بالجماهير حتى تضايق الناس من شدة الازدحام. فأمر الباشا بإخراج الفقراء إلي خارج القيامة ليقفوا في الفسحة الكبيرة ودخل سعادته مع بطريرك الروم وبابا الإسكندرية في القبر وابتدأ البطريركان بالصلاة ولما حل الوقت المعهود انبثق النور من المقبرة بشكل أرعب الباشا حتى استولي عليه الذهول والاندهاش وصرخ مردداً هذه العبارة "أمان بابا" وكاد يسقط علي الأرض فتلقاه البابا بطرس في صدره إلي أن فاق من تأثير جلال المنظر المرهوب أما الفقراء الذين وقفوا خارج القيامة فكانوا أسعد حظا ممن كانوا بداخلها فإن أحد أعمدة باب القيامة الغربي انشقت وخرج لهم من الشق نور القيامة فتبركوا منه. وبعد العيد عاد البابا بطرس مكرماً إلي مركز كرسيه ٠كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١١ "أ" إلي ٣١٢ ــ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس).

٢٥ . رسامة الآباء المطارنة والأساقفة فى عهده

وقام البابا بطرس السابع برسامة مطرانين للمملكة الحبشية أحدهما في سنة ١٨١٦م ويدعي الأنبا كيرلس وبعد وفاته قام برسامة الأنبا سلامه بدله في سنة ١٨٤١م وقد عمر طويلا لأنه توفي في سنة ١٨٦٧م في أيام البابا ديمتريوس الثاني البطريرك (١١١).

وقام أيضا في أثناء رئاسته علي الكرسي المرقسي برسامة نحو ثلاثة وعشرين أسقفاً لأبرشيات القطر المصري والقدس الشريف (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٠ "أ" ــ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس).

"إلا أنه يذكر أن عدد الأساقفة الذين قام برسامتهم البابا بطرس السابع لأبرشيات القطر المصري والقدس بلغ نحو ٢٥ أسقفاً".

٢٦ . المملكة الحبشية والكنيسة القبطية

وكان رئيس دير أنطونيوس في عهد البابا بطرس السابع إسمه القس داود وكان يرقي شؤونه ويعمل علي إنهاضه إلي أوج السعادة والكمال باثاً في رهبانه روح الفضيلة والتقوي إلي أن رأي البابا أن هذا الرجل العظيم والمصلح الكبير يستحق الاكرام ويليق لأن يركن إليه في المهمات العظيمة وإنجاز الأمور الهامة وذلك لما امتاز به من الخصال الحميدة والمناقب الجليلة فادخره إلي وقت الحاجة. وإذ قد حدث خلاف بين الأنبا سلامه مطران الحبشة واكليروس تلك الاصقاع سببه أن المطران لما تولي منصبه رأي الشعب واكليروسهم هناك يسيرون علي ما هو مخالف لروح الكتاب فاستغرب من تساهل أسلافه المطارنة في هذا الأمر وسكوتهم عنه فعمل علي ردعهم وإهدائهم إلي جادة الحق. ولكنهم بدلا من الرضوخ للأمر وإتباع ما أمر به الكتاب غضبوا وأصروا علي اعتقادهم بدعوي أنه اعتقاد أجدادهم ولا يريدون الرجوع عنه وإتباع غيره. (تاريخ كيرلس الرابع للعلامة جرجس فيلوثاؤس عوض ص ٤٤و٤٥).

ولما يئس الأنبا سلامه من ردعهم بالبراهين الدينية تهددهم بسلطة الكنيسة فلم يجدوا أمامهم من وسيلة سوي شكواه إلي رئيسه البابا بطرس السابع وكان مشهوراً كما تقدم بيانه بالحلم والوداعة والتقوي فكتب إلي المطران بأن يعامل

من ذلك فرد عليه يبرئ نفسه من تلك التهم شارحاً المسألة شرحاً وافياً وقال في نهاية الكتاب أن موضوع الخلاف ليس عالمياً حتى يتساهل فيه وطاعة الله أولي من طاعة الناس (تاريخ كيرلس الرابع ص ٤٥و٤٦).

فلما ورد الجواب علي البابا بطرس سرّ لثبات المطران وإخلاصه. وكان يرجو أن تنفرج أزمة الخلاف علي يده غير أنه علم بتفاقم الخطب لتداخل رجال الحكومة هناك ومقاومتهم له فخشي أن يكون من وراء الاهمال انسلاخ الاحباش عن الكنيسة المرقسية بعد أن ظلت تابعة لها من سنة ٣٣٠ ميلادية. ونظراً لعدم إمكانية السفر لأن شيخوخته أقعدته خصوصاً صعوبة المواصلات آنئذ كانت تحول دون قيامه إلي تلك الاصقاع النائية فلم يجد أمامه من يعتمد عليه سوي القس داود فاستدعاه وفوضه في أن يكون نائباً عنه وفي الحقيقة قد أعطي القوس باريها (تاريخ كيرلس الرابع ص ٤٦).

فأذعن القس داود الأنطوني للأمر وطلب إلي البطريرك أن يصرح له في أخذ قسيس آخر يرافقه ليكون عوناً له في ذلك فأذن له فاصطحب قساً راهبا يدعي برسوم (وهو الذي صار فيما بعد مطراناً علي المنوفية باسم الأنبا يوأنس). (تاريخ كيرلس الرابع ص ٤٦).

وقام القس داود في الحال إلي بوش وتأهب للسفر حتى إذا ما جاء الميعاد الذي حدده له البابا سار علي بركة الله ومعه رفيقه يحملان كتاباً من البابا بطرس للمطران وآخر للقسوس وسائر الشعب الحبشي. وعندما ودعه البابا قال له علي مسمع من الناس:"إذا أديت هذه المهمة علي وجه مرضٍ فإنك ستنال نصيباً صالحاً عند عودتك مكافأة لك علي أتعابك".

وقيل أنه وعده بالمطرانية عند رجوعه وكان ذلك في سنة ١٥٦٧ش (١٨٥١م) (تاريخ كيرلس الرابع ص ٤٦و٤٧).

أما سر هذه المأمورية المهمة فهو خلاف ديني قد حدث منذ سنة ١٥٤١ش (١٨٢٥م) وكتب فيه البابا بطرس جملة كتب عثر علي اثنين منها العلامة جرجس فيلوثاؤس وكان تاريخها ٢٤ طوبه سنة ١٥٤١ ونصهما كالآتي:

أولاً. صورة كتاب البابا بطرس إلى الملك كيكار

"من بطرس عبدالله المدعو بنعمته

القائم الآن بمشيئته في خدمة الكرسي المرقسي بالإسكندرية والمدينة الأورشليمية والديار المصرية والأقاليم الحبشية والبلاد المجاورة"

"سلام الله القدوس الخاضع لعزته ولجلال عظمته الرئيس والمرؤوس يحل ويتضاعف، ويزاد ويترادف، ويشمل ذات الأخ الحبيب والمحل الشريف العالي الملكي، ملك ملوك الجيوش النجاشية والحامي بصورام سلطانه الممالك الحامية الملك البار المحب المختار. "كيكار" تاج الأمم النصرانية. وفخر بني المعمودية. أدام الله تعالي أيامه. وأيد نصره ورفع أعلامه. وشمل محله بالبركات السمائية وسوابغ الإنعام الإلهية. بطلبات من قبلت طلباتهم آمين".

"إنه في أبرك وقت وأشرف ساعة قد حضر إلينا في شهر جمادي الأولي سنة ١٢٤٠ هلالية كتابكم المؤرخ في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٧ هلالية يتضمن اعتقاد أمانتكم بتجسد ابن الله الكلمة الأزلية بالجسد الذي أخذه من الروح القدس ومن مريم العذراء إنه حكم قولكم الابن الوحيد بدهن المسحة. وأن أخانا المطوان الذي توجه لكم لما منعكم من هذا الإعتراف طلبتم أن أرسل لكم واحداً خلافه يقول بقولكم واعتقادكم. هذا وتقدمون لاعتقادكم الذي أنتم متمسكون به شهادات تفسيرها تجدونه مكتوباً في درج الأمانة الواصل لكم."

"والحال يا أخانا أن الآباء البطاركة والمطارنة والأساقفة من أبينا مرقس الإنجيلي وإلي زماننا هذا لم يقل أحد منهم "أن الابن الوحيد بدهن المسحة" ولا سمعنا أحداً من طوائف النصرانية جميعها يقول "الابن الوحيد بدهن المسحة" بل الجميع يقولون ان الابن الوحيد مسح ناسوته بلاهوته كما قال أبونا القديس أغريغوريوس الثاؤلوغوس وصار مسيحاً من أجل اللاهوت إذ كانت هي المسحة للبشرية ولم تكن مسحة بفعل منفصل بحسب ما كان في غيره من المسيحيين بل كان من حضوره متصلاً لم ينفصل عن الماسح وصار الفعل لهذه المسحة أن يصير الماسح إلهاً والممسوح إلها. وأيضاً نؤمن ونعترف أن ابن الله له ميلادان: ميلاد من الله الآب قبل كل الدهور وميلاد آخر من القديسة مريم في آخر

ونؤمن ونعترف مثل المجامع المقدسة الثلاثة النيقاوي والقسطنطيني والأفسسي." وهذه صورة أمانتنا المرتبة من المجامع المذكورة:-

"نؤمن بإله واحد: الله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يري وما لا يري. نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب في الجوهر. الذي به كان كل شئ. هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أخل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب عنا علي عهد بيلاطس البنطي. تالم وقبر وقام في اليوم الثالث من بين الأموات كما في الكتب. وصعد إلي السموات وجلس عن يمين أبيه في العلاء. وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه إنقضاء".

"نعم نؤمن بالروح القدس الرب المُحيي المنبثق من الآب نسجد له ونمجده مع الآب والابن الناطق في الأنبياء".

وبالواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا".

"ونترجي قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين". (تاريخ كيرلس الرابع ص٤٧و ٤٨و ٤٩و٥٠).

"هذه هي أمانتنا بالإسكندرية من أبينا مرقس الإنجيلي إلي يومنا هذا. وليس لنا تعليم ولا أمانة غيرها. وأرسلنا لكم عدة أدراج بها ولم نعلم إن كانت تصلكم أم لا أو تصل والمترجمون يغيرونها. وكذلك الجوابات التي تحضر من عندكم لنا لم نعرف لها قاعدة ولا نصاً معتدلا ونحن غير عارفين عن إن كانت لخبطة جواباتكم من المترجمين أو من عدم معرفة اللغة. فقد عرفتاكم السبب الذي صار به الشك لكم. ولأجل كمال برهنة كلامنا المتقدم شرحه واصل لكم درج مجموع بالاختصار من كلام أبائنا الرسل والأباء الذين بعدهم. عند وصوله عندكم تترجمونه من اللغة العربية إلي اللغة الحبشية وتطلعون عليه عامة الجيوش والعلماء بطرفكم كما هو بعلمنا أن فيهم أناساً ذوي فهم وعلم بالكتب المقدسة عتيقة وحديثة وكتب الآباء ويكون ذلك بحضور أخينا الحبيب المكرم المطران أنبا كيرلس (وهو كيرلس

وعلم بالكتب المقدسة وتطيلون روحكم ويكون عندكم التأني في ترجمة الدرج وجواباتنا الواصلة لكم حتى تفهموا ذلك جيداً إذا كان يصير عندكم وعند العموم الاقتناع بهذا الدرج فإن الله تعالي يهديكم إلي ما يرضيه ويجنبكم عما يغضبه ويكون لكم عوناً ومعيناً وحافظا أميناً. وإن كان لم يصر عندكم الاقتناع بذلك فميزوا اثنين أو ثلاثة من طرفكم ذوي فهم وعلم بالكتب المقدسة وأرسلوهم ليحضروا طرفنا فنتكلم معهم شفاهياً بالفم حتى يقتنعوا بحضور صورة الأمانة وما يصير بيننا وبينهم من القول وما ينتهي به الكلام يصل لكم به كتاب تفهمون به كل شئ منه تفصيلا. والله تعالي يثبتكم ويساعدكم ويدبر أموركم وسلام الرب يحل عليكم والبركة تشملكم".

تحريراً في ٢٤ طوبه سنة ١٥٤١ش (كتاب تاريخ كيرلس الرابع ص ٥٠-٥٣).

ثم أرسل بعد ذلك البابا بطرس الكتاب الآتي إلي سيادة الأنبا كيرلس الثالث مطران الحبشة في ذات التاريخ بالنص الآتي:-

"حضر لنا جواب من أخينا "كيكار" سلطان الحبش يعرفنا فيه عن المتمسكين به في اعتقادكم في المسحة وغيرها وأنكم حرمتموهم بسبب ذلك ويطلب مطران عوضكم يقول باعتقاده. فأرسلنا له رد الجواب درج الأمانة بما فيه الكفاية عن رده من اعتقاده حكم الدرج الذي أرسلناه لكم سابقاً وعرفناه في الجواب أن يصطلح معكم ومع كل القايمين في هواه وبعد الصلح الشافي يترجمون درج الأمانة من اللغة العربية إلي اللغة الحبشية ويقرأونه عليكم ويفهمون مضمونه فإن كان يقعنهم ذلك فالله يبارك وإن لم يقنعهم فليرسلوا جماعة من طرفهم لتأخذوا الأمانة منا شفاهة."

"وأما أنتم يا أخانا فيحتاج الحال أن تحاللهم ولا تقسوا عليهم بشئ لا هُم ولا غيرهم. لأن الناحية التي أنت تقيم فيها تشكوا منها بسبب الحرم والسفه والشتيمة والضرب."

"وكامل الذي أخبرناكم به في جواب الوزير فيحتاج الحال يا أخانا أن تحال الجميع ولا يخرج من فيك حرم إلي أحد بل بالبركة والدعاء الصالح وتهذب أخلاقك معهم وتطيل روحكم عليهم في كامل الأمور لأن الكلام في أمور الديانة

فصاحتهم في المنطق ودربة اللسان وعرف أبونا القديس أن انحرافهم بعدم المعرفة مال معهم في رأيهم وعرفهم أن أمانتهم علي الصحيح. ولما ركنوا إليه وزال نفورهم منه صار أبونا القديس يجذبهم إليه قليلا قليلا إلي أن عرفهم غلطهم فاعترفوا له بالشكر: إنه صار خلاصهم علي يده. كذلك أنتم يا أخانا كان يجب عليكم أن تصنعوا مثل ذلك".

"والمظنون أنكم يا أخانا تمشي علي موجب جوابنا هذا أحسن من الكلام الذي يصلنا كثيراً."

"والله تعالي يعينك ويساعدك ويدبر أمورك ويجعل خلاصهم علي يديك ويكون سعيك وكلامك مرضيين لديه ويجعل منك رينا العمارة والثمرة" أ هـ (كتاب تاريخ كيرلس الرابع ص ٥٣ و ٥٤).

وقد حرر البابا في ١٠ برمهات سنة ١٥٤١ ش كتاباً ثالثاً إلي خرماتش اسيفادس وزير أرض الحبشة نصه كالآتي:-

"إنه في أبرك وقت وأشرف ساعة حضر لنا جواباكم: واحد صحبة محمد الجبرت والثاني صحبة ولدنا يعقوب القبطي. وقرأناهما وفهمنا ما فيهما. وصار عندنا فرح زيادة وقدمنا التمجيد والشكر لله الذي أعطاكم ولد سلاسي نسأله تعالي أن يكون لكم عوناً ومعينا."

"وأرسلت أيضاً تعرفنا أن نرسل لكم جانب ماء من ماء نهر الأردن. فهي واصلة إليك صحبة محمد الجبرت. وأيضاً أرسلت تعرفنا أن الواصل لكم أبونا دميان يعرفكم عما جري مع أبينا المطران. والحال ياولدنا أن ولدنا القس دميان المذكور حصل له لطف من الله تعالي في بندر السويس وغاب عقله ولما حضر عندنا وقابلنا ما عرفنا منه كلاما جملة. فسألنا محمد الجبرت وقلنا له: "أي شئ جري من المطران؟" فالمذكور عرفنا أن المطران طيب في جميعه غير أن عنده حرارة دينية فقط. فكان المناسب منكم أن تخبرونا عما جري منه تفصيلا لكي نرد له الجواب بما فيه الكفاية. ولكن ما صار مباركا ونحن قد أرسلنا له جواباً بالتفريط عليه بأن يكون وإياكم حالة واحدة وكذلك أنتم تكونون مع المذكور حالة واحدة لأنه ياولدنا وصلنا جواب من السلطان يعرفنا بأن نعمل له مطراناً علي

فإن كان ياولدنا حصل من أخينا المطران شئ حادث فارسلوا اعلمونا بما حصل تفصيلا ونحن عند حضور جوابكم لنا بما يصير نرسل نخاطبه."

"وأما أنتم ياولدنا فلا يكن في بالكم شئ وهذا شئ من قديم الزمان. ولم يغير أحد القوانين السابقة عما سلف. والله يكون بالعون" أ هـ (تاريخ كيرلس الرابع ص ٦٥و ٦٦).

أما الدرج الذي يشير إليه وبعث به للملك والمطران في شهر هاتور سنة ١٥٣٩ ش وكذلك بعثانه أيضا إلي وزير أرض الحبشة سيفادس أي قبل كتابة هذه الجوابات الثلاثة بسنتين وهو يتضمن اعتقاد الكنيسة ولكن عبثاً كان يحاول الاقناع.

أما المطران كيرلس الثالث لما دخل إلي غندار وقال أن يسوع المسيح ابن الله بالإتحاد قام عليه كهنة غندار وكسروا الكاتدرا أي الكرسي والصليب فهرب إلي تيفري وأقام في عدوي ومات بيد سبغيدس وكانت رسامة هذا المطران بيد البابا بطرس نفسه في يوم الأحد عيد العذراء الموافق ١٦ مسري سنة ١٥٣٢ش (٢١ أغسطس سنة ١٨١٦م) حسب ما وجد في كتاب الميرون ولكن يوم الأحد يوافق ٢٠ مسري أي ٢٥ أغسطس ولعل الصواب ٦ مسري الموافق ١١ أغسطس ليقع في يوم الأحد (كتاب كيرلس الرابع ص ٥٠و٥١).

وقد رسم البابا بطرس خليفة للأنبا كيرلس الثالث المطران المتنيح الأنبا سلامه في سنة ١٨٤١ ميلادية وكان اسم الأنبا سلامه أولا اندراوس وكان تلميذا بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة وقد جاء عنه في دائرة المعارف البستانية (جزء ٦ ص ٦٨٠: حبشه): "وكان القوم يؤملون دخول الإصلاح الإنجيلي بواسطته. ومما قوي أملهم استيلاء أمير كان يميل إليهم علي الحبشة وكان اسم ذلك الأمير ثيوذوروس. ولكن لما استتب لهم الحكم وراقت له الأيام تماماً نفي المرسلين والقاهم في السجن.

وبعد تعيين الأنبا سلامه مطران علي الحبشة استمرت حالة المشادة بشأن صحة العقيدة التي تسلمتها الكنيسة القبطية من العهد الرسولي إلي يومنا هذا وظل النزاع قائماً حتى انتدب البابا بطرس السابع القس داود رئيس الدير لحسم هذا

الثلاثين سنة ولم يقتنع الأحباش بخطأهم إلي أن انتهت المشكلة علـــي يـد هـذا المصلح العظيم (تاريخ كيرلس الرابع ص ٥٦).

وقد أرسل مطران الحبشة الأنبا سلامه الثالث إلي الأرخن الكبير المعلم باخوم بالقلاية البطريركية بمصر يحذرهم من الأحباش الذين يحضـــرون إلـــي مصـــر للاكتساب بالطرق المختلفة الدنياوية ربحاً غير مشروع أو غيره وأن لا يقبلوهـــم في الديار المصرية ما لم يكونوا حاملين إذنا من نيافة مطران المملكـــة الحبشـــية وهذا نصه:-

(الله رجائي وملجأي) بسم الله الرؤوف الرحيم

المجد لله في العلا

٢٧ شهر أبيب سنة ١٥٦٥ قبطية

ιнс

ϩιρнnн

μετραπολιτнс

ενн εθαγω

١٥٥٠ ش

πχс

صدرت هذه البركة الكاملة والنعمة الشاملة إلي ذات الإبن المبـــارك الديـــن الارثوذكسي الشماس المكرم والأرخن المبجل ولدنا الحبيب "المعلم باخوم" الشـــيخ العفي اللبيب العلامة الفضيل وحيد عصره النبيل بحر العلم المشار إليـــه بالبنـــان الحافظ المعاني والبيان المنطيقي الشهير صاحب الفصاحة التحريـــر الفيلســـوف الخبير بارك الله عليه وأسعده وبالسرور متعه. ولا زالت أيامه صافية من الأكـدار وأعدائه مخيمة بالرزايا والأوزار ولا برحت مساعيه ثابتة فـــي فعـــل الصـــلاح ومناهج الأبرار. والصحة لبدنه فراشا ولحافا. ونفسه ناجحة في أفعال البر في كل حين أضعاً. ورفع مجده وشيده بالسعود إلي يوم الخلود بقوة رب الجنود والســـيدة البكر أم النور ذات الفضل والجود. وجميع جيـــوش العلويـــن وكـــل الأوليـــاء الصديقين آمين.

أما بعد إهداء البركات الإلهية والأدعية الأبوية والتحيات القلبية. نتوسل إلـــي الإله الرحوم متضرعين كي يمنحك الصحة الجسدية. ودوام الأيام الهنية ومغفـــرة كل خطية. وخلاص النفس لتحظي بالسعادة الأبدية.

الديار المصرية فلم يرد لنا عن ذلك أخبارية مع أننا نحن في كل حين نستخبر عنكم الأخبار آناً فآن فلا تقطعوا عنا جواباتكم السريعة الحاوية الفاظكم العذبة المنيفة فإنني وإن كنت علي بعد منكم بالجسد فروحي مأسورة عندكم ماء ونار حبي لا تضرم إلا بزندكم فدايما راسلونا بأخبار سلامتكم التي تسر بها القلوب والخواطر وتقر بها الألباب والنواظر. ونسأله تعالي أن يبارك عليكم ويحسن إليكم ويعطيكم سعادة الدارين ويديمكم إدامة النيرين ويخلصكم من سائر المحن والبلايا ويدفع عنكم كل الرزايا ويسمعكم في ذلك اليوم العتيد الصوت الحلو اللذيذ القائل تعالوا رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم فليكن لنا ذلك جميعا بصلوات العذراء والقديسين وكل الأولياء والشهداء والصالحين وكل الطوبانيين وتكونوا محاللين مباركين وبالأعمال الصالحة فائزين وبحمايته محميين محروسين في كل حين آمين وآمين. وعليكم منا البركة ثانياً وثالثاً ومزيد السلام الفاً وألفا مع محبة والفة. ومنا السلام الروحاني علي جميع مَنْ يحويه منزلكم الشريف كل واحد وواحد باسمه وبالأكثر علي أولادكم المباركين والله تعالي يحفظهم ويمنيهم ويقر بهم أعينكم ولا يحرمهم منكم. وأيضا نخبركم انكم من الآن وصاعداً تخبرون أولادنا المسيحيين أنهم لا يقبلون أحداً من الحبش إلا بتذاكر منا لأنه فيهم كثيرين مخالفين لامانتنا ويحضرون لاكتساب الربح الدنياوي فلا تقبلوهم إلا بتذاكرنا والله يحفظكم وسلام الرب يحل عليكم والنعمة والبركة تشملكم والشكر لله دائما سرمدياً آمين.

وقد كلف القس داود أثناء وجوده بالحبشة بنهو مسألة دير السلطان بالقدس الشريف الذي كان النزاع قائما عليه بين الكنيسة القبطية والأحباش فقد أرسل البابا بطرس إلي هذا القس الرسالة الآتية:-

"البركة الكاملة والنعمة الشاملة إلي ذات ولدنا الحبيب الكاهن المؤتمن القمص داود رئيس دير أبينا القديس العظيم أنبا أنطونيوس كوكب البرية بارك الله عليه بأفضل البركات الروحانية وجزيل الخيرات السمائية والنعم الإلهية.

"تعلم أن سابق تاريخه أرسلنا لكم ولحضرة أخينا المطران أنبا سلامه مطران الحبشة ثلاثة جوابات نسخة واحدة اثنين من علي سنار والثالث من علي مصوع مضمونها أنه الآن بعد توجهكم بمدة كم يوم وردت جوابات من القدس الشريف

طرفنا يخبروننا فيها بخصوص قضية مفتاح كنيسة الملاك (أي الكنيسة الموجودة في دير السلطان) الذي أخذه الحبش وأرسلنا نعرفكم ونعرف أخانا المطران عن ذلك بأنه صار أعمال الدعوى المذكورة علي يد سعادة متصرف القدس وحضرة القاضي بالمدينة بذاك الطرف وأعيان مدينة القدس من كل طائفة ومن لزم هناك بحضور ترجمان قنصل دولة الانجليز بالقدس وواحد حبشي يسمي ميخائيل وكيل عن الحبش وحضروا معه. وبحضور حضرة المطران المشار إليه وأولادنا الكهنة المقيمين هناك من طرفنا. وصار ما صار. وأخيراً أخذ مفتاح الكنيسة المتقدم ذكره من الحبش واستلمه أولادنا الكهنة كما كان مثل الأول بأمر سعادة المتصرف وحضرة القاضي."

"واستخرجنا عنها إعلامات شرعية وصار عرض تلك القضية إلي الاستانة العلية لاجل اخراج فرمان سلطاني عن ذلك لتقويتهم لاجل عدم القيل والقال في الأواخر. إلا أنه ياولدنا صرف في شأن ذلك خسارة كبيرة مبلغ خمسين ألف قرش بمائة كيس قبلغ مقدرها الفين وخمسمائة فرانسة. والسبب في ذلك هم الحبش وذلك صار من أخينا المطران المبدي ذكره ومن أولادنا الكهنة بغير علمنا ولا خاطبونا عن ذلك قبل الشروع في أعمال هذه القضية ولكن لعله خير خصوصا ياولدنا أن أولادنا الحبش الذين يحضرون من بلادهم إلي القدس وخلافه من قديم الزمان ونحن حاملون ثقلهم في المصاريف التي تصرف عليهم سنويا عن كل سنة خمسة آلاف قرش وكسور فصار جملة الذي صرف عليهم نحوا عن مائتي ألف قرش وكسور في مدتنا نحن فقط. فصار جملة الذي صرف عليهم والذي صرف الآن في هذه القضية مبلغ خمسمائة كيس وزيادة فضلا عن مأكولاتهم ولوازم موتاهم وكسوتهم وسفرياتهم في الذهاب والإياب."

"فيقتضي الأمر ياولدنا أنكم تفهمون أولادنا جزدمات أوبية ورأس عالي وباقي أولادنا الذين أرسل لهم الجوابات ومن تفهمونهم بمعرفتكم بذلك وتفهمونهم جيداً عن هذا الخصوص لاجل يصير أولا معلومهم بذلك المبلغ المقدم ذكره الذي صرف علي الحبش لينظروا معاملتنا إياهم. ولكي يتحقق لدي الجميع وتبطل بذلك الفتنة بالقول إننا لم نعامل أولادنا الحبش مثل أولادنا القبط بل يعلم للجميع أنه

حق الذي يحصل منهم الأمور الغير مرضية. ومن الآن فصاعداً تنبهون علي أن كل من يحضر لهذا الطرف من أولادنا الحبش لزيارة القدس الشريف وخلافه لا يحضر من ذلك الطرف إلا بورقة من حاكمه ويكون عليها ختم حضرة أخينا المطران أنبا سلامه ولذا يكون معروفا" أ هـ (كتاب تاريخ كيرلس الرابع ص٥٩-٦١).

وكان الرأس عالي المنوه عنه في الخطاب المتقدم الذكر من أمهره وكان الحاكم علي بلاد الحبشة المتوسطة من سنة ١٨٣١ إلي سنة ١٨٥٥م حال كون أميرين كان عالي المذكور وزيراً لهما كانا يحكمان علي البلاد في تلك الأثناء وذلك بالاسم فقط (دائرة المعارف البستانية جزء ٦ ص ٦٧٦).

وقبل أن يسود علي البلاد ثيودوروس ويكون ملك ملوك الأحباش كانت هذه البلاد محكومة بحكام أربعة مستقلين في أحكامهم وهم: "دجاز أوبي" وكان يحكم علي مقاطعة التيفره. و "هايلو ملكوت" وكان يحكم الشوا. و"بروغوشو" يحكم قود جام. ورأس عالي كان يحكم أمهره وهو الرئيس.

وقد دخل ثيودوروس في خدمة الرأس عالي وكان يدعي كاسا ونظراً لشجاعته أزوجه من ابنته ولو أنه كان من طبقة العامة. ثم أخذ يتقوي ولم يمنعه الزواج من ايقاف تيار آماله في أن يتغلب علي صهره ويكون ملك ملوك الحبشة.

وكان سفر القصص داود في أيام الرأس عالي قبل أن يرتقي ثيودوروس الذي ولد سنة ١٨١٨م وكان تتويجه ملكا في مارس سنة ١٨٥٥م بيد المطران وثبته البابا كيرلس في سفره الثاني.

وبعد ذلك التجأ الحبش الذين في القدس إلي الكنيسة الانجليزية لكي يتمكنوا بمساعدتهم من الاستيلاء علي دير السلطان من الأقباط فقام أسقف الكنيسة الإنجليزية بإرسال الكتاب الآتي إلي قداسة البابا بطرس رداً علي كتاب البابا المرسل إليه في ٧ بابه سنة ١٥٦٧ش:-

"المجد لله دائماً"

"كير صموئيل برحمة الله اسقف الكنيسة الإنجليزية بمدينة أورشليم وسائر المشرق حالا." (ختم)

المؤمنين بكلمته الطاهرة الإلهية. والداعي لترقم وريقة المودة الأخوية هو أولا لافتقاد عزيز خاطركم العاطر وافتحاص اعتدال المزاج السليم الفاخر. ثم الآن في أبرك وقت وردت إلينا رسالة ودكم البهية رقم ١٧ بابه من السنة الماضية تلوتها مسروراً مجداً. وحمدته تعالي بغالي سلامتكم المأثورة وجميع ما أفدتم بها عما كان بلغكم أولا من حضرات أولادكم الموقرين قسوس هذا الطرف المحترمين عن المقولة التي كانت واقعة إذ ذاك فيما بينهم وبين أولادنا قسوس الاحباش وفقرائهم ايضاً المقيمين بهذا الطرف عن مفاتيح كنيسة دير السلطان محل إقامتهم قد صار معلوم مخلصكم وياحبذا لو صادف ورود رسالة اخوتكم هذه المملوءة حباً وعذوبة بوقته لكان ربما بموجبها قضي الأمر بكل سهولة ورجعوا إلي الائتلاف بالمحبة الأمر الذي هو غاية مرغوبنا في استدامة المحبة الاخوية وفض المشكلات ونهو تلك المفاوضة لو أن أولادكم قسوس القبط حضروا وعرضوا علينا المسألة لاهتممنا بمصالحهم إلا أنهم بوقته وكلوا حضرة اخوتنا . .. .. الذي لا يخفي أن الضرر جميعه آت من قبلها .. .. .. التي نحن خاصة مجبورين علي مراعاتها أن .. .. .. واخيه بكل مودة ولكن حيث أنه بذلك الوقت كان المرحوم أخينا بطريرك الأرمن منقول لرحمة مولاه وكيريوهانيس البطريرك الجديد لم يحضر إلي كرسيه من جانب الاستانة وهم لاحظوا أن يحلوا المصالحة بعصا الحكم المدني أوفق لهم. فلذلك لم يكن فائدة من كل ما رآه ولا من المصروفات السرية التي بلغنا أنهم صرفوها إلي الأمم من مال المسيحيين الذي اتصل لايديهم ليوزعوه لمجد الله وخير فقراء اخوة المسيح فالتزموا بعد ذلك أن يرجعوها لطريق المصالحة التي أشرنا إليهم بها وصار ذلك مؤقتاً عن يد الحكم لحضور قدس أخينا البطريرك المحترم. ولما حضر جناب المشار إليه هو ذاته التمس منا ذلك طريقا انجيليا وبنعمة ربنا يسوع المسيح ما حصل من طرفنا تأخير وتم الأمر بكل سهولة ورجعوا إلي طريق الحب والائتلاف. فلا يكن لقدسكم فكرة من قبل ذلك. ومأمول بتقوي أخوتكم ان تعرفوهم بعد الآن لا يسلكون بهوي النفس الغير نافع. بل يكون مسلكهم في النور لأننا بني النور ولسنا بني الظلمة وكما أننا ما دخلنا إلي العالم بشئ فلا نستطيع أن نخرج منه بشئ أيضا بل وملتزمون للوقوف أمام المنبر

بوصوله تكون وردت لاخوتكم أجوبة الموافقة والسلام من جهة الديار الحبشية وتعودون إلي الإئتلاف الحقيقي لكلمته الإلهية كما كنتم قديماً. ونسأل جوده تعالي أن يهئ السلام والاتفاق وينير قلوبنا لمعرفة كلامه الإلهي ويؤهلنا لملكه الدائم في أورشليم العليا السمائية ويحفظ وجود اخوتكم موطداً علي أساس البيعه الرسولية."

"هذا وفيما بعد نؤمل دوام مواصلتنا برسائل مودتكم البهية لنكون مطمأنين علي صحتكم المأثورة ومقدمين شكراً لعزته الإلهية بسبب اخوتكم مع سؤال خاطر من لديكم من الاخوة الأساقفة الموقرين والقسوس المحترمين".

"ومن هنا جميع أولادنا يدعون سلامتكم ودوام بقائكم".

في أورشليم ٣ شباط سنة ١٨٥١م الامضاء: (س. انجل هيروسول).

وهذا الجواب كتب في يوم الاثنين ٣ فبراير سنة ١٨٥١م الموافق أول ربيع الثاني سنة ١٢٦٧هـ و٢٧ طوبه سنة ١٥٦٧ش كان بعد صدور مضبطة أعضاء مجلس القدس الشريف عقب صدور الحجة التركية عن أخذ مفتاح الدير من يد مغتصبيه ونصها كالآتي:-

"تقدم تقرير من وكيل واختيارية دير الأرمن بالقدس الشريف لاعتاب دولتلو والي ايالة صيدا حالا باشا حضرتلري. واحيل لطرف سعادتلو متصرف القدس الشريف المحترم يتضمن أن دير السلطان الكائن باتصال القيامة بالقدس الشريف فالكنيسة التي داخله الكائنة من قديم الأيام مفاتيحها في يد القبط تحت نظارة بطريرك دولة الأرمن فهذا الآن أي أن مفتاح الكنيسة المذكورة بملاحظة ابقائه بأيدي الحبش فقد خطفوه (الحبش) المذكورين من يد القبط تغلباً وتوجهوا به لطرف جناب مطران الانكليز بالقدس الشريف ومظهرين الاستنكاف من وجودهم تحت نظارة الأرمن ويسترحم الوكيل والاختيارية الموقرون: أنه حيث أن الحبش أجروا هذه الحركات الغير مرضية فبمعرفة الشرع الشريف يؤخذ المفتاح المذكور من الحبش ويرتد إلي يد القبط علي موجب القديم. فعند ذلك بناء علي الأمر الصادر من دولتلو الوالي المشار إليه بإجراء المعاملة علي الوجه القديم صار عقد مجلس بحضور سعادتلو المتصرف باشا وبحضور وكيل واختيارية الأرمن وخوازنة الأقباط وحضر الحبش أيضاً وحضر في المجلس ترجمان مطران

وعند ذلك قرر وكيل الأرمن وادعي أن الكنيسة التي داخل دير السلطان الكائن باتصال القيامة بالقدس الشريف فهذه بحسب وجود القبط يحق لنا وتحت نظارتنا فمفتاحها من القديم بيد رهبان القبط. وبما أن الحبش المذكورين أيضا هم من جملة يمقاتنا وتحت نظارتنا ففي الأوقات المعينة والأزمنة المعلومة. فبالتنبيه من طرفنا كان القبط يمكنون المذكورين من إجراء أمنيتهم بالكنيسة المذكورة بمعرفة القبط أيضا كان ينصرف الزيت والشمع العسلي بالكنيسة المرقومة. وبالجملة فقراء الحبش وعجزهم في مدة اقامتهم بالقدس مأكولاتهم ومشروباتهم تعطي من طرفنا علي سبيل الاحسان وهي لوازمات موتاهم أيضا في هذه الأثناء حيث توارد أنفار حبش بكثرة عن السنين السابقة فنظراً لافكارهم الغير صحيحة أخذوا مفتاح الكنيسة المذكورة تغلبا وخبوه وهذا شئ مغاير الشرع الشريف ومنافي للتعامل القديم. واسترحم أخذ المفتاح من الحبش وتسليمه لمن كان بيدهم بالسابق. فعند ذلك سار السؤال في المجلس من مخائيل الذي هو وكيل من طوف الحبش عن هذا الخصوص فأجاب بالتصديق لما قرره وكيل الأرمن من كونهم تحت نظارة الأرمن وإدارة لوازماتهم هي من طرف الأرمن وإنما أجاب بأنه من حيث أن الكنيسة هي منسوبة لنا من قديم الأيام كما استدللنا من تواريخنا فلهذا السبب أخذت المفتاح المذكور. فسئل منه هل يوجد بيد الحبش سندات علي قدمية وجود المفتاح بيدهم أو عندهم إثبات علي ذلك.فأجاب بأنه لا يوجد مستندات ولا عندهم إثبات علي هذه الدعوي.

فلذلك حيث ما وجد مستندات ولا إثبات مع الحبش فصار السؤال من أعضاء المجلس ووجوه البلدة والاختيارية الحاضرين في المجلس بأنه من قديم ماذا تعلمون: مفتاح هذه الكنيسة في يد من هو وإلي من انتسابه؟ فأجابوا جميعاً: إن الذي نعلمه أن مفتاح الكنيسة المرقومة هو من القديم في يد القبط وهم تحت نظارة الأرمن. فعند ذلك صار القرار في المجلس بحسب الثبوت الشرعي بأن يعطي مفتاح الكنيسة المذكورة بمعرفة وكيل الأرمن إلي يد القبط كما كان من القديم إلي الآن إيجاباً للتعامل القديم وتطبيقاً للشرع القويم وإنفاذاً للأمر الكريم وقد تحرر بهذا الخصوص إعلام شرعي حسب الواقع.

وبناء علي ذلك

تحررت هذه المضبطة من مجلس القدس الشريف لتكون بيد وكيل الأرمن الموما إليه" أ هـ (تاريخ كيرلس الرابع ص ٦٤ ٦٨).

وعلي ذلك صدرت الحجة الرسمية باللغة التركية في أوائل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٧ هجرية وهي لا تخرج عما تضمنته المضبطة المتقدم ذكرها.

وقد تدخّل قنصل الانجليز في الأمر مساعداً للأحباش للاستيلاء علي ما ليس من حقوقهم ويظهر أن الأحباش قد انغشوا بالمواعيد الكاذبة فأرادوا أن يأخذوا دير السلطان لتسليمه إلي أيدي من يدافع عنهم بحجة أنهم فقدوا كل الأحباش الموجودين في أورشليم أيام الطاعون الذي حدث في سنة ١٨٣٨م وأن الترك حرقوا كل كتبهم وأوراقهم بما فيها مستنداتهم الرسمية بسبب التطهير من الوباء ولكن هذه المؤامرة قد باءت بالفشل وانجلت القضية علي ثبوت ملكية دير السلطان للقبط.

٢٩. وطنية البابا بطرس السابع وتمسكه باستقلال كنيسته

ومما يخلد ذكر البابا بطرس السابع وطنيته المصرية الصميمة وتمسكه بها والمحافظة علي استقلال كنيسته أن إمبراطور روسيا أوفد إليه أحد أفراد عائلته ليعرض عليه وضع الكنيسة القبطية تحت حماية القيصر فرفض العرض بلباقة قائلا أنه يفضّل أن يكون حامي الكنيسة هو راعيها الحقيقي الملك الذي لا يموت. فأعجب الأمير بقوة إيمان هذا البابا العظيم وقدم له كل إكرام وخضوع وتزود من بركته وانصرف من حضرته مقراً بأنه حقيقة الخليفة الصالح والعبد الأمين للملك الأبدي المسيح الفادي.

٣٠. الايام الأخيرة للبابا بطرس السابع

وقد سجل البابا بطرس بخط يده الكريمة في سجل البطاركة أنه رسم في ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ش الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٩م في أيام محمد علي باشا حيث ذكر الجملة الآتية: "وخلا الكرسي يوم واحد الذي هو الخامس عشر وفي السادس عشر من شهر كيهك سنة ١٥٢٦ش في يوم الأحد كرز الحقير بطرس" (كتاب التواريخ لإبن الراهب ص ٢٤٨).

البصخة المقدسة بحضور عظماء الأمة القبطية بمصر المحروسة واشترك رؤساء الطوائف المسيحية بالكنيسة المرقسية بالازبكية ودفن بالاكرام اللائق لقداسته في الساعة العاشرة بجانب البابا مرقس الثامن سلفه بالهيكل البحري وأقام علي الكرسي البطريركي مدة ٤٢ سنة و٣ شهور و١٢ يوما وخلا الكرسي بعده سنة واحدة و١٢ يوما وقد عاصر محمد علي باشا وإبراهيم باشا وعباس الأول.

وقد جاهد في مدة رئاسته جهاداً عظيماً مع الكاثوليك والأحباش وكان رحمه الله محبا للدرس غير ميّال لجمع المال ولم يميز أهله وذويه.

وكانت نياحته في أثناء وجود القمص داود رئيس دير أنطونيوس غائبا في بلاد الحبشة وقد مضي علي سفره سنة.

٣١. مشاهير الرجال فى عهد البابا بطرس السابع

وقد اشتهر فى عهد هذا البابا القديس القمص داود الأنطوني الذي اصبح بعده بطريركا علي الكرسي المرقسي كما سيأتي ذكر تاريخه وكذا اشتهر الأسقف البار القديس أنبا صرابامون الشهير بأبي طرحه أسقف البحيرة والمنوفية والأرخن الكبير المعلم نخله إبراهيم وإليك تاريخهم بالاختصار.

٣٢. شهيد دمياط ورفع الصليب جهاراً فى عصر البابا بطرس الجاولى

كان سيدهم بشاي كاتبا بالديوان بثغر دمياط في أيام محمد علي باشا والي مصر وقامت ثورة من الرعاع بالثغر المذكور وقبضوا علي هذا الكاتب وادعوا عليه أنه سب الدين الإسلامي وكان بريئا من ذلك إلا أنه قدم للمحاكمة وشهد عليه أمام القاضي الشرعي بربري وحمّار فحكم عليه بالدخول في الإسلام أو القتل ثم جلده وأرسله إلي محافظ الثغر فبعد ما فحص قضيته حكم عليه زوراً بمثل ما حكم به القاضي. فأنكر سيدهم الإسلام واستهان بالقتل فجلد وجرّ علي وجهه من فوق سلم قصر المحافظة إلي أسفله ثم طاف به العسكر بعد أن أركبوه جاموسة بالمقلوب في شوارع المدينة فخاف النصاري من هذه الحركة وقفلوا منازلهم.

أما الرعاع فقد شرعوا يهزأون بسيدهم ويعذبونه بآلات مختلفة إلي أن كاد يسلم الروح فأتوا به إلي منزله وتركوه علي بابه ومضوا فخرج أهله وأخذوه وبعد خمسة أيام انتقل إلي السماء حاملا إكليل الغلبة وكان موته استشهاداً عظيما

إختلاف مذاهبهم واحتفلوا بجنازة هذا الشهيد احتفالا لم يسبق له مثيل حيث احتفل بتشييع جثمانه جهراً فتقلد بنو النصاري الأسلحة ولبس الكهنة وعلي رأسهم القمص يوسف ميخائيل رئيس شريعة الأقباط الأرثوذكس بدمياط ملابسهم الكهنوتية واشترك معه كهنة الطوائف الأخرى وساروا به في شوارع المدينة وأمامه الشمامسة يحملون أعلام الصليب ثم أتوا به إلي الكنيسة وأتموا فروض الجنازة وصار الناس يستنكرون فظاعة هذا الحادث الأليم ويتحدثون بصبر الشهيد سيدهم وتحمله ألوان العذاب بجلد وسكون.

وبعد ذلك تداول كبار الشعب المسيحي بثغر دمياط لتلافي هذه الحوادث مستقبلا فقرروا توسيط قناصل الدول في ذلك لعرض الأمر علي جناب والي البلاد والبابا بطرس بطريرك الأقباط ورفعوا إليهما التقارير المفصلة. وتولي هذا الموضوع الخواجه ميخائيل سرور المعتمد الرسمي لسبع دول بثغر دمياط.

فاهتم عزيز مصر بالأمر وأرسل مندوبين رسميين لفحص هذه القضية فأعادوا التحقيق وتبين منه الظلم والحيف الذي حل بالشهيد العظيم واتضح إدانة القاضي والمحافظ فنزعوا عنهما علامات الشرف ونفوهما بعد التجريد ثم أرادوا أن ينفوا معهما بعض المشايخ والفقهاء فتوسط لهم بعض القناصل وطلبوا بدل ذلك للترضية وتهدئة الخواطر السماح برفع الصليب جهاراً أمام جنازات المسيحيين في الشوارع والطرق العامة فأذن لهم بذلك. (سنكسار يوم ١٧ برمهات سنة ١٦٦٧ش).

الأسقف البار القديس أنبا صرابامون أسقف البحيرة والمنوفية

١ . محل ميلاده ونشأته

ولد هذا القديس الفاضل من عائلة قبطية عريقة في المسيحية باحدى البلاد مديرية الشرقية ونشأ متعبداً بسيطاً جداً وقديساً طاهراً وكان اسمه صليب.

حضوره إلى القاهرة وحرفته

ولما ترعرع وكبر حضر إلي القاهرة وأقام بها واحترف مهنة بيع الزيت وكان يطوف ببضاعته الشوارع والحارات مناديا علي زيته واستمر يمارس هذه المهنة مدة طويلة.

٢ . سبب طلوعه إلى الدير ورهبنته

ولما كان يطوف علي حماره يبيع الزيت تربصت له بعض النسوة بشاب صغير قتلنه ووضعنه في طريقه وادعين عليه أنه القاتل. فاجتمعت الناس وساقوه إلي دار الحاكم فلما سئل أنكر وبكي وصلي بحرقة وقال للمقتول بإيمان كبير: "يقيمك الرب يسوع لتخبرهم عمن قتلك" فقام الغلام بإذن الله الرحوم وأخبر عن الحقيقة فافرجوا عنه.

ولما خرج من هذه التجربة ورأي أن العالم محفوف بالمكارة والشرور آثر الاعتزال عن الدنيا والالتحاق بأحد الأديرة ليكمل أيام حياته في هدوء وقداسة.

٣ . دخوله دير القديس أنطونيوس ورهبنته فيه

فاختار دير القديس أنطونيوس ملجأ له فالتجأ إليه واندمج في سلك رهبانه وكان رجلاً باراً متقشفاً للغاية يمارس عيشة القداسة والطهارة مداوماً علي التأمل في الروحيات مؤدياً الصلوات في أوقاتها حتى ذاعت قداسته وانتشر صيته.

٤ . اختيار الراهب صليب للأسقفية

ولما خلا كرسى المنوفية بانتقال أسقفه إلي الحياة الأبدية وقع الاختيار علي الراهب صليب الأنطوني ليكون أسقفاً علي المنوفية مكان المتنيح. فأحضروه من الدير بغير إرادته إلي القلاية البطريركية بالأزبكية.

٥ . سيامته أسقفا على المنوفية باسم الأنبا صرابامون

فقام قداسة البابا بسيامته أسقفا علي كرسي المنوفية باسم الأنبا سرابامون واشتهر بلقب سرابامون أبو طرحه لأنه كان دائماً يضع شاله علي رأسه ويغطي به أعينه اثناء سيره في الطريق.

٦ . قداسة ونسك الأنبا صرابامون

وقد اشتهر الأنبا صرابامون بعيشته التقشفية ونسكه وبرارته وبساطته المتناهية وقداسته فقد كان لا يعبأ بزخرف الحياة ولا بهرجة العالم وكان يحارب شهوة النفس ويقهرها حتى فاز بالبرارة والطهارة فكان يقضي ليله قائماً يصلي مؤدياً فريضة العبادة لله عز وجل وبعد إتمام هذا الواجب المقدس يفترش الأرض ويسند رأسه علي مركوبه اسوة بالعباد الزاهدين والنساك الصالحين والرهبان

بيوت الأقباط المشهورين، أن شم رائحة ملوخية تطهي وفراخ تحمر فاشتهت نفسه أن تأكل منهما فأرسل إليه أصحاب البيت شيئاً من هذا الطعام إلي قلايته بـــالدار البطريركية. ولما قدم له أمر بتأخيره ولبث عنده مدة ثلاثة أيام حتى انتن وفـاحت رائحته الكريهة فطلب من تلميذه المدعو إبراهيم برغوت أن يستحضره له ووضع لقمة منه في فمه فعافته نفسه وابتدأ يوبخها قائلا: "ها هي شهوتك لماذا لم تأكليـها ياملعونة" ثم أعطي الطعام لتلميذ فأراقه خارجا.

وكان قداسته يمارس عمل الاحسان في الخفاء وقد حدث له ذات مرة أنه كان في أحدى الليالي يسير متنكراً في بعض أزقة القاهرة وعلي كتفه سلة ثقيلة الحمـل فصادفه وهو بهذه الحالة رجل من خدم الدار البطريركية يدعـــي حنـــا النجـــار فاستغرب زيه وتلثمه إذ رآه يكاد أن لا يظهر من وجهه غير عينيه وهو يلهث تعباً من حمله فرابه أمره وظنه لصاً فجد وراءه حتى أدركه ثم رآه يقف بباب وقرعـه فانفتح الباب فسلم السلة للفاتح دون أن ينطق بكلمة وعاد من حيث أتـــي وعندئـــذ تقدم إليه حنا وأمسك به فما تبينه حتي علم أنه الأنبا صرابامون أسقف المنوفيـــة وكان يأتي بالدقيق والقمح ويحمله بنفسه إلي الأسر التي لا تمد يدها للسؤال حيـاء عاملا في ذلك بقول المسيح له المجد "وأما أنت فمتي صنعت صدقة فلا تعـــرّف شمالك ما تفعل يمينك".

واتفق مرة أنه كان لدي الأنبا صرابامون ستمائة ريال فرأي أن يشتري بـــها داراً للأوقاف وقد وضعها في كيس وسلم الكيس لتلميذه برغوت ليحفظه إلـــي أن تتم المساومة وحدث أن زار الخادم براهيم أحد أقاربه وعلم هذا بأمر الكيس فدفعه الطمع إلي سرقته من إبراهيم فلما افتقد التلميذ النقود ولم يجدها ذهب إلي الأسـقف باكياً فخفف الأسقف حزنه وقال له. "ثق يابني بالله فهو قادر أن يرد إلينا المـــال" وفي هذه الأثناء كان السارق قد شعر بتأنيب ضميره فلم يستطع أن يصرف قرشـا من الكيس الذي سرقه ثم اشتد به الندم فقام مسرعا وجاء إلي الأسقف بنفسه ومعه الكيس وانطرح أمامه طالبا السماح والعفو فسامحه الأسقف ثم بيّن له شر الســرقة ووخامة عواقبها ونصحه بالسير بالاستقامة في الحياة وقال له:"إذا وقعت في ضيق فتعال إليّ" ثم تحنن عليه ومنحه بعض دريهمات. فتأثر الشاب من هذه المعاملـــة

وقد كانت قراءته ضعيفة لشيخوخته فكان عندما يقع نظره وقت الخدمة علي إنجيل القداس ويجده طويلا يقول:"يا أبوي يا أم النور ده طويل يا أبوي".

وكان دائما يستغيث طول حياته بالعذراء أم النور وكانت تعينه في ضيقاته وتجيب نداءه في طلباته.

٧. صنع العجائب والمعجزات على يديه

واشتهر أمر هذا الأسقف الجليل من قبل رسامته وبعدها بصنع العجائب العظيمة وإتيان المعجزات الخارقة للعادة وما هذا بغريب في الديانة المسيحية إذ قال رب المجد في كتابه الكريم "كل شئ مستطاع للمؤمنين" (مر ٩:٢٣).

٨. إخراج الأرواح النجسة والشياطين

وكانت شهرة هذا القديس التي انتشرت في البلاد هي قدرته علي إخراج الشياطين بتلاوة المزمور "٣٤" ورش الماء علي وجوه المصابين باسم "يسوع المسيح" فشفي علي يديه كل من التجأ إليه من المصابين بالأرواح النجسة.

وحدث مرة أن مريضا بروح نجس أتي به أهله إلي البابا بطرس السابع ليصلي عليه فطلب أن ينتظروا بالمريض حتي يستدعي له الأسقف صرابامون ليصلي عليه. فقال له الأنبا إبرآم أسقف القدس:"منك أيها البابا نأخذ نحن الأساقفة المواهب فتقدم ياسيدي بالصلاة علي المريض ولا تنتظر مجئ الأسقف" فأجابه البابا بكل تواضع زائد:"إعلم يا أخي أن لكل واحد منا موهبة" فلم يقتنع الأسقف بإجابة البطريرك واضطره في آخر الأمر أن يقول له:"أنت أسقف مثله فقم وصلِّ أنت" فقام أسقف القيامة إجابة لدعوة البابا وصلي علي المريض بدون جدوي لأن الروح الشريرة الساكنة فيه كانت تستهزئ به وتذكر له تقصيره في إتمام واجباته حتى اضطر الأسقف إلي الاعتراف أمام البطريرك بهذا التقصير. ولما حضر الأنبا سرابامون دعاه البابا للصلاة علي المريض فاعتذر ورجا من البطريرك التقدم للصلاة علي المريض وبعد الألحاح عليه بشدة قبل القيام بتأدية الصلوة مشترطاً أن يمسك في يده صليب البابا البطريرك ثم صلي راشماً المريض بصليب البابا فشفي وخرج منه الروح النجس.

ولقد ذكر له تاريخ البطاركة في سيرة البابا بطرس السابع قيامه باخراج

واعتذر له قائلا:"ليس من شئون وظيفتي أن أربح بمواهب الرب ما لا يحوجني إليه. فلباسي كما تري فراجية صوف أحمر وطعامي الخبز وطبيخ العدس فعوض ذلك أسأل مولاي الأمير أن تشملوا أبناء أمتي القبطية بعطفكم السامي وتعيدوا إلي الخدمة بنيها المرفوتين فأجاب طلبه ملحاً عليه في قبول العطية الممنوحة له فأخذ منها الأسقف قليلا وفرقه أثناء مروره علي العساكر"ومن وقت هذا الحادث العجيب صار للبابا بطرس السابع والأنبا صرابامون منزلة سامية في عيون الأمراء والحكام وأعيد إلي الخدمة الكثيرون من المرفوتين كما أسندت الوظائف الكثيرة لأبناء القبط.

وقيل أن الشيطان لما رأي أن قوة الأنبا سرابامون قهرته وانتصرت عليه بمعونة الله تعالي صار يحاربه بروح الفخر والاعجاب من معجزاته وقدرته التي منحها له الله فكان يصور للأسقف أنه أصبح أفضل من غيره قداسة حتى سمع مرة يقول:"بقي ياصليب أعطيت من فوق مواهب الشفاء ياصليب. فأنت أيها الحقير تخرج الشياطين وتتغلب عليها بقدرة الله وتشفي المرضي ياصليب" فما كان يؤثر بكلامه هذا في نفس الأسقف بل كان يزداد في الصلاة والاستعانة بقوة الله علي قهر الشيطان الرجيم حتى اضطر الشيطان بعد فشله فيما كان يرمي إليه أن يجاوب نفسه مقهوراً قائلا:"يا أخي إنها قوة الله التي معك ياصليب التي تقهر بها سلطان الشياطين. هذه قوة الله ياصليب".

وروي أنه لما تنيح أنبا مكاريوس أسقف أسيوط في مركز أبرشيته بعيداً عن القاهرة دخل الأنبا صرابمون ليلا علي البابا بطرس منزعجاً يخبره أنه شاهد روح أسقف اسيوط صاعدة وبعد فترة قصيرة تحقق لدي البابا الخبر.

وجلس مرة مع البابا البطريرك في قاعة الجلوس وكان البابا يستقبل فيها وقتئذ تادرس أفندي عريان باشكاتب حكومة السودان سابقاً والد المرحومين عريان بك تادرس باشكاتب المالية وباسيلي تادرس باشا الذي صار مستشاراً ورئيساً فخرياً للمحكمة المختلطة وإذ بالأنبا صرابامون يصرخ فلما سئل عن سبب صراخه أجاب:"لقد شاهدت روح أخي الأنبا يوساب أسقف الفيوم مرتفعة إلي السماء" فتكدر البابا من هذه الحركة ودخل مخدعه تاركا الزائرين. ولما سئل عن

الأسقف أمام البطريرك وضرب له المطانية وأفهمه أنه لم يأخذ درهما واحداً تلقاء أي عمل أتاه بإذن الله وقوته.

وعقب ذلك أصدر عباس باشا الأول والي البلاد أمره بإعدام كل من يحترف السحر والتنجيم. فوشي الواشون له بأن القديس صرابامون من هؤلاء السحرة وأنه شفي الأميرة زهري هانم. فطلب الأمير عازماً علي قتله فانطلق الأسقف إلي السراي تلبية لطلب الأمير وكان ذلك في يوم الجمعة العظيمة فقابله عباس باشا باحتقار وقال له:"هل أنت ساحر" فأجابه قائلا:"أنا رجل مسكين" فقال له:"هل أنت شفيت زهري هانم" فصرخ القديس بقوة في وجهه قائلا:"هذه قوة الله" فارتعب عباس في الحال وجزع وصرخ قائلا:"أمان يابابا" ثم صرفه بسلام.

٩. كراهيته للطلاق

وكان الأنبا سرابامون يكره الطلاق بشدة حتى أنه لم يطلق في مدة أسقفيته أحداً ولما كان يستعصي عليه مصالحة الزوج أو الزوجة إذا تحقق أن أحدهما مظلوم كان يقول لهذا المظلوم:"إن شاء الله أزوجك في العام المقبل" فكان لا يحل الميعاد الذي نطق به من فمه الطاهر حتى يتوفي الظالم إن كان زوجاً أو زوجة ويزوج المظلوم بطبيعة الحال.

ودخل عليه ذات مرة زوج بحالة غضب شديد وأفهمه أن امرأته قد حادت عن طريق الصلاح وضبطت في أماكن البغاء فطيب خاطره وصرفه للغد. ثم انطلق إلي البيت الذي وصفه له الزوج. ولما دخله تقدم إليه النسوة المقيمات فيه يطلبن بركته لتعودهن علي رؤيته فسألهن عن المرأة المحكي عنها فلم يخفين عليه أمرها وأفهمنه أنها أتت اليوم فقط. فطلب الانفراد بها في غرفة أخرى ولبث يوبخها ويؤنبها حتى أظهرت ندمها علي ما فرط منها وتعهدت أمامه بالسير بالاستقامة ثم تركها تلك الليلة بمنزل أحد القسس وطلب إليه أن يأتيه صباحا متشكيا من إعالتها وقت حضور الزوج عنه. فأتي القس متضرراً أمام الأسقف من إعالة هذه المرأة فقال الأسقف للقس "ياخطيتك ياصليب. لقد أخطيت يا أبي فحاللني وقم واحضرها" فوجد الزوج أنها امرأته عند قدومها إلي قلاية الأسقف وتأكد له بذلك أنها كانت في بيت القس لا في بيت البغاء فقبلها وعاش الزوجان

١٠. عجائب أخرى لأنبا صرابامون

تعرض لأنبا سرابامون في طريقه ثلاثة من الشبان الحراقيش وقصدوا السخرية به إذ تمدد أحدهم أرضاً كميت ووقف الاثنان يبكيان لدي مروره طالبين منه احساناً للنفقة علي جنازة فقيدهما فقال لهما:"أهذا ميت؟" قالوا له:"نعم ميت" فأعطاهم قائلا""خذوا. ميت ميت" وانصرف. فلما أرادوا إيقاظ رفيقهم إذا به فاقد الحياة.

وكان يجول في ابرشيته الواسعة كعادته السنوية في زمن معين من جولته ويستقر في شبين الكوم حيث يجد الكثيرين بانتظاره من المصابين بالأرواح النجسة جالسين في حوش الكنيسة فيصلي علي ماء ويرشه عليهم فيبرأون في الحال. فحدث مرة أن واحداً منهم كان مكسحاً ولم يؤثر فيه الماء المقدس كإخوته الآخرين فأخذ يبكي علي حاله ودعا الأسقف قائلا:"لقد شفيت الجميع يا أبتِ وأنا لم تشفني" فقال له :"ياولدي مرضك ارتخاء طبيعي لا سبيل لشفائه" فلما سمع المريض ذلك منه بكي بكاء مراً تأثر منه الأسقف الشفوق وطفق يبكي معه ويقول: "يالعظم خطيتك ياصليب" ثم احتد بروحه ونطق قائلا: "تشفي إن شاء الله بقدرة يسوع" ثم صرخ قائلا: "ياالله العلي" ثم أمر أن يسخن له الماء المبارك لكي يستحم به باسم الله. ولما عمل ذلك قام صحيحاً سالماً.

وكان يمر في جولته السنوية فطلع عليه عبد أسود رئيس عصابة فتعرض له ولتلميذه ودابتهما وطلب منه ما معه من النقود. فأجابه قائلا: "ليس معي شئ" فأجاب العبد قائلا: "لابد من النقود وإلا فانزل عن دابتك واخلع ملابسك. فأجاب الأسقف قائلا: "اخل لي الطريق. مالي ومالك" فما كان من الباغي إلا أن رفع يده ليهوي عليه بنبوته علي ناصيته فقال له الأسقف المسكين: "وى. كأنهم مجانين! أنت رفعتها طيب خليها مرفوعة وسيبني" ثم تركه وترك الركايب وعاد مع تلميذه إلي أقرب ضيعة في هذه المنطقة ليقضي فيها ليلته إلي الصباح فوجد هناك جماعة من الأعراب والفلاحين فقرأهم السلام وطلب منهم السماح له بقضاء ليلته عندهم إلي الصباح وطلب حصيرة ليجلس عليها فأحضرت له وقام للصلاة وهو ساجد علي حصيرته. وقامت الجماعة وجهزت للأسقف طعام العشاء وانتظرته إلي أن ينتهي من صلواته فلم ينته إلي الصباح الباكر. وبعد ذلك تناول الفطار

الركايب وأخذوا يودعونه وفي أثناء الطريق لمحوا العبد مربوط اليد واقفاً في مكانه مع الركايب دون أن يتحرك فقال له سيد الجماعة "مالك ياولد واقف هكذا في الطريق" فأجاب العبد قائلا "لقد ربطني هذا الأسقف في مكاني فلم أتحرك للآن ويدي واقفة بلا حركة" فاعتذرت الجماعة ورئيسها للأب عما بدر من أحد رجالهم وطلبوا منه أن يصفح عنه فقال أنبا صرابامون: "ياخطيتك ياصليب، قم يالابني الله يباركك" وعفا عنه وفي الحال تحركت يده وسلم الركايب والعفش للأسقف وتلميذه وأوصلوهما إلي البلدة التي يقصدونها أما العبد فندم علي ما فرط منه ولم يحترف اللصوصية بعد ذلك.

وكان ذات يوم قاصداً زيارة بيعة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويله فمر من شارع درب مصطفي وكان الطريق الوحيد الموصل إليها فتعلقت به إحدى الباغيات في الطريق قاصدة إهانته. فطلب إليها بلطف أن تتركه فلم تفعل. فصرخ عليها قائلا: "اليد التي أمسكتني تشل" وفي الحال صرخت المرأة من الألم الذي لحق بيدها وتضرعت إليه بخوف شديد أن يرحمها ويشفيها. فشفق عليها وشفاها واستمر في طريقه إلي البيعة المذكورة.

وجري له غير ذلك من الحوادث الكثيرة التي لا تعد ولا تحصي. وعمّر هذا الأسقف القديس طويلا إلى أن أدرك أيام البابا كيرلس الرابع وتنيح في سنة ١٨٥٣م وهي السنة الأولي من رسامة البابا كيرلس الرابع. وقد احتفلوا بجنازته في كنيسة مار مرقس بالأزبكية ودفنوه مع بطريركه البابا بطرس السابع والبابا مرقس الثامن ولا رابع لهم في الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكاتدرائية الكبري بالأزبكية. (نقلا عن كتاب نوابغ الأقباط في القرن التاسع عشر للعلامة توفيق اسكاروس جزء ثان ص ١٣١ ــ ١٥٦).

المعلم نخله إبراهيم

ومن أكابر الأسر القبطية بالثغر الأسكندري التي اتخذته موطنا لها في أيام أمير البلاد محمد علي باشا عائلة المعلم إبراهيم نخله وكان من أهالي بلدة أم خنان بمديرية الجيزة وكان من كبار كتاب القبط في آخر عهد البيكوات المماليك ويعتبر من أراخنة الأمة المعدودين في الجيل الثامن عشر وقد أنجب أولاداً أشهرهم المعلم

أدخل المعلم إبراهيم نخله في المكتب (الكُتَّاب) القبطي وهو المدرسة التي يتعلم فيها جميع أبناء القبط في ذاك العصر. فاتقن قراءة اللغة القبطية والعربية والخط والحساب والمزامير والتسبحة والمردات. ثم ألحقه والده معه في ديوان الحكومة ليمرنه علي الأعمال الحسابية والكتابية والإدارية الخاصة بالدواوين والدوائر فألم بها جميعاً وأصبح كاتباً ماهراً يشار إليه بالبنان.

وقد أسند إلي المعلم نخله إبراهيم السيد شريف باشا الكبير وظيفة كاتم أسراره رغم صغر سنه فانتقل بحكم عمله هو وعائلته إلي الاسكندرية التي كان يقيم فيها الباشا واتخذها موطناً له ولعائلته من بعده.

واتفق أن طلب محمد علي باشا الوالي من المعلم وهبه إبراهيم حساباً عن أمور الدولة فعجز عن تقديمه وغضب عليه الباشا. فأحال السيد شريف باشا هذا الأمر علي المعلم نخله لينجزه علي الوجه المرضي. فاسقط في يده وخشي أن يكون نصيبه ما أصاب المعلم وهبه. ولكنه استعان بالله وبرسوله القديس مرقس البشير الانجيلي الطاهر ونذر لله عز وجل أن يوقف جميع الأراضي التي كان يملكها ــ وهي الكائنة الآن بين شوارع شريف باشا وسيزوستريس والكنيسة القبطية وطوسون ــ علي الكنيسة المرقسية إذا أعانه الله علي تأدية المهمة المطلوبة منه وأنقذه من غضب محمد علي باشا. ثم توجه إلي سراي رأس التين العامرة حيث كان يقيم الوالي محمد علي باشا ورجال حكومته ليؤدي العمل المطلوب إليه ومكث يشتغل في مكتب السراي مدة يومين كاملين أتم فيهما الحساب المطلوب وقدمه للباشا ونال الرضا السامي علي نجاحه في اتمام مهمته.

وفي الحال عند خروجه من السراي يمم اتجاهه شطر الكنيسة المرقسية بالمسلة قبل توجهه إلي منزله لرؤية أولاده وقدم الشكر لله علي مؤازرته له وعمل التمجيد اللازم لاسمه الطاهر وقام بتنفيذ الوقفية التي تعهد بها وقد كان في نيته إنشاء كاتدرائية كبيرة في الإسكندرية تخليداً لذكري القديس العظيم مار مرقس ولكن المنية لم تمهله لتحقيق غرضه الذي قام بتنفيذه من بعده أولاده الكرام كما سيدون ذلك في تاريخهما.

وأنجب المعلم نخله ثلاثة أولاد وهم إبراهيم وصالح وسمعان وقد أنشأهم نشأة

الأقباط فى عهد محمد على باشا

قال المؤرخ الكبير في كتابه عن تاريخ الأمة القبطية يصف حالة القبط في عهد محمد علي:-

"ليس من ينكر أن الأمة القبطية أخذت تظهر في عالم الوجود ثانية منذ أيام محمد علي باشا مؤسس العائلة المالكة فلقد أظهر من أول وهلة ما دل علي اعتباره جميع المصريين علي اختلاف مذاهبهم واجناسهم في مساواة واحدة فأباح لهم التمتع بالحرية والحقوق الوطنية علي حد سواء وأجري عليهم الأحكام بالعدل والانصاف والمساواة ووزع خدمة الوطن علي أهله كله بما له من الأهلية فخص القبط بما امتازوا به من الأعمال الحسابية وضبط الإيرادات والمصروفات حتى قال أحد الإنجليز الذي حضر إلي مصر في أيامه لقصد التسوح في تقرير رفعه إلي مجلس وزراء إنجلترا وعرض علي البرلمان "إن الأقباط للقلم بمثابة الفلاح للمحراث".

"وخص المسلمين بالمجالس والأعمال الإدارية والتحريرية، واليهود المصريين بالائتمان علي خزائن الدواوين والمصالح والمديريات غير أنهم لم يلبثوا أن تركوها لعدم رضاهم الشغل في يوم السبت فكان تركهم الخدمة الخير العظيم لهم لأنهم اشتغلوا بالتجارة والمصارفة فنجحوا فيها نجاحاً عظيما واستغنوا بذلك عن ذل الخدمة وما فيها من صغر النفس."

وبتوسع محمد علي باشا في المصالح والدواوين إزداد عدد الموظفين الأقباط في دوائر الحكومة وبعد أن كانت وجاهة الأمة تنحصر في بعض أفراد قليلين أصبح بينهم وجوه كثيرون في كل أنحاء القطر المصري. ولما أسندت الخديوية إلي عباس الأول بعد موت محمد علي باشا قصد تقليل نفوذ الأقباط في الدواوين فاختار أربعة من طلبة المدارس الأميرية وسلم كل رئيس ديوان واحداً منهم ليعلموهم مسك الدفاتر ويمرنوهم علي الأعمال الحسابية من كلي ومن جزئي بحيث يكونون بعد سنة قادرين علي أن يقوموا مقامهم في الأعمال وإلاّ فيلقهم في النيل غير أن المنية عاجلته قبل دنو هذا الأجل فصرف النظر عن هذا المشروع وبذا نجا المعلمون من هذه الورطة التي كانوا يخشون سوء عاقبتها ويحسبون لها

تلميذه عدم الميل للتعليم قال إنه لم يبق من عمره سوي عشـــرة أشـــهر وهكـــذا. (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٣و ٣٠٤و ٣٠٥).

البابا كيرلس الرابع
البطريرك (١١٠)
الشهير بالصومعى

١ مولده ونشأته

ولد هذا الرجل العظيم في بلدة تدعى الصوامعة الشرقية من أعمال جرجا في صعيد مصر حوالي سنة ١٥٣٢ ش الموافقة سنة ١٨١٥م من أبوين تقيين ودعـــى اسمه داود علي جده الأكبر أبي أبيه (كتـــاب ١٥ تـــاريخ ص ٣١٢ "أ" وتـــاريخ كيرلس الرابع ص ٢٤).

وكان أبوه يدعى توماس بن بشوت بن داود وهو من عائلة مصرية صميمـــة في الوطنية المصرية وكان مزارعاً معروفاً بين قومه بالسذاجة وسلامة النية وكان رجلا أمياً إلا أنه اعتنى بتربية ابنه كما يتربي أقرانه أبناء الأمـــة القبطـــة فـــي الكتاتيب القبطية وتعلم فيها القراءة والكتابة ومبادئ علم الاعداد وكسور الفـــدان. وبعد أن أتم حفظ المزامير غيباً انخرط في سلك الفلاحين المزارعيـــن لمعـــاضدة والده في أعمال الزراعة فكان يقضي يومه بين المزارع والغياض في الأعمـــال الخشنة فنما جسمه وقويت عضلاته.

وفي أثناء ذلك اختلط بالعربان المجاورين للقرية وتعلم منهم ركوب الخيـــل والابل السريعة حتى اشتهر أمره بينهم وصار يراكبهم ويسابقهم ويرافقـــهم فـــي أسفارهم في الجبال والصحاري (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٢ "أ" وتـــاريخ الأمـــة القبطية ص ٣٠٥و٣٠٦).

ولكنه كان متباعدا عن الخلطة بالنساء غير مال إليهن ولا إلـــي محادثتـــهن ولذلك ابتعد عن العالم بمجرد أن قبضت إمرأة علي يده فهام علي وجهه وهو فـــي الثانية والعشرين من عمره قاصداً دير القديس أنطونيوس (كتاب ١٥ تـــاريخ ص ٣١٢ "أ" وكتاب تاريخ كيرلس الرابع ص ٢٦).

٢ رهبنته

خرج في سنة ١٨٤٠م من دار أبيه لا يلوي علي شئ فسار هايما علي وجهه قاصداً دير القديس أنطونيوس في الجبل الشرقي علي أثر قبضة المرأة علي يده ولم يحتاج إلي مرشد يرشده في الطريق لمعرفته بها وكان علي مسيرة ثلاثة أيام من قريته ووضع نصب عينيه أن يعيش منفرداً ليتفرغ من مشاغل الدنيا ومشاكلها بالتأمل في السمائيات والاهتمام بخلاص نفسه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٢ "أ" وتاريخ كيرلس الرابع ص ٣١ ــ ٣٢).

وقد قام برهبنته القس أثناسيوس القلوصني رئيس الدير في ذلك الوقت وحاول والده كثيراً في إرجاعه عن عزمه فلم يفلح في سعيه لأن يد الله قد حفظته ورعته بنايتها للقيام بترقية شأن أمته التي شربت كؤوس العذاب أشكالا وألواناً ولم تجد من يأخذ بيدها لانهاضها. (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٢).

ولم يلبث في الدير طويلا حتى ظهرت مواهبه واشتهر بين رفقائه بالذكاء والورع ودماثة الخلق والهمة والنشاط والاقدام. وقد تفرغ للدرس ومال قلبه إليه كثيراً بعد أن هجره مدة فاكتسب باجتهاده ما كان معيناً له علي بث روح الاصلاح الحقيقي.

ولقد أحبه كل من كان معه في الدير ونال بكفاءته الممتازة ثقة الرئيس به. فكان الرئيس إذا ما غادر الدير لقضاء حاجياته في العزبة أو في مكان آخر يعهد بتدبير مصالح الدير لداود الراهب دون سواه لما رآه فيه من الجدارة والاستحقاق وحسن التدبير والغيرة علي مصلحة الدير ولا سيما عندما كان يراه يجمع اخوته الرهبان في ساعة الفراغ ليقرأ عليهم ويشرح لهم كل ما غمض فهمه عليهم ويحثهم علي المطالعة والاجتهاد في التحصيل والاهتمام بالدرس فوصل خبره إلي البابا بطرس فاستدعاه إليه وباركه وشاركه في منحه البركة الأنبا صرابامنون أسقف المنوفية وتنبأ له بمستقبل حسن وكافأه البابا برسامته قساً (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٦ وتاريخ كيرلس الرابع ص ٣٢).

٣ رئاسته لدير أنطونيوس

وبعد مضى سنتين له في الرهبنة في دير القديس أنطونيوس انتقل من هذا

سنة فأجمع مجمع الدير بلا استثناء علي تزكيته لأنهم لمسوا منه في مدة اقامته الوجيزة بينهم أهليته وجدارته واستحقاقه للترقية. (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٦).

ولما علم البابا بطرس السابع في سنة ١٨٤٠م بأخبار الراهب داود استدعاه وأسند إليه رئاسة الدير بعد أن قسمه قمصاً ودعاه القمص داود باسمه رغم حداثة سنه.وبعد أن ثبته ودعا له بالخير والبركات انصرف من لدنه عائداً إلي مقر وظيفته الجديدة. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٢ "أ" وتاريخ كيرلس الرابع ص ٣٣).

قيامه بإصلاح أحوال الدير وترقية شؤن رهبانه

ولم يكد يقبض علي زمام الدير حتى رقي شؤنه وأصلح أحواله وجعل للسيرة الملائكية المكان الأول بين رهبانه ونجح في عمله نجاحاً تاماً (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٣).

وكان يوجه الاهتمام رغم كثرة مشاغله نحو تدبير لوازم الدير في الجبل أولا بأول حتى يقضي علي الرهبان بعدم مغادرة الدير والتجول في البلاد من جهة لأخري وحتم عليهم مراعاة القوانين وألزمهم بألا يخرج الراهب من الدير إلا إذا دعاه الرئيس إلي ذلك وقد تمكن بحسن سياسته أن يجعل الراهب يؤثر البقاء في الدير علي الخروج منه (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٤).

وكان الرئيس يعتقد تماماً أن الإنسان كلما ابتعد عن العالم وشروره قلّ جذبها إليه فلا تؤثر فيه مشاغلها لأن صورة الشئ متي انطبعت في البصيرة سرت إلي المخيلة فاشغلت الفكر وأماتت عاطفة النزاهة. ولذلك قد وضعت القوانين بلاعتزال العالم وحتمت علي الراهب مراعاة شروطها. (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٤).

وأمر بألاّ يبقي في العزبة في بوش وغيرها سوي الرهبان الذين لا غني عنهم في الأعمال الزراعية ومتعلقاتها. وأما البقية فقد لازموا الدير متشبهين برئيسهم ومن أقواله الذهبية عن الرهبان: "إن من يختار ثوب الرهبنة فقد مات عن الدنيا ودفن في الدير فلا يخرج الميت من قبره. والرئيس الذي يأذن للراهب بالخروج من ديره فقد أخرج ميتاً من قبره".

وقد أوجد عمله هذا في قلوب الرهبان الرهبة حتى أنهم كانوا يلازمون دياراتهم ولا يخرجون منها مطلقا للتجول في طول البلاد وعرضها.

٤ . فتح مدرسة لتعليم الشبان فى بوش

ورأى الرئيس داود أثناء اقامته في بوش أن العزبة في حاجة كبري إلي كتاب منظم أو مدرسة صغيرة لتعليم شبان الأقباط مبادئ اللغتين العربية والقبطية والمبادئ الدينية الصحيحة فقام بإنشائها رغم ما صادفه من الصعوبات في تكوينها وكانت هذه أول خطوة في سبيل نجاح مشروعاته وكانت باعثاً لايقاد نار الغيرة في نفسه جعلته يهتم بكل قوة بأمر التعليم ونشره. (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٧ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٦).

٥ . إنشاء مكتبة فى عزبة بوش

ولم ينته من فتح الكتاب الراقي حتى أسرع في إيجاد مكتبة بجانبه جمع فيها ما وجده من الكتب الدينية والتاريخية المفيدة واستجلب لها بعض كتب من الدير وفتح بابها لمريدي الاطلاع ومحبي البحث للاستفادة بما فيها (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٨ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٦).

وكان يجمع الرهبان في أوقات الفراغ ويحثهم علي المطالعة وتبادل الأفكار بالمفاوضة فيما بينهم والمباحثة في الأمور الدينية والأدبية والتاريخية (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٨).

تعلمه اللغة العربية وتعليمها لرهبانه

وقد بذل مجهوداً كبيراً في تحصيل علوم اللغة العربية والإلمام بقواعدها النحوية حتى صار ملماً بها ويقرأها قراءة صحيحة بلا اغلاط ويكتبها كذلك فكانت هذه خطوة كبيرة في سبيل تقدمه في المعارف الدينية والأدبية (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٩).

ولم يقتصر بعد ذلك علي نفسه بتعلم اللغة العربية والتبحر فيها بل صار يحث الرهبان علي الأخص بالجد والاجتهاد في تعلمها والإلمام بقواعدها وقد وفق الله خطواته في ذلك المضمار ونظراً لاجتهاده العظيم الناجح رقاه البابا بطرس إلي درجة القمصية (تاريخ كيرلس الرابع ص ٣٩).

٦ . سفره لأول مرة إلى الحبشة

إن الأقباط يتصلون بالأحباش بصلة متينة منذ الجيل الرابع للميلاد وظلت

الأجانب مجهودات كبيرة في سبيل اجتذاب الأحباش إليهم فلم يتمكنوا من تحويلهم عن فكرهم مطلقاً بل كل المحاولات التي سلكوها زادتهم تمسكاً كبيراً بكنيستهم الإسكندرية التي يعتبرونها إلي الآن أمهم الروحية (تاريخ كيرلس الرابع ص ٤٣و٤٤).

وكانت الكنيسة القبطية كما كان بطاركتها يبذلون كل جهد للمحافظة علي الرباط الروحي الذي يربطها بالكنيسة الحبشية فكانت تحارب الأيدي الغريبة التي كانت تسعي في فك عري الرباط الذي يربط الكنيستين منذ الأجيال العديدة كما كانت تحارب كل التعاليم الغريبة عن التعاليم الأرثوذكسية الصحيحة بكل قوة.

ولما حدث الخلاف في بلاد الحبشة بين مطرانها الأنبا سلامه الثالث وبين الشعب الحبشي واكليروسه بسبب التعاليم التي كانوا يبثونها رغم مخالفتها لروح الكتاب والتعاليم الأرثوذكسية الصحيحة ويئس المطران من إصلاح هذه التعاليم المخالفة ومن اهدائهم إلي جادة الحق بالبراهين الدينية. ولما تهددهم سيادته بسلطة الكنيسة لم يجدوا أمامهم وسيلة سوي شكواه إلي رئيسه البابا بطرس السابع البطريرك (١٠٩) وكان قداسته مشهوراً بالحلم والوداعة والتقوي فكتب إلي المطران الأنبا سلامه بأن يعامل الرعية بالرفق واللين وتجنب كل ما يؤول إلي الشقاق.

فلما وقف الأنبا سلامه علي الرسالة البطريركية شق عليه نسبة القسوة إليه والحدة التي وصفوه بها ولو أن البابا لم يصرح له بشئ من ذلك. فرد علي البابا يبرئ نفسه من تلك التهم شارحاً المسألة شرحاً وافياً وقال في نهاية الكتاب: "إن الموضوع الذي حصل الخلاف بشأنه ليس عالمياً حتى يمكن التساهل فيه وأن طاعة الله أولي من طاعة الناس" (تاريخ كيرلس الرابع ص ٤٥ــ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٢ "أ"ــ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٧).

فلما وردت رسالة المطران سلامه علي البابا سرّ جداً لثبات المطران وإخلاصه وكان يرجو أن تنفرج أزمة الخلاف علي يده غير أنه علم بتفاقم الخطب لتداخل رجال الحكومة الحبشية ومقاومتهم له فخشي أن يكون من وراء الاهمال في هذه القضية وقوع انشقاق في تلك البلاد بسبب ذلك يؤدي إلي انسلاخ الكنيسة

يليق للقيام بهذه المهمة الخطيرة أفضل من القمص داود فاستدعاه وعهد إليه المسير بالنيابة عنه لما يعهد فيه من الدراية والحكمة والعزيمة. فاذعن القمص داود لأمره واستعد للسفر وطلب إلي البابا أن يصرح له في أخذ قسيس آخر يرافقه ويكون عوناً له في هذه المهمة فأذن واختار راهباً يدعي برسوم الذي أصبح فيما بعد مطرانا للمنوفية ليستصحبه. ولما تمم القمص داود استعداده ودع قداسة البابا بطرس في اليوم المعين للسفر فقال له البطريرك علي مسمع من الحاضرين: "إنك إذا أديت هذه المهمة علي وجه مرض تنال نصيبا صالحاً عند عودتك مكافأة لك" وسار داود علي بركة الله ومعه رفيقه مزوداً بالكتب والرسائل اللازمة وكان ذلك في سنة ١٥٦٧ش (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٧ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٢ وتاريخ كيرلس الرابع ص ٤٦).

أما سر هذه المأمورية الهامة فهو خلاف ديني يتصل بتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية حدث في تلك البلاد منذ سنة ١٥٤١ش ودارت المكاتبات بين البابا بطرس وملك الحبشة والأنبا سلامه ووزير أرض الحبشة كما جاء مفصلا في تاريخ البابا بطرس السابع السابق نشره فيما تقدم. وقد كان الخلاف منحصراً أولا بين الكنيستين في المسائل العقائدية إذ لم يسلم الأنبا سلامه إلاّ بما تعلمه وتسلمه من الكنيسة الأرثوذكسية. ثم ادخلت بعد ذلك في موضوع الخلاف مسألة دير السلطن بالقدس الشريف.

وكان الخلاف قبل سفر القمص داود بسيطا لا يستدعي تكليفه بحسمه ولما اشتدت الأزمة قصداً في عرقلة مساعيه وعدم نجاح مهمته لأنه لم يكن هناك داع لإثارة هذه الفتنة التي قامت في القدس الشريف بشأن دير السلطان ولا سيما أن الحبش من عهد بعيد تابعون في كل شئ للكنيسة القبطية ومعتقداتها الصحيحة فقيامهم بهذه الحركة يدل بلا نزاع علي أن هناك عاملا قوياً كان يحركهم لإقامة القلاقل والعقبات حتى لا يتمكن القمص داود المصلح الكبير من القضاء علي هذه الحركات المختلفة وإزالة ما علق بالأفكار من جهة الأمة القبطية إلا أنه تمكن بمعونة الله وحسن سياسته من القضاء علي هذه الحركات وفاز بما كان يتمناه وحسم المشاكل القائمة وعاد حاملا لواء النصر يخفق علي هامته حتى وصل إلي

يذكر القمص داود لأنه كان يري فيه الرجل الذي يعتمد عليه في شئون الأمة علي محور الاستقامة والنجاح (تاريخ كيرلس الرابع ص ٧٧و٧٨).

٧. النزاع على الكرسى المرقسى

وبعد سنة من تاريخ قيام القمص داود إلي بلاد الحبشة انتقل البطريرك من العالم في يوم ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ش وجاء الاساقفة بعد الوفاة بزمن قليل إلي العاصمة لكي يتحدثوا مع الشعب في انتخاب من يقوم مقامه كما جرت العادة وفي اجتماعهم الأول في دار البطريركية ذكر اسم القمص داود في جملة المرشحين لهذا المنصب فاعترض بعضهم علي انتخابه بدعوى أنهم لا يعرفون من أمر حياته شيئاً وأنهم سمعوا بخروجه من بلاد الحبشة منذ مدة ولم يحضر وألحّوا علي انتخاب سواه وهكذا انفضت هذه الجلسة بغير نتيجة.

ومن غريب الاتفاق أنه قبل حلول ميعاد الجلسة الثانية ورد من القمص داود كتاب لبعض أصدقائه ينبئه بوصوله حدود مصر. فسر مؤيدوه لهذا الخبر وأشاعوه. ولما انعقدت الجلسة طلبوا انتخابه وطلب جماعة آخرون انتخاب أنبا يوساب أسقف أخميم فوقع الخلاف ولم يهتدوا إلي شئ وانفضت الجلسة بلا نتيجة. وبقي النزاع مدة وصل في أثنائها القمص داود إلي القاهرة فتقوي مؤيدوه وشددوا في انتخابه (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٧و ٣٠٨ وتاريخ كيرلس الرابع ص٨٥).

وأشاع الحزب المناهض لأمر ترشيح القمص داود أن أصحاب الزايرجات والشعوذات قد أنبأوا بأن وجوده شؤم علي الحاكمين. فلما علم الحزب المناصر له ذلك لم يسعهم سوي كتابة تزكية باسمه وقع عليها الكثيرون من أبناء الأمة لتكون شاهداً لرضاء الجمهور عن انتخابه وكان من أنصاره من عمد الطايفة ووجهائها وكبار الموظفين: تادرس شلبي. وتادرس عريان (والد عريان بك تادرس وباسيلي باشا تادرس) وبرسوم واصف. وحنا عبيد ويوسف نصر الله. وحنين حنس وأخوه اسطفانوس. وروفائيل الطوخي (والد جبرن بك الطوخي وإبراهيم بك الطوخي) وحنا القسيس وبطرس نخله. وإبراهيم لطف الله. ويوسف مفتاح. وتادرس سيدهم. وكان أشدهم اهتماماً بالأمر حنا جريس وإبراهيم خليل (تاريخ كيرلس الرابع ص ٨٧و٨٨).

ولما رأي حزب أسقف أخميم ميل الجمهور إلي القمص داود وأن نجاحهم أمسي عسيراً عليهم عولوا علي تنفيذ مآربهم بالحيلة بأن يجتمعوا سراً ذات ليلة ويحتفلوا بإعلان بطريركية الأسقف حتى إذا ما أصبح الصباح يكون السهم قد نفذ وقضي الأمر وكان في جملة المنضمين لاختيار الأسقف جاد أفندي شيحا فقال أنه تحصل علي أمر شفوي من عباس باشا الأول. ولكنهم لم ينجحوا فإن المؤيدين للقمص داود علموا بخطتهم قبل تنفيذها ففاجؤوهم في الليلة التي عينوها وهجموا علي الكنيسة وأخرجوهم منها بالقوة وأقفلوا أبوابها ووضعوا الحرس عليها من الحبشان الموجودين في الدار وسلموا المفتاح إلي سلطان الحبش المقيم هناك وتم لهم افساد خطة هذا الحزب المناهض لهم والحاق الفشل بمؤامرته (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٨و ٣٠٩ وتاريخ كيرلس الرابع ص ٨٧و ٨٨).

ثم اجتمعوا وعرضوا علي الحكومة ما يشكون من سوء تصرف بعض الأساقفة في هذا الأمر وألحوا علي انتخاب القمص داود لرضاء الشعب عليه وتزكيته لكرسي البطريركية فأحالت الحكومة تسوية المسألة علي الأنبا كبريل در تبيث الأرمن إذ ذاك فخفق سعيه لتمسك كل من الطرفين برأيه وغرضه (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٩ وتاريخ كيرلس الرابع ص ٨٨).

وقد كان لكل فريق فكرته في تأييد رأيه فإن حزب القمص داود كانوا علي غيرة لما عرف به من شدة الميل إلي إصلاح الأمة وسعة إطلاعه وحسن درايته. أما الحزب الآخر فكانوا يرون أنه يكفي لرئيس الأمة أن يكون حسن السيرة ورعاً تقياً وأن هذه الصفات متوفرة في الأسقف كما أن القمص داود جمع بينها وبين الميل لإصلاح الحال بما يناسب روح العصر. وكان مؤيدو الأسقف لا يعرفون للبطريرك عملا غير الصلاة والفصل في بعض القضايا ومصالحه المتخاصمين أو ما شاكل ذلك، أما مصلحة الأمة العمومية فلم يكونوا يفقهون لها معني ولا يعرفون ما هي.

ولما خابت مساعي المتشيعين للأسقف جعلوا يختلقون علي القمص داود أقاويل وأكاذيب لا أصل لها فادعي عليه بعضهم أنه نقض عهد الرهبنة في بلاد الحبش وتزوج بامرأة وله ولدان علي قيد الحياة وكان المختلق لهذه الأكذوبة

البطريرك قد انتقل من هذا العالم وأن فريقاً من الشعب قائم علـــي القمـــص داود اختلق عليه تلك الأكذوبة واتهمه بالتدخل في الأمور السياسية في الحبشة بما فيـــه خيانة الحكومة المصرية.

وما أن أشاع هذه الاختلاقات وتناقلها الناس وتحدثوا بها حتى وصلت إلـــي الهيئة الحاكمة وعلم بها عباس باشا الأول فتغير علي القمص داود ولا سيما بسبب ما نسب إليه من المداخلات السياسية فأوعز إلي سعادة حسن باشا المنسترلي ناظر الجهادية وقتئذ أن يقوم بتحقيق ذلك الخبر الهام فاتضح كذب القســـيس الحبشـــي (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٩ و ٣١٠).

ولما رأي الحزب المناصر لاسقف أخميم خيبة أملهم واخفاقهم في الأكـــاذيب التي اذاعوها علي القمص داود الرجل العظيم الطاهر والعـــالم القـــوي القـــادر، تقهقروا لفشلهم في مؤامرتهم التي شجعوها للوصول لأغراضهم وتقوي الحـــزب المناهض لهم والمناصر للقمص داود وفازوا علي خصومهم وأجمعوا كلمتهم علي انتخاب القمص المذكور بطريركا علي الكرازة المرقسية فقام حضـــرات الآبـــاء الأساقفة بكتابة التزكية اللازم تقديمها لاتمام الرسامة وقد وجدت أصلها محفوظـــة ضمن ملف التزكيات الموجود بمكتب القصر البطريركي (كتاب كـــيرلس الرابـــع ص٨٩).

٨. تزكية للقمص داود الأنطوني الشهير بداود الصومعي

"باسم الآب والابن والروح القدس الثالوث المقدس المساوى الغـــير مفـــترق بلاهوت واحد. هذا هو إلهنا نحن معشر المسيحيين الارثوذكسيين نتوكل عليه إلي النفس الأخير ونرسل له إلي فوق التمجيد في الأعالي".

"إننا نحن الحقيرين المجتمعين بنعمة الروح القـــدس بالقلايـــة البطريركيـــة بالأزبكية لاجل انتخاب وإقامة بطريرك علي الكرسي المرقســـي حســـب العـــادة لرعاية شعبه. وقد تداولت الأيام نحو الأربعين يوماً وزيادة وهي حاصلة المداولـــة بين جميعنا في صدد ذلك".

"ومن حيث أنه لحد الآن لم يرس الحال علي انتخاب من يصلح ويقوم إلـــي هذه الوظيفة حسب ما يليق إلي الوقت والزمان الذي نحن فيه الآن ان الذي ينتخب

"قد رأينا من بعد البحث والفحص الكلي بالفكر والضمير والمعاينة أن هـــذه الأفعال المذكور عنها هي موجودة ومعلومة في القمص داود رئيس دير العظيـــم أنطونيوس بموجب البرهان الأقوي علي ما سبقت له الشهادة من حضـــرة قـدس الآب الطوباني أنبا بطرس البطريرك المتنيح عندما بلبلت شيعة بعض من الحبش بالقدس بخصوص الكنيسة التي هناك كما يعلم ذلك عند الجميع. وحضـــرة قـدس الآب المتنيح عزم علي إرسال خطابات منه إلي الأمراء بالحبش مـــع واحـد ذي دراية وفهم ومعقولية ومجاوبة حسنة. وفي هذا القبيل قد قدحت الفكرة معه وصار يتفكر ويتفرس بعقله كما هو مفهوم عنه: الفطانة والتمييز الروحاني لكي يـــهتدي فكره عمَّن يكون فيه الأوصاف المذكورة فهدته العناية الإلهية في شأن ذلك بعدمـا قام مدة في هذا الفكر فلم يجد من يصلح لذلك إلا "القمص داود المذكـــور" لكـي يصحبه بالخطابات كما ذكر. فحالا أرسل أحضره وأصحبه بالخطابات وأرسل إلي تلك الجهات بقبول من قدسه وطاعته إليه من دون مراجع. وبوقتها وعـــده أنـه بعودته من هناك يرسم أسقفاً. وهذا القول بعضنا يعلم محققاً وأيضاً البعض مـــن عمد الطايفة بالمشافهة مع قدس المتنيح يعلمون ذلك".

"فلموجب هذا البرهان القوي الموعود به من قدس المتنيح فنحن الواضعيـــن أسمائنا وأختامنا قدمنا خيرة الله واخترنا القمص المذكور أن يكون بطريركاً علـي الكرسي المرقسي بتزكية حضرة المتنيح الذي سبقه له وشهادتنا نحن أيضاً تـأكيداً في اقامته بطركا لكون لم يوجد من يماثله في هذا العصر كما هـــو مشـــهود لـــه ومعلوم عنه. وإذا قال قايل أن الأمر في مثل ذلك محتاج إلي القرعة فهذا القـــول ليس هو تحت خبر لكونه أنه سبق إقامة بطاركة بدون قرعة بل بالانتخاب ويشهد بذلك القول أنه في عصرنا هذا أن حضرات الآباء البطاركة المتنيحين "أنبا مرقس" و "أنبا بطرس" انتخبوا إلي هذه الوظيفة بغير قرعة بل بانتخـــاب البعـض مـن الأساقفة مع عمد الطايفة وعلي الخصوص أن المذكور مزكي ومنتخب من حضرة الآب المتنيح فمن هو منا أقوي شهادة عنه. شهادة قدس المتنيح لكونه هـــو أبونـــا ورسمنا نحن أساقفة. ونحن أيضاً زكيناه واخترناه باقامته بطريركاً لموافقة هـــذا الزمان وقد اعتمدنا الله القدوس في ذلك قولا محققاً في غير مراجعة بنعمة روحـه

ابرآم	الأسقف سراباموون	ميخائيل أسقف
أسقف كرسي القيامة	أسقف كرسي المنوفية	كرسي اســـنا
أثناسيوس	ابرآم أسقف	مكاريـــوس
أسقف منفلوط	كرســـي قوص	أسقف كرسي أسيوط
أثناسيوس أسقف	يوســـاب أسقف	ياكوبوس أسقـف
كرسي أبو تيج	كرسي أخميم وجرجا	كرسي المنيا

ورغم ما قام به حزب الإصلاح من إقامة الدليل علي صلاحية القمص لمركز البطريركية واقناع الآباء الأساقفة بذلك والحصول منهم علي التزكية المتقدم ذكرها فإن النزاع ظل قايماً نحو العشرة أشهر ولم ينته إلا بتوسط ورثبيث الأرمن لثـاني مرة فكتبوا له تزكية أخري نصها كالآتي:

٩. هذه تزكية أبينا القمص داود

المنتخب أن يصير بطريركا علي خلافة منبر مار مرقس الرسول

مدينة الإسكندرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية

"بسم الآب والابن والروح القدس الثالوث المقدس المساوي الغـــير مفـترق بلاهوت واحد. هذا هو إلهنا نحن معشر المسيحيين الأرثوذكسيين نتوكل عليه إلي النفس الأخير ونرسل له إلي فوق التمجيد في الأعالي".

"كل امتلاء بيعة الله الجامعة الرسولية وكل الأرثوذكســـيين مـــن الأســاقفة الفضلاء والقمامصة والقسوس معاً وكل الشعب المحب للمســـيح الـــذي بمدينـــة الإسكندرية وكل كورة مصر عندما لحقنا حزن الميتم ووجع القلب عندما أكمـــل سيرته أبونا الطوباني رئيس الأساقفة الفاضل أنبا (Петрос) وتتيح هذا المتمسك بالفضائل الذي نال جميع المواعيد المقدسة صاحب الذكر الحسن ومضي إلـــي الله الذي أحبه وسمع من الله ذلك الصوت المملوء فرحاً القائل نعم أيها العبد الصـــالح الأمين أدخل إلي فرح سيدك. ولما تيتمنا من أبوته وصارت كنايس الله المقدســـة أرامل هذا الذي كان يرعاهم بتعاليمه وبهذا صرنا في جهد واهتمام عظيـــم كلنـــا والتهاب وسألنا إلي الله أن يظهر لنا من هو مستحق لـــهذه الرئاســـة الكهنوتيـــة العظيمة ليرعانا في طريق الرب ويرشدنا إلي مينا البيعة المقدسة وإذ كنا عـارفين

"فلهذا تمجدنا أن نكمل عمل الله وطلبنا إلي الثالوث المقدس بقلب نقي وأمانة مستقيمة لكي يكشف لنا من هو مستوجب لهذه الوساطة لنقدمه علي هذه الدرجة التي لرتبة رئاسة الكهنوت".

"فبمنحه علوية وفعل الروح القدس واتفاق منا كلنا وطيب قلب كشف لنا أن ننظر إلي أبينا البكر الطاهر القمص "داود" الجزيل العبادة لله الراهب رئيس دير أبينا الآب البار العظيم أنطونيوس أب جميع الرهبان بجبل العربة. فاخترناه لنا أن نصيره رئيس أساقفة علي الكرسي الرسولي الذي للسليح مرقس ناظر الإله الإنجيلي بالمدينة العظمي الإسكندرية وكل كورة مصر وتخومها لأنه رجل عابد لله مزينا بالفهم محباً للغرباء معلما تقياً ومجتهداً علي صدق الإنجيل. واقمناه رأسا للرعاة ورئيس أساقفة لقوام واعتدال كنايس الله المقدسة ومخلصا لأنفسنا لكي يرعانا بكل الرأفة والوداعة لكي نحن أيضا نرسل إلي فوق التسبيح والشكر ونرفع إلي الذي أحسن إلينا مخلصنا يسوع المسيح إلي الأبد آمين."

ونحن الأساقفة المجتمعين سطرنا هذه التزكية وشهدنا وكل الذين اجتمعوا معنا محبين الله الكهنة الفضلاء ومحبين الزهد الرهبان وكل الشعب المحب للمسيح الذي للمدينة العظمي الإسكندرية. مجداً وإكراما للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلي دهر الداهرين آمين.

الإمضاءات

أنا صرابامون
أسقف كرسي المنوفية والبحيرة
المدن المحبين للمسيح
ارتضيت بهذه التزكية كما وضعت

أنا ياكوبوس
أسقف كرسي المنيا والأشمونيين
وما يتبعه من المدن المحبين للمسيح
ارتضيت بهذه التزكية كما وضعت

أنا ابرآم
أسقف كرسي أورشليم
وما يتبعه من المدن المحبين للمسيح
ارتضيت بهذه التزكية كما وضعت

أنا أثناسيوس
أسقف المدينة المحبة للمسيح
منفلوط
ارتضيت بهذه التزكية كما وضعت

أنا مكاريوس
أسقف كرسي المدينة المحبة للمسيح
أسيوط
ارتضيت بهذه التزكية كما وضعت
أنا يوساب
أسقف كرسي المدن المحبة للمسيح
جرجا وأخميم
ارتضيت بهذه التزكية كما وضعت
أنا ميخائيل
أسقف المدينة المحبة للمسيح
اسنا وضواحيها
قد ارتضيت
أنا الحقير القمص عبد القدوس
المدعو رئيس بدير العذراء
بالسريان بشيهات
قد ارتضيت

أنا أثناسيوس
أسقف كرسي أبو تيج
وما يتبعه من المدن المحبين للمسيح
قد ارتضيت
أنا ابرآم
أسقف المدينة المحبة للمسيح
قوص وقنا
قد ارتضيت
أنا اسحق
أسقف كرسي البهنسا
والفيوم والجيزة والأطفيحية
قد ارتضيت
أنا الحقير القمص يوحنا
المدعو رئيس بدير العذراء
بالبرموس بشيهات
قد ارتضيت

أنا الحقير القمص جرجس
أحد كهنة دير القديس العظيم
أبو مقار
قد ارتضيت

وهذه التزكية طبق الأصل المحفوظ بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة ومسجلة تحت رقم ٣٧٦١

ولكن صدر أمر الحكومة بتعيين القمص داود مطراناً عاماً علي الكرسي الإسكندري لأن الخديوي عباس الأول لم يوافق علي إقامة بطريرك إذ نقل إليه أن المنجمين قالوا أن تعيين البطريرك يكون شؤما علي أمير البلاد هذا من جهة ومن جهة أخري فإن الخلاف ظل قائماً بين الشعب فاستقر الرأي علي الاكتفاء برسامته

١٠ .رقم ٦٨٩ عمومى شطب ٩٢٩

جناب الأحباء الأعزة أساقفة الأقباط بالديار المصرية

إنه بناء علي العريضة التي تقدمت منكم إلي الاعتاب الآصفية المشروح بظاهرها من جناب بطريرك الأرمن الأصلي بمصر تصديقا علي ما التمسته وهو وطلب الرخصة بإقامة القمص داود مطرانا علي طائفة الأقباط أي وكيلا عن بطريرك الطائفة لأجل أن يدير أشغال البطركخانة حتى يتم الأمر بانتخاب بطريرك لها.

قد حصلت الاجابة من طرف المراخصة الآصفية بأن يقام القمص داود المذكور وكيل كما ذكر ليدير أشغال البطركخانة. وهذه الوكالة المؤقتة المتوجهة له الآن علي حسب التماسكم ما يقتضي الإعلان بها إليه وإلي من يلزم من طائفتكم. فلأجل أجري ذلك قد حررنا لكم هذا.،

٨ ب سنة ١٢٦٩

ختم

(سليم فتحي)

وتاريخ هذا الترخيص هون ٨ برموده سنة ١٥٦٩ ش الموافق ١٥ إبريل سنة ١٨٥٣م و٦ رجب سنة ١٢٦٩ هجرية.

وبعد وصول ترخيص الحكومة قام الأساقفة برسامة الأنبا كيرلس مطراناً عاماً علي الأمة القبطية في ١٠ برمودة سنة ١٥٦٩ش (١٧ إبريل سنة ١٨٥٣م).

حاشية:

ماذا كانت وظيفة المطران العام؟

لم يكن أسقفاً كباقي الأساقفة، إذ كانت له صفة العمومية. كان مسؤولا عن الكرازة كلها، كما يتضح ذلك من منشوراته الرعوية ومشروعاته العامة، وكما يتضح أيضاً من تصريح الخديوي الذي وافق فيه علي أن يكون أنبا كيرلس "مطراناً علي طائفة الأقباط" أي علي الشعب القبطي كله. وقد وضحها أيضاً بقوله "يدير أشغال البطركخانة" في عمل "وكيل بطريرك" حيث لا يوجد بطريرك. أي أن أنبا كيرلس باختصار كان يقوم بعمل بطريرك ولكن بلقب مطران عام. فهل أنقصه اللقب شيئاً؟ وماذا كان وضعه في القوانين الكنسية؟.

الرسل، أو إلي القانون الثاني لمجمع القسطنطينية المقدس الذي يمنع الأساقفة من "تعدي حدود ايبارشياتهم متطاولين علي الكنائس الخارجة عن حدودهم".

لم يكن إذن أنبا كيرلس أسقفاً محدوداً بإيبارشيته خاصة لا يتعدي حدودها كباقي الأساقفة، وإنما كان له اشراف عام علي الكرازة كلها، فبأي سلطان فعل هذا؟

الأمر بسيط: إن المطران "المطروبوليت" عبارة عن رئيس أساقفة. وقديماً كان يوجد في كل إيبارشية عدد من الأساقفة تحت رئاسة مطروبوليت أي مطران. وقد نظرت المجامع المسكونية المقدسة إلي المطران كرئيس أساقفة، وأعطته سلطاناً علي أساقفة إيبارشيته. [ارجع إلي القوانين ٦،٤ لمجمع نيقية المقدس، والقانون الثاني لمجمع القسطنطينية المقدس، والقانون الأول لمجمع أفسس المقدس]. وباقي القوانين الكنسية نظرت أيضاً إلي المطران كرئيس أساقفة [أنظر انطاكية ٩، وباسيليوس ٤٦]:

لم يكن ممكنا أن يُرسم أسقف من غير رأي المطران. وهكذا يقول القانون السادس لمجمع نيقية المسكوني المقدس "أيما أسقف سيم من غير رأي المطروبوليت، قد أمر المجمع العظيم بأن مثل هذا لا ينبغى أن يكون أسقفا" بل لم يكن الأسقف يستطيع مباشرة أي أمر من الأمور الكبيرة في إيبارشيته بدون رأي مطرانه، وهكذا يقول القانون التاسع لمجمع أنطاكية المقدس "الأسقف لا يباشر فعل أمر البتة من دون أسقف المطرانية" والقديس باسيليوس الكبير يسمي المطروبوليت "كبير الأساقفة" (القانون ٤٦).

إذن فقد كان أنبا كيرلس رئيس أساقفة بحكم القانون الكنسي. وبصفته العامة من حيث مسؤوليته عن الكنيسة القبطية كلها، كان رئيس أساقفة الكرازة المرقسية كلها. وكان الأساقفة راضين عن رئاسته، فقد زكوه بأنفسهم للبطريركية وكتب كل منهم "أنا (فلان) ارتضيت" وكان الشعب أيضاً راضياً عن هذه الرئاسة.

ومن هو بطريرك الكرازة المرقسية، أليس هو رئيس أساقفتها كما هو واضح من لقبه الرسمي؟ ومن كان أنبا كيرلس؟ ألم يكن رئيس أساقفة الكنيسة القبطية؟ إذن فقد كان بطريركا من غير هذا اللقب. والبطريركية وظيفة وسلطان وليست

"بطريرك" الكنيسة، و "رئيس أساقفتها"، و "مطرانها العام" إن هي إلا مترادفات لمعني واحد ووظيفة واحدة. بل أن بطريرك الإسكندرية كان يُلقب أحيانا أسقف الإسكندرية وكذلك كان كل بطاركة العالم [أنظر القانون ٦ لمجمع نيقية المقدس، والقانون الثاني لمجمع القسطنطينية المقدس].

إذن كل ما عمله الأساقفة ليلة ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ هو أنهم أعطوا أنيا كيرلس لقبا وليس سلطانا كهنوتيا أزيد من سلطانه. فإن هذا التاريخ لم يغير شيئا من وظيفته أو سلطانه أو درجته أو عمله..

١١ . نشر التعليم بن أبناء الأمة القبطية

منذ أن استلم البابا كيرلس الرابع شئون الكنيسة والأمة القبطية عندما عين مطراناً عاما علي الكرسي المرقسي وجه اهتمامه نحو نشر التعليم بين أبناء أمته المحبوبة وشعبه المختار فلم يدخر وسعاً في سبيل تحقيق ذلك.

وللوصول إلي تحقيق غرضه قام البابا بإرسال طرس البركة الآتي لأبناء الأمة يستحثهم فيه علي التبرع للقيام بنفقة بناء معهد علمي عظيم يليق بكرامة الأمة القبطية ويكون أساسا متينا لبناء نهضتها القومية وكان هذا باكورة خدماته لأمته.

١٢ . نص طرس البركة الصادر من البابا كيرلس الرابع إلى إبنائه المباركين والاحباء الطائعين

"البركة الكاملة والنعمة العامة الشاملة إلي حضرات الأبناء المباركين والأحباء الطائعين الأراخنة والمعلمين الشمامسة المكرمين وأرباب الصنايع المحترمين وجميع الشعب المحب لله الدينين الأرثوذكسيين بارك الله عليهم بكل البركات السمائية الحالة علي رسله وأنبيائه وصانعي وصاياه في كل جيل وحين. بشفاعة الدائمة البتولية ومار مرقس الإنجيلي الكاروز بالديار المصرية آمين."

"بعد تجديد البركات الروحانية عليهم واهداء مزيد السلام الروحاني لديهم. نعلمهم أنه لما كان الأمر الواجب اكتساب المعارف والفنون وقراءة الكتب المقدسة ومعرفة قواعد الديانة وإدراك معرفة الألسن المستعملة ببلاغة الألفاظ وعذوبة البيان كان ذلك من أهم أمر وأوجب مهتم إذ أن به أولا يحصل التمدن وانتظام

من سفر تثنية الاشتراع قوله تعالي: "وليكن هذا الكلام الذي أنا أوصيك به اليوم في قلبك وقصه علي بنيك وتكلم به إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وإذا قمت وأعقده علامة علي يديك ويكون عصائب بين عينيك واكتبه علي أسكفة بيتك وعلي أبوابك".

"وقوله تعالي ليشوع بن نون هكذا كما كتب في بدء سفره: "لا يبرح سفر هذه الشريعة عن فيك لكن ادرسه الليل والنهار لتحفظ وتعمل جميع ما كتب فيه حينئذ تفلح بطريقك وتتفطن بها."

"وجمع ذلك صاحب الترتيل بقوله بمزمور ١١٨ "سراج لرجلي هوناموسك ونورلسبيلي" وقد أعطي التطويب للرجل الذي يتلو ناموس الرب ووصاياه ليلا ونهاراً وشبهه بالشجرة المغروسة علي مجاري الأنهار".

"وتأملوا أيضا وصية الرسول مار بولس لتلميذه تيموثاوس حيث كتب له برسالته الثانية فصل ٣ هكذا يقول له: "فاثبت أنت علي ما تعلمت وأتمنت به فقد علمت ممن تعلمت وانك من صباك قد تعلمت الأسفار المقدسة التي تقدر علي أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذي بيسوع المسيح أن كل الكتاب أوحي به من قبل الله مفيد للتعليم والتوبيخ وللتقويم وللتأديب بالبر لكي يكون رجل الله كاملا ومستعداً لكل عمل صالح".

"فإذا فهمتم هذه الأقاويل الإلهية: أظن انكم تتشوقون إلي ما أنا شارع فيه لمنفعة أولاد الكنيسة باستنادي علي قوله تعالي بإنجيله المقدس: "فتشوا الكتب فإنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية فهي تشهد من أجلي". فإن كان كذلك فنواظب عليها بمداومة القراءة والدرس فيها كما وقد علم ذلك بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس كما جاء برسالته الأولي ص٤ هكذا يقول له: "واظب علي القراءة إلي حين قدومي وعلي الموعظة وعلي التعليم وادرس هذه الأشياء وتشاغل بها لكي يكون اقبالك ظاهراً لكل أحد".

"وعلي الجملة فأقول بما أن هذا الأمر مستحب لديكم جداً فحينئذ قد صار التسارع إليه واجبا لتماثلوا في انتظامه جميع طوائف المسيحيين الذين اتبعوا هذه الأقوال السابق إيضاحها لبنوتكم فانشأوا مدارس ومكاتب حاوية معرفة الألسن

الغريبة أيضا التي لم تكن لهم عادة بمعرفتها ولا كان يظن فيهم النطق بحرف منها عن كونهم بلغوا الغاية في المنطق والقراءة والكتابة كما هو ظاهر للعيان".

"وعدا عن تعليم الأطفال فإن المنظور أن أرباب الألسن واللغات الأعجمية قد برعوا في معرفة اللسان القبطي الذي لا حاجة لهم فيه وكذا اللسان العربي نطقاً وكتابة وقراءة حتى أن اللسان القبطي قد آل بنسيان معرفته بحيث قد انمحي رسمه واندرس بالكلية من أهله وصار مجرد تسمية بلا فاعلية حتى أن القراءة الضرورية المستعملة بالكنائس لا يعرف معناها أحد ولا مفهوميتها والذي يقرا لم يفهم ما يقول. ولولا أن اللسان العربية قد وضع في الكنائس ترجماناً له لاجل مساعدة المعرفة للشعب لكان يتم علينا قول الرسول: "إن الذي لا يؤمن إذا دخل اليس يقول انكم قد جننتم وكيف يقال علي بركتك آمين."

"وياليت هذا اللسان العربي الدارج بين عامة شعبنا كانوا ينطقون به جيداً ويفهمون قواعده العربية فأظن حتى ولا معاني الفاظه. وذلك ناشئ من كون أن الأطفال عندما يبلغون السن اللازم لاكتساب فوائد التعليم يسلمهم والدوهم إلي عرفاء عواجز النظر يعلمونهم القراءة غيباً بالكلام المستهجن والألفاظ المحرفة ويدعوا الأطفال يحفظون بعضا من المزامير بغير معرفة القواعد ولا المعني فيخرجونهم جهلة في أقصي الجهل حتى لحدود الرئيس والمرؤوس وبالحقيقة يتم قول النبي عاموص القائل: "ها تأتي أيام يقول الرب وأرسل الجوع إلي الأرض لا جوع للخبز ولا عطش للماء بل لاستماع كلام الرب". وآخر قال: "جهلوا العلم والمعرفة ولا الرئيس يرشد ولا المرؤوس يسترشد". وان أهل المعرفة جهلوها فقد بردت حرارة الإيمان وبعد التمدن عن أهله ولعله يتم قوله تعالي: "من كثرة الإثم تبرد المحبة من كثيرين".

وحيث أن بنعمة الله صرت إليّ ما أنا عليه مؤتمناً وعبداً ليسوع المسيح مدعواً مطرانا خادما للكرازة المرقسية مترجيا من مراحمه الفائقة الكمال أن يوفق لي ما يرضاه ويؤهلني للقيام بفرائض هذه الخدمة التي هي انتم معشر الذين يؤمنون به حتى أجد لي دالة قدام منبره المرهوب المخوف قائلاً: "ها أنا والبنون الذين أعطانيهم الرب".

إيجاد محل للقراءة والتعليم وقد عزمت بنعمة الله أن اشمر عن ساعد الجد كما هو من الواجبات عليّ بحسب ما انتدبت إليه بمراحمه أن أكمل قصدي باعتمادى علي العناية الربانية المؤهّلة إلي كل عمل صالح وهي إرادته تعالي ومساعدة أولادنا شعب الله المختار حيث رأيت منهم التلهف لايجاده والمسارعة لنجازه ولاح لي من حسن ذمتهم ونقاوة طويتهم استحثاثهم علي ذلك وميلهم إليه بكل رغبة ونشاط واختصاصهم بصالح العمل وأحسن التقويم. وقد رأيتهم دائماً يلهجون بهذا الأمر وكان هذا المقصد جل رغبتنا فقد توفق إيجاد بعض خرابات دائرة من تعلقات الوقف تجاه دار البطريركية واستصوب أن يصير إنشاؤها محل مركب من كم أوده يقيم فيها المعلمون والصبيان يتنقلون منها من مرتبة إلي أخري وهي من أول مرتبة المبتديان إلي ما يوفق به الرحمان من التعليم بحسب القدرة والإمكان".

ولغاية الحرص قد بلغت مقايسة تكاليف عمارة الجهة المذكور بما يناهز المائة وخمسين ألف غرض (خمسون كيساً). ولما كان جهدي قصير في إيجاد هذا القدر نظراً لضيق الوقت وضعف الحال صار لي أمل في همة الأبناء المباركين أن يمدوا بالاسعاف علي قدر الإمكان والطاقة للمساعدة في إنشاء هذا المحل. وها أنا مساعد بقدر جهدي وطاقتي ومباشر العمل بنفسي وبعد إتمام البناء بنفسي يقدرني الله علي إيجاد الكتب والأدوات وما يلزم للإدارة بدون تكليف أحد ويصير ترتيب معلمين للتعليم كما الجاري عند باقي طوائف المسيحيين وبمعونة الله تعالي يصير الإنتظام التام حتى يضرب بذلك المثل ويشاد ذكره بين الملا".

"وحيث أن مرجع الأمر إلي مساعدة أولادي الارثوذكسيين المباركين حفظهم الله بيمينه الحصين وجعلهم من الفائزين المقربين فكل من سمحت نفسه بشئ وجادت همته به علي قدر إمكانه يقدمه لعمارة تلك الجهة ابتغاء مرضاة الله تعالي لمنفعة عامة الشعب المسيحي ولاصلاح خير العامة والخاصة معتقداً أن الله يعوضه عنها عوض الفانيات بالباقيات والأرضيات بالسمائيات ويكون ذلك لهم ذخيرة في المظال الأبدية. الرب الإله ينميهم ويكثرهم ويدر أرزاقهم وينشئ أطفالهم نشواً صالحاً ويكثر نسلهم ويقر أعينهم بهم ويعمر أوطانهم والذين ليست له ذرية الرب الإله يعطيه النسل الطاهر ويجود عليه بالزرع المبارك كما جاد

ويجعلهم من الخراف اليمينية الذين يتكئون في الأحضان الإبراهيمية في أورشليم السمائية ويسمعهم الصوت الفرح المملوء فرحاً وحبوراً: "تعالوا يامباركي أبي رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم" بشفاعة العذراء الطاهرة البتول أم النور وناظر الإله مار مرقس الإنجيلي الرسول وكافة الرسل والشهداء والقديسين. كونوا مباركين محاللين من قم الثالوث المقدس والآباء أصحاب المجامع المقدسة ومن فمي أنا الحقير كيرلس. ولله الشكر دايماً سرمدياً آمين."

(نقلا عن النسخة المحفوظة بالمتحف القبطي)

وما كاد يصدر من قداسة البابا كيرلس الرابع هذا المنشور حتى بادر الأقباط إلي الإكتتاب لاتمام هذا المشروع الجليل بالمبالغ المدونة في القائمة كل بحسب مقدرته وقد افتتح هذه القائمة البابا نفسه بمبلغ خمسة آلاف قرش متعهداً بوفاء ما يحصل من العجز في تكاليف إنشاء عمارة هذه المدرسة.

كما تبرع كل من الأسقف أنبا إبرآم الأورشليمي وأنبا سرابامون المنوفي بمبلغ ألفين وخمسمائة قرش وتبرع الشعب بعد ذلك بالمبالغ الآتية:

المبلغ قرش	اسم المتبرع	المبلغ قرش	اسم المتبرع
٢٥٠٠	يوسف نصرالله	٢٠١٧٨	ما قبله
٢٥٠٠	جرجس مسيحه الجواهرجي	٥٠٠	المعلم سليم الجماع
١٠٠٠	القمص حنا	٢٠٠	المعلمان منصور وجرجس
١٥٠٠	مكرم الله تاوضروس	٢٥٠	ميخائيل غبريال
١٠٠٠	أنطونيوس لوقا	١٠٠٠	عبد الملك ميخائيل
١٠٠٠	القمص شنوده	٥٠٠	جرجس إبراهيم المطربان
١٠٠٠	رزق الله حنا	١٠٠٠	عبد السيد يوسف
٣٠٠٠	تادرس جرجس شلبي	١٢٥٠	عطيه صابونجي
١٠٠٤	تادرس إبراهيم	٢٥٠	برسوم جرجس
١٥٠٠	منصور عوض	٥٠٠	إبراهيم خليل
٧٥٠	فرج منقريوس	١٥٠٠	شنوده سمعان
٥٠٠	ميخائيل البيلاوي	٢٥٠	يوسف ميخائيل الجاولى
١٥٠٠	نخله ناروز	١٨٠	عريان داود
٢٢٤	الحاج الياس الدلال		جندي غبريال ومشرقي بولس
١٠٠٠	خليل قلاده	١٠٠٠	وحنا بولس كتاب الترسانة

المبلغ قرش	اسم المتبرع	المبلغ قرش	اسم المتبرع
٣١١٠٦	ما قبـــله	٣٢٦٥٦	ما قِـــبله
٣٠٠	ميخائيل غبريال المنقبادي	٢٠٠	بطرس جلبى
٢٥٠	جرجس خليل بقطر	٢٥٠	أنطون غبريال
٥٠٠	بطرس تادرس برماوي		باخوم يوحنا
٢٥٠	جبرائيل حنا	١٠٠٠	(والد يوحنا بك باخوم)
٢٥٠	اسطفانوس منسى		
٣٢٦٥٦	بعده	٣٤١٠٦	بعده

فيكون جملة الاكتتاب الكلي ٤٤١٠٦ أربعة وأربعون ألف ومائة وستة قرشاً

١٣ . منشور إصلاحى من أنبا كيرلس المطران العام

ومما يسجل لأنبا كيرلس مطران مصر العام المنشور الرعوي الذي كتبه في ١٨ مسري سنة ١٥٦٩ش الموافق ٢٣ أغسطس سنة ١٨٥٣م المتوج كالآتي:

بسم الله الرؤوف الرحيم — راجي الغفران

يا الله الخـــلاص — كيرلس المطران

(خـــتم)

وتقضي أحكام هذا المنشور بما يأتي:

(١)منع كهنة القاهرة من عمل عقد أملاك عند إجراء خطبة لأن عقد الأمـــلاك لا يمكن فسخه لأنه يعتبر طلاق في نظر الكنيسة.

(٢)تحذير الكهنة من تزويج البنات القاصرات.

(٣)تحذير زواج النساء المترملات المتقدمات في السن اللاتي لا يلدن نسلا مـــن الشبان.

(٤)تحتيم أخذ رضاء وموافقة الزوجين قبل عمل الإكليل وربطهما بسر الزيجـــة الذي لا ينفصم.

(نقلا عن الدرج المخطوط المحفوظ بمكتبة القصر البطريركي بالقاهرة).

١٤ . اهتمام الأنبا كيرلس المطران بإنشاء أول معهد للتعليم

وكان الأنبا كيرلس المطران يهتم بأمر التعليم منذ أن كان رئيساً لدير القديس

لتشييد مدرسة علمية كبري من الطراز الحديث لتعليم الناشئة القبطية العلوم والمعارف وتثقيفهم ثقافة عصرية ممتازة لإعداد رجال علماء ليكونوا ذخر العلم والفلاح في القاهرة.

وبعد أن جمع أبناء الأمة القبطية وتعهدوا بالاكتتاب بقيمة المصاريف اللازمة لإنشاء هذا المعهد العظيم أساس النهضة الحديثة بين القبط شرع في وضع أساس بنائه وإقامة المباني الحديثة الطراز التي افتخرت الأمة القبطية بها ردحاً من الزمن لأنها كانت أولي المعاهد العلمية الحديثة وهي لم تزل قائمة إلي يومنا هذا في مكانها الأصلي تشهد بنبالة مقصده وحسن ذوقه وشدة اهتمامه بالتعليم لرفع شأن بني أمته.

ولكي يضمن حسن سير هذه المدرسة بعد افتتاحها ويحفظها من تقلبات الزمن عين للصرف عليها إيراد جملة أماكن من أوقاف الدار البطريركية (تاريخ كيرلس الرابع ص ٩١ ــ ٩٤ ــ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣١١)

١٥ . رسامة الأنبا كيرلس بطريركا

باســـــم

البابا كيرلس الرابع البطريرك (١١٠)

وعندما رأى من وقفوا عقبة كؤوداً في سبيل ارتقاء الأنبا كيرلس المطران مباشرة إلي رتبة البطريركية بأن تصرفه الخاص في المشروعات النافعة للأمة تشهد له بإنفراده باستحقاق رتبة البطريركية لم يسعهم سوي ضم صوتهم إلي إخوانهم فاجتمعت كلمتهم علي إقامته بطريركا علي كرسي الكرازة المرقسية.

وفي ليلية الأحد ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ش أقيم بطريركا بعد أن مكث مطراناً عاماً مدة سنة وشهرين وكتبوا له التزكية اللازمة في نفس هذا التاريخ ووقع علي هذه التزكية التي لم تخرج صورتها عن التزكية التي قدمت وقت رسامته مطرانا عاما حضرات الآباء الأساقفة ورؤساء الأديرة بالترتيب الآتي:

(١) إبرآم أسقف كرسي أورشليم ٠٢) مكاريوس أسقف كرسي أسيوط (٣) أثناسيوس أسقف كرسي منفلوط (٤) إبرآم أسقف كرسي قوص وقنا (٥) اسحق أسقف كرسي البهنسا والفيوم (٦) أثناسيوس أسقف أبو تيج (٧) ياكوبوس أسقف

دير السيدة دميانة بوادى الزعفرانة (١١) القمص ميخائيل جرجس رئيس دير أبو مقار (١٢) القمص جرجس كاهن دير أبو مقار (١٣) الخوري يسقوبوس ميخائيل وكيل كرسي صنبو.

وقد حفظت هذه التزكية في صدر كتاب سيرة أنبا باخوميوس أب الشركة المقدسة المحفوظ بمكتبة الدار البطريركية العامرة تحت رقم ٥٠ تاريخ.

وقد حضر إقامته للبطريركية جميع أساقفة الكرسي المرقسي ماعدا اسقفي أخميم وأبو تيج ومطران الحبشة ولقب باسم البابا كيرلس الرابع البطريرك (١١٠) وكان ذلك في أواخر أيام عباس باشا الأول (تاريخ الأمة القبطية ص ٣١١).

١٦ . تجديد أسقفية مصر فى أول عهده

ولما تسلم البابا كيرلس الرابع زمام كرسي البطريركية رأي بثاقب فكره ضرورة إقامة أسقف علي كرسي مصرلتدبير شؤونه لعظم مهام الكرسي الرسولي وضرورة التفرغ لإدارة شؤون الكنيسة العامة فاختار راهباً من دير أنبا أنطونيوس ورسمه أسقفا علي كرسي مصر في سنة ١٨٥٤م باسم أنبا بطرس ورقاه إلي رتبة المطرانية وكان هذا المطران يمت لعائلة البابا البطريرك بصلة النسب من جهة شقيقته.

١٧ . نشر التعليم بين أبناء الأمة القبطية

ومنذ أن قام هذا البابا الذي أطلق عليه لقب أبي الإصلاح بإدارة شؤون الكنيسة والأمة وجه اهتمامه نحو نشر التعليم بين أبناء أمته وأولاد شعبه فلم يدخر وسعاً في سبيل تحقيق ذلك.

(١) إنشاء كلية كبرى للبنين بجوار الدار البطريركية

فقام باتمام بناء المكان اللائق لاقامة معهد علمي كبير من الطراز الحديث كما تقدم ذكره حتى صار مستعداً لافتتاحه في سنة ١٨٥٥م فوجه كل التفاته إلي النهوض بهذه المؤسسة العلمية الأولي من نوعها والعمل علي إدارتها وترقية التعليم فيها حتى أصبحت بفضله ومجهوده المتواصل تضارع أشهر وأكبر الكليات المدرسية التي من نوعها واصبحت قادرة علي تخريج فطاحل رجال الأمة المعدودين.

لمصالحهم الطائفية نظراً لمعاملته لهم بالعدل إذ منحهم الحرية الدينية وأباح لهم بناء الكنائس بعد أن تشدد عليهم سلفه عباس باشا بعدم إعادة ما تهدم منها أو بناء كنائس جديدة. ولذلك لم يحل دون قيام البابا كيرلس بأعماله الإصلاحية حائل كما كان قبلا فتمم بناء المدرسة في سنة ١٨٥٥م واستحضر لها مهرة الأساتذة وقبل فيها كل من كان يرغب في التعليم بدون تمييز بين الأجناس والأديان والمذاهب.

وكان قداسته يعلم الجميع مجاناً ويصرف الأدوات المدرسية والكتب العلمية لأن القوم لم يكونوا في ذاك العصر قد تعودوا الصرف علي أولادهم لتعليمهم تعليما راقياً.

وكان يفتقد بنفسه المدرسة يومياً وبلا إنقطاع حتى إنه لشدة شغفه بالعلم ومحبته لترقية تعليم النشئ قد اتخذ له محلا داخل مباني المدرسة لاستقبال الزوار فإذا زاره أحد من الأجانب ممن لهم إلمام بالتعليم والنظم المدرسية الحديثة كلفه بزيارة المدرسة وإبداء ملاحظته عن حالتها لكي يدخل ما يراه ضروريا من طرق الإصلاح لميله الشديد للشوري واستماع ارشادات العلماء وذوي الغيرة الصادقة.

وكان يدخل للفصول أثناء التدريس وينصت باهتمام إلي ما يلقيه المدرسون علي الطلاب وكان عند خروجه من الفصول يخاطب التلاميذ قائلاً: "لقد استفدت معكم اليوم فائدة لم أكن أعرفها من قبل" فكانوا يصغون لكلامه ويميلون إلي الاسترشاد بما كان يلقيه عليهم من نوادر تاريخية وأدبية وعلمية.

وقد اشتهرت المدرسة رغماً عن أن عدد طلابها كان قليلا في أول عهدها. وذاع صيتها في الأفق الشرقية فقال عنها صاحب "كتاب مصباح الساري ونزهة القاري طبعة بيروت سنة ١٢٨٢هـ" ما يأتي:

"وفي حارة الأقباط مدرسة عظيمة يعلمون فيها اللسان القبطي القديم والتركي والإيطالي والفرنساوي والإنكليزي والعربي وهم يقبلون فيها من جميع الطوائف وينفقون علي التلاميذ من مال المدرسة وهذه بناها البطريرك كيرلس القبطي وأنفق عليها نحو ستمائة ألف قرش وكل هذا بخلاف ما نعهده في بلادنا (أي بلاد سوريا ولبنان) من الإكليروس وأوجه الشعب" أ هـ. (كتاب كيرلس الرابع ص ٩٧ ــ ٩٩ ــ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣١١ ــ ٣١٣).

(ب) تعليم البنات وإنشاء أول معهد من نوعه فى مصر

ولما رأى البابا كيرلس بثاقب فكره أن المرأة محرومة مما يرقي شعورها وقد احتجبت لجهلها وراء ستار، أراد أن يعلمها ويعطيها حقوقها المهضومة لأن الكنيسة لم تعاملها معاملة خشنة وتحول دون رفع الحجاب عنها إلا لما رأت أنها عرضة للاختطاف ومطمحاً لأنظار ذوى الأخلاق الفاسدة الذين ينتهزون الفرص لاقتناص فريستهم عندما يجدون أنفسهم قادرين، حتى أدي ذلك إلي أن يشتد القبط في المحافظة علي نسائهم فكانوا لا يخرجونهن من بيوتهم متي دخلن فيها إلا إلي المقبرة إن لم يكن ثمة ما يدعو إلي الخروج منها (تاريخ كيرلس الرابع ص١٠٠).

وقد كانت آمال هذا البابا المصلح الكبير عظيمة في القيام بترقية المرأة القبطية فجعلته يتخطي الحدود التي أوجدها محبو هضم حقوقها لأنها متى ارتقت عرفت كيف تربي أولاداً نافعين فقام بكل جسارة بإنشاء مدرسة لتعليم البنات تعد أول مدرسة في القطر المصري للبنات بعد الفتح العربي وعلي مثالها قد انشئت المدارس الأخري التي تخصصت لتعليم وتهذيب الفتاة في الديار المصرية ٠تاريخ كيرلس الرابع ص ١٠٢).

(ج) إنشاء مدرستين فى حارة السقايين وكنيسة بجانبهما

ولما رأى قداسته أن بعض التلاميذ يأتون من جهات بعيدة في العاصمة قام بإنشاء مدرستين واحدة للبنين وأخري للبنات.

وعندما وجد هذا المنشئ الكبير والمصلح العظيم أن أبناء الأمة سكان حارة السقايين يقاسون صعوبة وجود بيعة في حيهم سعي بجده واجتهاده وحرض وجهاء الأمة علي رفع الشكوي لصاحب المقام العالي سعيد باشا وطلب الترخيص ببناء كنيسة بذاك الحي فصدر الأمر السامي من محمد سعيد باشا في ٥ ربيع أول سنة ١٢٧١هـ الموافق ليوم الأحد ١٨ هاتور سنة ١٥١٧ (٢٦ نوفمبر سنة ١٨٥٤م) رقم ٢١ عرض إلي محافظة مصر فأجابت التماس الأمة القبطية ببناء كنيسة بحارة السقايين بأحد أماكن وقف الأقباط ونظراً لعدم خلو موضع كاف لتشييد كنيسة تامة كل الشروط اكتفي وقتها بإخلاء أحد دور الوقف واستعمالها للصلاة بصفة مؤقتة. وكان المرحوم سعد بك ميخائيل من أعيان حارة السقايين من أكبر

ومما يدل علي شدة اهتمام البابا بالمدارس وعنايته بها أنه أناط حنا أفندي القسيس بملاحظة مدرستي حارة السقايين وتأدية ما يلزم لهما من المعدات والأدوات وكان قداسته يزورهما بنفسه ويفحص حالتهما مرة في كل أسبوعين خلاف التقارير التي كان يرفعها إليه المعلم الأول أولا فأولا (تاريخ كيرلس الرابع ص١٠٤).

١٨ . اهتمام البابا كيرلس بأمر تعليم اللغة القبطية والالحان الكنسية

ولما رأى قداسة البابا أن المعلم عريان جرجس مفتاح يعرف اللغة القبطية جيداً عينه استاذاً لها وهوأول من علمها حسب القواعد المتبعة في المدارس الحالية وقد قام لهذا الغرض بتأليف أجرومية في هذه اللغة علي النسق العربي كما ألف أيضاً كتاباً في الإعراب وقد كانت هذه الخطوة المباركة الأولي في إحياء تعليم اللغة القبطية بعد أن مضي عليها نحو القرنين ولم يتكلم بها أحد خلاف تلاوتها في الكنيسة وكان لهذا البابا بمعاونته المعلم عريان الفضل الأكبر في نفخ روح الحياة في هذه اللغة العظيمة لغة البلاد الأصلية.

وبعد أن وطد دعامة تعليم اللغة القبطية وجه همته نحو الألحان الكنسية فكلف القمص تكلا أحد قسوس الكنيسة المرقسية بالأزبكية الذي كان مشهوراً وقتئذ في فن الموسيقي القبطية والألحان الكنسية بالقيام بتعليم التلاميذ الحسنى الصوت ليقوموا بالتراتيل الكنسية وأوجد لهؤلاء الشمامسة ملابس خاصة علي طرز جديد امتازوا به عن غيرهم عند الخدمة الدينية فنتجت من هذا التحسين الظاهري فائدتان (علي قول المؤرخ الشهير يعقوب بك نخله روفيله): إحداهما إظهار فائدة المدارس وترغيب الأهالي في الحاق أولادهم بها. والثانية مواظبتهم علي الحضور إلي الكنيسة وهم منشرحو الصدر من سماع التراتيل والأناشيد الروحية المنعشة. (تاريخ الأمة القبطية ص ٣١٣).

١٩ . استعمال التاريخ القبطى

لا يخفى أن المصري هو أول من قسم الزمان وأن المصريين أول من استعمل السنة المربعة بينما كان غيرهم يستعمل السنين القمرية ويوفق بينها وبين السنة الشمسية. وقد أبطل استعمال التاريخ القبطي إلا في الزراعة. ولكن في أيام

الفوائد الجمة ابتداء من أول أبيب سنة ١٥٧١ش (٧ يولية سنة ١٨٥٥م) وظل مستعملا حتى أول سبتمبر سنة ١٨٧٥م (التوفيقات الإلهامية ص ٦٣٦ و ٦٤٦).

٢٠. رسامة المطارنة والأساقفة فى عهده

قام هذا البابا العظيم المصلح الكبير بإنتقاء الآباء المطارنة والأساقفة الذين قام برسامتهم في أيام رئاسته فرسم من المطارنة ثلاثة في الوجه البحري وهم:

(١)الرجل العظيم الأنبا باسيليوس مطران القدس والشرقية والدقهلية والغربية والقنال الذي نهج منهج استاذه وسار علي خطواته.

(٢)الأنبا يؤانس مطران المنوفية وجزء من الغربية.

(٣)الأنبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الكرازة بالأسكندرية.

كما قام أيضاً برسامة ثلاثة أساقفة في الوجه القبلي. وذلك خلاف أسقفية مصر التي أنشأها بعد أن ظلت مدة سنين طويلة غير موجودة.

٢١. اهتمامه بالأوقاف القبطية وديوان البطريركية

وقد قام بأجل خدمة لكنيسة في حفظ وحصر أوقافها فاوجد سجلا لقيد الأوقاف التي كانت مهملة وأمر بأن تحصر فيه جميع الأوقاف من واقع الحجج ولم يعارضه في ذلك أحد من الاكليروس أو الرهبان نظراً لأنه كان قوي الإرادة مصلحاً في عمله فكان الجميع يقدسون إرادته ويقدرون خدماته الجليلة.

ثم أوجد قداسته ديواناً لادارة شؤون البطريركية وعين له العمال الأكفاء وقسم الإدارة فيه إلي قسمين. قسم يختص بالأعمال الدينية والشرعية وآخر يختص بالأوقاف والمكاتبات ووضع كليهما تحت ملاحظته الشخصية (تاريخ الأمة القبطية ص ٣١٨و٣١٩).

٢٢. المكتبة البطريركية الثمينة

وقد سبق الذكر في تاريخ البابا بطرس السابع أنه قام بجمع الكتب في مكان واحد وعمل لها فهرس بخطه لبيان محتوياتها لم يزل محفوظاً في المكتبة البطريركية إلي يومنا هذا. ولكن بكل أسف قد امتدت أيدي العبث إلي هذه الكتب ونسبوا ذلك إلي عهد البابا كيرلس الرابع والحقيقة أن هذا الرجل العظيم كان كثير الميل بفطرته إلي نشر المعارف والعلوم الكنسية والحقائق التاريخية المتصلة

بعد الانتفاع مما فيها وكان ذلك بحسن نية منه واعتقاده الراسخ في أمانة المستعيرين وبكل أسف قد حدث ما يخشاه كل حريص علي الكتب الثمينة فلم تعد غالبية الكتب المستعارة إما لوفاة قانيها أوطمع مستعيريها.

ومما يذكر بالحق لهذا البابا العظيم أنه كان يقصد بهذا التصرف نشر الذخائر العلمية الدينية والتاريخية الكنسية حتى إنه كان كبير الاهتمام بأمر الكتب وطبعها فجلب المطبعة لإصلاح ما عبثت به أيدي النساخ.

٢٣ - إيجاد مطبعة قبطية بحسن مساعي البابا

ولما انتظمت المدارس الحديثة التي أنشأها هذا البابا فكر في إيجاد مطبعة للبطريركية لنشر الكتب المفيدة بأثمان زهيدة ليتمكن كل من أفراد الأمة رجلا كان أو تلميذاً من اقتنائها بلا تعب فيستفيد منها ويفيد.

وبعد أن نضجت الفكرة في ذهنه استدعي الخواجا رفله عبيد الرومي الأرثوذكسي وكلفه باستحضار أدوات مطبعة كاملة المعدات من أوربا واستصدر أمراً من عزيز مصر محمد سعيد باشا بقبول أربعة من شبان القبط الأذكياء في المطبعة الأميرية ببولاق لكي يتعلموا فن صف الحروف والطباعة وكان يصرف لهم المرتبات والملابس من ديوان البطريركية.

وعندما وصلت المطبعة إلي الثغر الإسكندري وعلم البابا بأمرها وكان وقتئذ في دير أنطونيوس بالجبل بعث في الحال إلي وكيل البطريركية بمصر يأمره باستقبال أدوات المطبعة من مدخل باب الدار البطريركية بموكب حافل يسير فيه الإكليروس بملابسهم الرسمية وينشد التلاميذ أناشيد الفرح.

وقد أدخل الاحتفال باستقبال المطبعة دينياً روح التشنيع لاعتباره بدعه في الدين ولكن لما عاد قداسته من الدير وعلم بالأمر قال لهم: "إني لمستغرب جداً من افتكاركم السوء باستقبال هذه المطبعة غير أني لو كنت حاضراً لرقصت أمامها كما رقص داود أمام تابوت العهد" فكان جوابه علي المعترضين سديداً ودل علي مقدار اهتمام هذا المصلح بنشر العلم.

ولم يجن قداسة البابا كيرلس ثمار هذا العمل الجدير بالإعجاب لأنه لم ينتفع بها في مدته (تاريخ كيرلس الرابع ص ١١٧ ــ ١١٨ ــ وتاريخ الأمة القبطية

٢٤. سفر البابا كيرلس الرابع إلى بلاد الحبشة مرة ثانية

لم يكن سفر كيرلس الرابع إلي الحبشة هو أول سفر لبطاركة الكرسي الإسكندري فلقد سبقه في ذلك في سنة ٧٧٥ش ــ ١٠٥٩م البابا خرسطوذولس البطريرك (٦٦) كما ذكره صاحب التوفيقات الإلهامية وصاحب الخطط التوفيقية ونقل ذلك ابن وصيف شاه في أخبار مصر وذكره أيضاً ابن اياس في تاريخه (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٢٥ ــ ١٢٦).

فقد كلف عزيز مصر سعيد باشا البابا كيرلس الرابع بأن يقوم بمهمة سياسية في بلاد الاحباش فلم يسعه سوي تلبية الطلب ورغماًعما عرفه أول مرة من وعورة الطريق وصعوبة السير فيها لم يثن عزمه بُعد الشقه ولا احتمال المشقة بل غادر الديار المصرية في آخر مسري سنة ١٥٧٢ش الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦م فجأة بدون أن يعلم أحداً من قبل ذلك وكان قبل سفره تلوح علي وجهه علامات الارتباك والكآبة ولكنه كان متجلداً ولعل السبب في ذلك خوفه من بطش الطاغية ثيودوروس النجاشي الحبشي. وقد رافق البابا اثنان من الاغوات الترك فلم يدع هذه الفرصة تمر بدون أن يكتسب فيها ما يقوي معارفه ويزيد فيها فتعلم منهما اللغة التركية حتى صار يفهم من يتكلم بها أمامه (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٢٧و١٢٨ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣١٥).

وظهر أن السر في إيفاد البابا كيرلس إلي إثيوبيا هو أن خصومه وكانوا من دهاة الإنجليز زرعوا في عقل سعيد باشا فكرة إرساله إلي تلك البلاد ليحول دون تعدي الحبشان علي بعض أملاك الحكومة المصرية من اقليمي هرر وزيلع وكان غرضهم الحقيقي هو تعطيل أعماله الإصلاحية واعاقة تقدمها وقيل أن السلطان عبد المجيد هو الذي أوغز إلي سعيد باشا بأن يرسل البطريرك لعقد اتفاقية كما ذكرت جريدة الجوايب التركية التي تصدر في الاستانة (تاريخ كيرلس الرابع ص١٢٩).

سافر البابا كيرلس الرابع مستعيناً بالله علي قضاء مهمته الشاقة ولما وصل أرض الحبشة وعلم النجاشي ثيودوروس بقدومه للبلاد خرج لمقابلته في موكب حافل علي مسيرة ثلاثة أيام.

سنة ١٨٥٦م قاصداً الخرطوم حتى وصلها في ١٧ يناير سنة ١٨٥٧م كما قاموا أيضاً وأقنعوا النجاشي من جهة أخري بأن هذا المصلح جاء ليخدعه حتى لا يستعد لمقاتلة عزيز مصر وبذلك يتمكن من أخذ بلاده. فتيقن النجاشي عندما سمع بحشد الجيوش علي الحدود فاعتقد في البطريرك أنه يدبر مكيدة سياسية يقصد بها إذلال الحبش وتملكهم لأيدي المصريين وصمم علي قتله لولا أن الملكة توسطت له في الأمر وطلبت أن يبقوه حياً حتى إذا ما كان الخبر صادقاً تمكنوا من قتله في أي وقت أرادوا ووافقها الشيوخ علي ذلك.

فلما رأي البطريرك أنه أصبح بين نارين وأن القصد لم يكن إلاّ إعدامه ضحية السياسة لم يجد من وسيلة إلا أن يبعث من قبله بمن يبلغ عزيز مصر الأمر أنه فاز بمهمته لولا ظهور الجيوش المصرية علي الحدود. فقام سعيد باشا بسحب الجيش وتأكد للنجاشي براءة البابا البطريرك من كل ما نسبوه إليه وفي الحال اعتذر إليه وأطلق سراحه وسمح له بالعودة إلي بلاده مكرماً وعندما وطئت رجل البابا الديار المصرية وتخلص من براثن الأسد الحبشي سجد لله تعالي وقبل الأرض لأنه لم يكن منتظراً أن يتخلص من هذا الشرك الذي نصب له وكان خلاصه دليلا علي عناية الله، حتى يتم وضع قاعدة الإصلاح (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٢٩ ــ ١٣٢ ــ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣١٦ ــ ٣١٨).

٢٥. عودة البابا إلى القاهرة والاحتفال بقدومه

لقد تغيب البابا عن مركز كرسيه وانقطعت أخباره عن مصر مدة سنة وأربعة أشهر. ولما وصل إلي الخرطوم وردت البشائر منبئة بوصوله وفي حاشيته قسيس النجاشي الخاص ووزيرحبشي فاطمأن الناس عليه وفرحوا بقدومه وكان وصوله إلي القاهرة في يوم السبت ٧ أمشير سنة ١٥٧٤ش الموافق ١٣ فبراير سنة ١٨٥٨م فاحستوا استقباله استقبالا عظيما ولا سيما أنه لم يقم للأقباط بطريرك زار الحبشة منذ عهد بعيدإلا البابا كيرلس الرابع (تاريخ الأمة القبطية ص ٣١٨).

٢٦. زيارة البابا لكنيسة حارة الساقيين ورفع الصليب أمامه

وبعد إنتهاء حفلات استقبال البابا دعاه الأرخن الجليل سعد بك ميخائيل عميد أقباط حارة السقايين لزيارة الكنيسة وقام باستقباله وأكرم وفادته في منزله العامر

بملابسهم الرسمية يرتلون أناشيد الفرح فاعترض البعض علي رفع الصليب جهاراً في القاهرة وذكروا هذا الحادث لسعيد باشا فاستدعي البطريرك وسأله عنه وعن الموجب لرفع الصليب جهاراً والسير في هذا الموكب الحافل فقال له: "هذا احتفال ديني معتاد وأما رفع الصليب فقد تصرح به من أيام حادثة سيدهم بشاي الشهير بالدمياطي في أيام الوالي العظيم محمد علي باشا. فصرف الباشا البابا من عنده بكل إكرام وحفاوة (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٣٩و١٤٠).

٢٧. تجديد بناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية

وأول عمل فكر فيه البابا كيرلس بعد عودته من بلاد الأحباش تجديد الكنيسة المرقسية بالأزبكية لأن البناء القديم لم يعد صالحاً للاجتماع فيه لضيقه وعدم ملاءمته لمركز الكرسي البطريركي فلما رأي البابا المصلح الكريم بأن المال متوفر لديه وأن الحاجة داعية إلي إقامة كاتدرائية عظمي تليق بمركز الرئاسة وترفع شأن الأمة أمام مسيحيِّي الطوائف الأخري لم يسعه سوي الاقدام علي نقض الكنيسة القديمة فشرع في وضع الحجر الأول في زاوية البناء يوم الخميس ٢٩ برمودة سنة ١٥٧٥ش الموافق ٦ مايو سنة ١٨٥٩م بحضور جميع رؤساء الطوائف وأعيان البلاد ورجال الحكومة وكان يوماً مشهوداً واحتفالا مشهوراً. واستمر البابا مجداً في اقامة هذا البناء العظيم حتى أدركته المنية ولم يعش حتى يحضر تدشينها (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٤٧).

٢٨. مساعى البابا فى ترقية شؤون الأقباط والمطالبة بحقوقهم

لاحظ البابا كيرلس بثاقب فكره أن بني القبط وهم سلالة المصريين القدماء الذين حافظوا علي نصرانيتهم لم ينالوا ما يستحقون من الترقي وحرموا من الوصول إلي مناصب الدولة العالية بسبب نصرانيتهم فانتهز فرصة صدور الفرمان السلطاني في ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦م القاضي بالمساواة بين عناصر الأمة دون النظر إلي معتقداتهم وديناتهم وطرق باب سعيد باشا عزيزمصر وطلب إليه صدور أمره الكريم بأن يتمتع الأقباط بكل الحقوق التي يتمتع بها اخوانهم المسلمون من حيث الترقي إلي الوظائف العالية فوعده خيراً وكان ذلك قبل سفر البابا إلي بلاد الأحباش.

"يقول البعض أني طلبت إلي الباشا أن يعفي أولادنا القبط من الخدمة العسكرية فحاشا لله أن أكون جباناً بهذا المقدار لا أعرف للوطنية قيمة أو أفتري علي أعز أبناء الوطن بتجردهم من محبة أوطانهم وعدم الميل لخدمته حق الخدمة والمدافعة عنه فليس هذا ما طلبته ولا ما أطلبه" (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٥٢ ــ ١٥٣).

ولما عاد من الحبشة رأي أن الأمير يماطل في تنفيذ أحكام الفرمان السابق ذكره فذهب إلي دير أنطونيوس ولبث نحوستة أشهر متشاغلا بعمارة مهمة أتمها هناك ولكنه كان يعمل علي اتحاد الكنائس حى يزول الانقسام وتتقوي كلمة البابا الوطني.

وقد استصحب معه في هذه الزيارة بطريرك الروم الأرثوذكس وكان من أعز أصدقائه. ولما شعر المسيو سباتيه قنصل فرنسا في مصر بمطالب البابا كيرلس عرض عليه استعداده لمساعدته فيما يختص بمساواة الأقباط بالمسلمين في الوظائف الحكومية علي شرط أن يتحصل علي تصريح من ملك الحبشة بدخول الرهبان اليسوعيين في بلاده والتوطن بها فتخلص منه هذا البابا الغيور بالاعتذار. (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٥٣ وتاريخ الأمة القبطية ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢).

٢٩. العمل على اتحاد الكنائس

وقد قام قداسة البابا كيرلس الرابع بمجهود للعمل علي اتحاد الكنائس التي لا تختلف في العقيدة عن الكنيسة القبطية بالعمل علي إزالة أسباب هذا الخلاف.

وكانت تجمعه ببطريرك الروم الأرثوذكس المدعو كلينيكوس مودة عظيمة حتى كان في ضيافته في دير القديس أنطونيوس. ولما دعت الحالة إلي قيام بطريرك الروم إلي الاستانة فوض إلي البابا كيرلس مباشرة أعمال بطريركيته وإدارة أشغالها حتى يعود من سفره.

ولما كانت مساعي البابا كيرلس في أمر الإتحاد أن تتكلل بالنجاح والتوفيق علم أمير البلاد بذلك فخشي أن يكون من وراء هذا الاتحاد تدخل الأجانب بوضع الكنيسة القبطية تحت حمايتهم فعمل علي الانتقام من البابا كيرلس ليحول بينه وبين العاملين معه علي الاتحاد. والمتواتر علي ألسنة الكتّاب أن هذه المساعي كانت علة موته (تاريخ كيرلس الرابع ص ١٥٤ و١٥٥ وتاريخ الأمة القبطية ص

٣٠. الكثلكة فى مدة رئاسته

وبالرغم عما حازته الكنائس الكاثوليكية في مصر من النفوذ بواسطة المعلم غالي وابنه باسيليوس بك في أيام البابا بطرس السابع فإن عمل هذا المصلح الكبير البابا كيرلس علي الاتحاد كاد يلاشي نفوذ الكنيسة الرومانية اللاتينية ولو أطال الله في عمره لما بقي واحد من بني القبط تابعاً لها (تاريخ كيرلس الرابع ص١٥٦).

٣١. لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد فإن دماء الشهداء بذار الكنيسة

قال السيد المسيح له المجد:"ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ١٠:٢٨).

وعملا بهذه الحكمة الغالية لم يرتع فؤاد البابا كيرلس الرابع من غضب الأمير سعيد عليه لسعيه في توحيد الكنائس والعمل علي رقي أبناء أمته المهضومة الحقوق بل وإلي مساعيه عاملا بلا انقطاع ولم يعقه عن عمله لا تغير خاطر الأمير ولا العمل علي موته الجسدي لأنه كان يعمل متكلا علي الله غير ناظر إلي أن حياته أصبحت معلقة علي إرادة مبغضيه بل إلي أن دمه سيكون بذاراً للكنيسة فتنمو وتتقوي وأن غرسه سيصير دوحة عظيمة (تاريخ كيرلس الرابع ص١٥٨).

فلقد رأي زمرة الملتفين حول أمير البلاد الذي كان ضعيفاً أن الرجل العظيم كيرلس الرابع سيكون واسطة ترقية القبط ورفع شأنهم ولا سيما لو نفذ بنجاح ما كان يسعي إليه من اتحاد الكنائس فعملوا علي قتله بأن وشوا للأمير في حقه وبنوا العلالي والقصور علي وشايتهم حتى تغير خاطر هذا الأمير عليه وصمم علي الانتقام منه. ودبروا دس السم له في القهوة فلم يقبل شربها معتذراً بالصوم لأنه سمعهم يتكلمون بالتركية التي كان يعرفها في هذا الشأن. ولما نجا وانصرف إلي قلايته حزينا اثر فيه الحزن ولذلك وجد العاملون علي قتله وسيلة لدس السم له في الدواء ورغم شدة حذره فقد وقع فيما يخشاه إذ احتال عليه صديقه ورتبات الأرمن والخواجا حنا مسره وأحضرا له طبيباً قالا له عنه إنه أمين ولكنه دس له السم في الدواء الذي لما تعاطاه شعر بأن المنية قد دنت ولم يعد في استطاعته دفعها فسلم الأمر لله قائلا: "خافوا فقط ممن يقتل النفس والجسد كليهما" وقد استدعي شقيقته

نور الاصلاح وفاز مبغضوه بما كانوا يتمنونه له (تاريخ كيرلس الرابع ص١٥٩ــ١٦٠).

٣٢. نياحة البابا كيرلس الرابع

فما جاءت ليلة الأربعاء ٢٣ طوبة سنة ١٥٧٧ش الموافق ٣٠ يناير سنة ١٨٦١م حتى قضي نحب البابا كيرلس الرابع مأسوفاً عليه ليس فقط من جميع أبناء أمته القبطية التي كانت تعلق عليه الآمال الكبيرة والذين قام بخدمتهم أجل الخدم، بل ومن جميع الذين عرفوه من القدم لأنه كان حاذقا نبيهاً ذا عناية شديدة بالمنقطعين وذوي البيوت من أمته ومن غيرها بلا فارق طلق اللسان. عارفاً بالتاريخ. مدققاً في علوم الدين المسيحي. ماقتاً للرشوة وذويها. غير مكترث بالمال وجمعه. قائما بأعباء وظيفته حق قيام.

ويعجز القلم عن وصف ما كان عليه من المحامد التي جعلت الكل يأسفون علي موته الجسدي لأنه كان رجلا مصلحاً وقديراً مقداماً بمعنى الكلمة عمل علي رفع شأن أمته من الحضيض وناضل عن حقوقها (الكافي جزء رابع ص ١٣٤ للعلامة ميخائيل بك شاروبيم).

٣٣. الاحتفال بجنازته ودفنه

وقد كان الاحتفال بجنازته مهيباً للغاية واشترك فيه كبار رجال الحكومة واكليروس الطوائف المسيحية علي اختلاف مذاهبها وكل ذي حيثية ومقام فبكاه الجميع من الكبير إلي الصغير ومن العظيم إلي الحقير.

وقام ورتبات الأرمن الأب كبريل برثائه باللغة التركية معدداً مناقبه ودفن في المقبرة الجديدة التي أعدها في حياته عند تجديد بناء الكنيسة المرقسية ولم يدفن فيها أحد وقتئذ وظلت الأمة القبطية تذكره بكل خير، لفرط محبته لها، وشدة حرصه علي تثقيف أولاد القبط ثقافة دينية وعلمية. كان لا يخشي في الحق لومة لائم. وكان يكره الطلاق ويحافظ بشدة علي سلامة العائلات القبطية. وكان لا يفتر عن اسداء النصح لتلاميذه في كل لحظة، والتنبيه عليهم بشدة بعدم بيع ذمتهم. عاملا علي ابطال عقود الأملاك، مجداً في تحديد سن الزواج. وكان منصفاً للمرأة في نصيبها الأرضي كما هو نصيبها في السماء والعمل علي ترقيتها. وأصلح

الجواب لا يخشي لومة أحد في الحق. كما كانت فضيلته عظمي في الرجوع إلـــي الحق مظهراً عدم عصمته من الخطأ.

كما بذل مجهوداً في إبطال ما تطرق إلي الكنيسة القبطية من الطقوس الغريبة عنها، ومحا النوافل والعوايد التي سببت الشك عند الكثيرين. وعمل علي احـــترام رجال الكهنوت وحفظ كرامتهم من كل شائبة، وترتيب المرتبات لهم وتعليمهم مـــا يجب لهم وعليهم.

البابا ديمتريوس الثانى
البطريرك (١١١)
١ خلو الكرسى واختيار البطريرك

بعد انتقال البابا كيرلس الرابع إلي دار البقاء ظل الكرسي بعده خالياً أكثر من سنة ولما طال الزمن علي هذا الخلو اجتمع الآباء مطارنة كراسي مصر وأورشليم ومنفلوط بالدار البطريركية مع أعيان الأمة القبطية لانتخاب خليفة البابا الراحـــل وقر رأيهم علي استدعاء الأنبا يؤانس مطران المنوفية إلي القـــاهرة للنظـــر فـــي موضوع اختيار البطريرك الجديد.

فاتفقت كلمة هؤلاء الآباء الثلاثة أن يوجهوا للأنبا يؤانـــس الرســـالة الآتيـــة المؤرخة ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦١م الموافق ٣ بابه سنة ١٥٧٨ش.

"مطلع شموس المعارف وقمرها. وكوكب طقوس الاكليروس وبدرها وغـــرة الأئمة المفضلة الروحيين. ونصرة الآباء المكملـــة المنتخبيـــن. مصبـــاح البيعـــة الأرثوذكسية وأمين الأسرار السامية القدسية ينبوع الفضائل الزاهرة وذو الخِـــلال النسكية البارعة قدس الأخ الحبيب.

المطران الأنبا يؤانس صاحب كرسي المنوفية

"لازال محفوظاً بالعناية الربية ملحوظاً بالمكارم السيدية. ولابـــرح مبتـــهجا بنجاح رعيته. مسروراً بطمانينة وهدو كرازته. بشـــفاعة الســـت مرتمريـــم ذات القدس والطهارة ومعدن العفة والبرارة. وطلبات الرسول الطـــاهر مـــار مرقـــس الإنجيلي كاروز الديار المصرية والأب الطوباني أبونا أنطونيوس كوكب البريـــة

"أما بعد القبلة الروحية الطاهرة. واهداء وجوب التكريمات اللائقة للحضـــرة الفاخرة. ثم نقدم السلام القلبي لأخوتكم. والشوق الحقيقي الوافر نحـــو محبتكـم. فالداعي للمراسلة (أولا) لافتقاد الخاطر الشريف الباهي. للود النقي والحب الإلهي. (ثانياً) نخبر قدسكم أنه قبل تاريخه في ١٩ توت سنة ١٥٧٨ش كتبنا لقدسكم خطاباً مفيده أنه بحسب الاقتضاء ستلزم الحال لحضور حضرتكم إلي المحروسة بالقلايـة البطريركية لأجل باجتماعنا بجمعية البطركخانة تصير المداولة والمراويـــة مـــع بعضنا بإرادة المسيح إلهنا يصير انتخاب من يريده الله تعالي بطريركـــا للطائفـــة بحضور حضرتكم. وأكدنا عنه سرعة حضوركم قبل بوقت لاتمام اللازم. ومـــن التاريخ المذكور لغاية هذا اليوم ونحن منتظرين تشريف القلاية بقدومكم. وحاصل منا غاية المراقبة لقدوم قدسكم لاجراء ما ذكر".

"وحيث صار تأخير حضوركم قدر كذا. فاقتضي تحرير هذا لاخوتكم علـــي قبول الاستعجال عنه بتشريف قدومكم لهذا الظرف بسرعة لاتمام ما سلف ذكـــره بحضورنا جميعاً بتدبير الهنا الصالح ونعمة ربنا يسوع المسيح تصحبنـــا جميعـــا والشكر لعظمته دائماً أبدياً أمين".

تحريراً في ٣ بابه سنة ١٥٨٧ش

أثناسيوس	باسيليوس	داعي صالح دعاكم
أسقف منفلوط	مطران القدس الشريف	بطرس مطران مصر

"وفي أثناء هذا تصادف ورود خطاب قدسكم رد ما أرسل لحضرتكـــم وبـــه تعتذرون عن عدم إمكانكم الحضور بداعي كثرة المياة وتقطيع الجســـور ولـــدي تلاوته بحضور حضرات أولادكم عمد الطائفة أعني جمعية البطركخانة فلم يقبلـوا ذلك وحرروا لقدسكم عن الحضور بما فيه الكفاية. ولأجل ذلـــك لـــزم التحشـــية. وحضر مسطره ولدكم القمص حنا يقبل أياديكم مع التماس صالح دعاكم وأطال الله بقاكم"

طالب دعاكم

ولدكم القمص حنا خادم

أنطونيوس

(صورة طبق الأصل المحفوظ بمكتبة الدار البطريركية)

٢ اختيار القمص ميخائيل رئيس دير أبو مقار للبطريركية

٣ رسامة البابا ديمتريوس الثانى

ثم تمت رسامة القمص ميخائيل باحتفال عظيم بطريركا باسم البابا ديمتريوس الثاني البطريرك (١١١) في ٩ بؤونة سنة ١٥٧٨ش الموافق ١٥ يونية سنة ١٨٦٢م في أواخر حكم سعيد باشا (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣).

زيارة البابا ديمتريوس الثانى للجانب العالى

وبعد الانتهاء من حفلة تقليد البابا ديمتريوس زار الجناب العالي محمد سعيد باشا وكبار رجال الدولة فقال له الوالي عند أول مقابلة له: "لا تفعل مثل سلفك بل كل ما يلزم لك قل لي عليه وأنا مستعد لتاديته لك" فقدم الشكر لجنابه ودعا له بكل الخير وعاد إلي قلايته مجبور الخاطر (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٢٣).

٤ . تكميل بناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية

وبعد ذلك شرع قداسة البابا ديمتريوس في تكميل عمارة الكنيسة الكبري التي قام بتشييدها سلفه الطاهر علي اسم كاروز الديار المصرية مار مرقس البشير حتى تمت علي نظامها الحالي (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٢٣).

إدارة المدارس القبطية والاهتمام بترقيتها

وقد قام البابا ديمتريوس بتنشيط حركة التعليم والأخذ بناصر المدارس التي أنشأها البابا كيرلس سلفه وعمل علي تحسينها (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣ "أ").

٥ . وفاة محمد سعيد باشا وتولية الخديوى إسماعيل باشا

وقد توفى محمد سعيد باشا في ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩هـ ١١ طوبه سنة ١٥٧٨ش واحتفل بجنازته واودع جثمانه في مقبرته الخاصة التي أعدها في حياته بجانب مسجد النبي دانيال بالإسكندرية.

وتولي بعده الخديوي إسماعيل باشا في ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ ١٨ يناير سنة ١٨٦٣م فنال القبط في أيامه مما لم ينالوه في أيام غيره ولا سيما بالنظر لكثرة مصالحه واحتياجه لعمال أكفاء يقومون بتأدية أعمالها الجسيمة (تاريخ الأمة القبطية ص ٣٢٣).

٦. انعام الخديوى إسماعيل بالأراضى الزراعية على المدارس القبطية

وقد توفر الحظ للبابا ديمتريوس الثاني بعد ما تولّي إسماعيل باشا عرش مصر بالانعام من لدن الحضرة الخديوية الفخيمة بجملة من الأراضي الزراعية للقيام بلوازم البطريركية ومدارسها وأصدر أوامره الكريمة لنظارة المعارف العمومية بالقيام بإجراء امتحان طلبة المدارس القبطية بعد امتحان المدارس الأميرية كالرسوم الجارية بها وذلك بأن يصير الامتحان باحتفال عظيم يدعي إليه في كل عام كرام القوم والعلماء والأمراء الأمر الذي أصبحت المدارس القبطية تفخر به في كل زمان.

٧. زيارة السلطان عبد العزيز لمصر ومثول البطريرك ديمتريوس بين يديه

ودعا الخديوي إسماعيل باشا السلطان عبد العزيز العثماني لزيارة القطر المصري في سنة ١٨٦٣م. ولما وصل السلطان إلي الأراضي المصرية قام الخديوي إسماعيل بإعداد الاحتفالات اللازمة لاستقبال هذا العاهل الكبير ودعا العلماء والوزراء والآباء الروحيين ووجوه الأمة وقناصل الدول وأعيان الأجانب ليحظوا بالمقابلة السلطانية، وعيّن الخديوي لهذه المقابلة يوم الجمعة العظيمة للمسيحيين الأرثوذكسيين.

وكانت العادة السلطانية في ذاك العهد أن من يدعي للمثول بين يدي السلطان يقبل طرف ثيابه. فلما جاء دور البابا ديمتريوس الثاني تقدم تسواً ولثم صدر السلطان فانزعج السلطان من هذه الحركة المخالفة للبروتوكول ودهش الحاضرون من هذا الفصل وعدوا ذلك جسارة كبيرة من سيادة البابا.

ولما سئل في أثناء وجوده بالحضرة السلطانية عن معني التقبيل الغريب الذي لم يسبقه فيه أحد، أجاب البابا قائلا: "إنما أنا أقبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين، لأنه ورد في كتابنا المقدس: إن قلب الملك في يد الرب" (أم٢١:١) وكان يصحب البابا معه في هذه الحفلة القمص سلامه وكان يعرف التركية فقام بترجمة كلام البطريرك فلما سمعها السلطان ابتسم سروراً، وأنعم بألف فدان من أملاك الحكومة للمدارس القبطية وذلك غير الخمسمائة فدان الكائنة في الشرقية، وأنعم بها علي الأمة القبطية الخديوي إسماعيل باشا (كتاب ١٥ تاريخ ص٣١٣"!")

٨. العمارات التى أقامها البابا ديمتريوس

بعد أن أكمل البابا ديمتريوس بناء قباب سقف الكتدرائية الكبري وأتم إقامة كل مبانيها، بني ايضاً الشقة الغربية بالدار البطريركية. كما أكمل ما كان قد تركه ناقصاً من العمارة في أيام رئاسته لدير "أبو مقار" في عزبة الدير بأتريس (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣"أ").

٩. زيارة البابا ديمتريوس للأقاليم القبلية والقضاء على الشيعة البروتستانتية

وبعد ذلك بلغ إلي مسامع البابا ديمتريوس أن بعضاً من الأمريكيين بثوا في الأقاليم القبلية روح التعاليم البروتستانتية، وأن بعضاً من قومه مالوا إلي حركتهم ونبذوا عقائدهم الأرثوذوكسية، وتيقظت الحكومة المصرية لهذه الحركة الأجنبية، وأمر الخديو إسماعيل باشا بإعداد باخرة حكومية لنقل البابا في هذه الرحلة. فسار البابا بنفسه علي هذه الباخرة يصحبه فيها العلامة الشهير اللاهوتي الكبير الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبري. وزار جميع مدن وبلاد وكنائس الوجه القبلي إلي آخر الحدود المصرية. واستمر في هذه الرحلة المباركة ثلاثة أشهر حتى قضي علي هذه الحركة الدينية المخالفة لعقيدة الكنيسة القبطية، ورد إلي حظيرتها الذين غرهم أولئك المخالفون، وعاد مكرماً إلي مقر كرسيه. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣ "أ").

١٠. وصف إجمالى للبابا ديمتريوس وأعماله المباركة

قال المؤرخ القبطي القدير والعلامة الشهير ميخائيل بك شاروبيم صاحب تاريخ الكافي عن البابا ديمتريوس الثاني في كتابه الجملة الذهبية الآتية:

"كان (البابا ديمتريوس) شهماً عاقلاً محباً للعلوم. فاعتني بترتيب المدارس وبالغ في وضعها علي النحو الذي نحاه كيرلس مؤسسها فأعانه الخديوي علي ذلك وأقطع للمدارس أرضاً واسعة فأوقفت علي عمارتها وتوسيع نطاق العلوم فكانت لها أعظم عضد". (الكافي جزء رابع ص ١٧٧).

نياحة البابا ديمتريوس الثانى

وقد انتقل البابا ديمتريوس الثاني من هذا العالم الفاني إلي دار الخلود في ليلة

واحتفلت الأمة القبطية بجنازته، وشاركتها في هذا الحكومة المصرية وسائر الطوائف المسيحية وأعيان البلاد المصرية. ودفنت جثته بجانب البابا المثلث الرحمة كيرلس الرابع بداخل المقبرة التي شيدها هذا الأخير.

وظل الكرسي بعده خالياً مدة أربع سنوات وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما لتأخير الحكومة في إصدار الأمر برسامة خليفته.

وأختير للقيام بإدارة الكرسي الإسكندري والنظر في شؤون البطريركية الأنبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣"أ").

مشاهير رجال القبط
فى الجيل التاسع عشر

(١) وهبه بك الجيزاوى (٢) تادرس أفندي عريان (٣) دميان بك جاد (٤) عريان بك تادرس واخوته (٥) سعد بك ميخائيل عبده (٦) يعقوب بك نخله روفيله (٧) مرقس بك يوسف (٨) إبراهيم بك نخله وشقيقه صالح نخله (٩) إبراهيم جرجس لوريا.

أولئك هم الأشخاص البارزون في عهد البابا كيرلس الرابع والبابا ديمتريوس الثاني وأوائل عهد البابا كيرلس الخامس والذين امتازوا بتأدية الخدمات الممتازة لأمتهم القبطية خاصة والمصرية عامة وسنأتي بذكر مختصر حياة كل منهم بإيجاز تخليداً لذكراهم العاطرة.

١ . وهبه بك الجيزاوى

كان وهبه بك الجيزاوي من كبار رجال الأمة القبطية، كما كان من أعاظم رجال الحكومة المصرية. فقد شغل بجده واجتهاده وظيفة رئيس كتاب وزارة المالية، كما اشتغل في حركة الكنيسة الاصلاحية. وقد كان من معضدي الأنبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية. وقد سعي بكل جهده ونفوذه في سبيل ترشيحه للكرسي البطريركي بعد نياحة مثلث الرحمة البابا ديمتريوس الثاني، ولكنه فشل في مهمته، إذ انبري لمقاومته الأنبا يؤانس الكبير مطران المنوفية وقضى على آماله.

٢. تادرس عريان أفندى وأولاده

كان تادرس أفندي عريان من كبار رجال الدولة المعدودين فقد كان رئيساً لديوان المالية. وهو من أعيان بلدة أم خنان. وقد اعتني المرحوم والده بتربيته وتعليمه حتى أصبح من ذوي المؤهلات العالية، حتى تمكن من الوصول إلي أعظم المناصب في الحكومة المصرية بالقاهرة والخرطوم. وكان من معضدي انتخاب البابا كيرلس الرابع، ومن الذين أدوا خدمات كبيرة لأمته القبطية. فإنه رغماً عن كثرة الأعمال التي كان يقوم بها في دواوين الحكومة المصرية، فقد كان يهتم بمصالح أمته وكنيسته. كما أنه لم ينس أن يغمر فقراء الأمة باحساناته، فأوقفَ عليهم جانباً من أطيانه وأملاكه وقد رزقه الله أربعة أولاد كانوا من كبار أمته وهم عريان بك تادرس وباسيلي باشا تادرس وسيدهم أفندي تادرس وكركور أفندي تادرس.

٣. عريان بك تادرس وأخوته

إن أولاد المرحوم تادرس أفندي عريان كانوا معدودين من أكابر الأمة القبطية ومن أعاظم رجال الدولة. فقد كان عريان بك تادرس رئيس كتاب وزارة المالية المصرية، كما كان من رجال الأمة المشهود لهم بالأعمال النافعة. وقد كان رجلا باراً تقياً محباً للفقراء والمساكين. وقد انتقل إلي رحمة مولاه في سنة ١٨٨٨م.

وكان شقيقه باسيلي باشا تادرس رئيساً فخرياً للمحاكم المختلطة، بعد أن شغَلَ مدة طويلة وظيفة مستشار في محكمة الاستئناف الأهلية. وكان من رجال الحركة الاصلاحية لأمته القبطية.

وكان سيدهم أفندي تادرس من رجال الأعمال المالية. فقد تمم دراسته العلمية بمدارس الفرير بالخرنفش، فاشتغل في الأعمال الحرة وكان من كبار موظفي البنوك الأجنبية.

وأما الأخ الرابع كركور أفندي تادرس فكان من المشتغلين بالأعمال الزراعية وإدارة أطيانه التي ورثها عن أبيه تادرس أفندي وكان معدوداً من أثرياء المصريين.

الحكومة المصرية في عهد الخديوي اسماعيل باشا. وقد كان من رجال البابا كيرلس الرابع فكان من المهتمين في أيامه بتشييد كنيسة الملاك غبريال بحارة السقايين والمدرسة القبطية بهذا الحي.

وكانت له اليد الطولي في الأعمال الخيرية. كما كان من بين الرجال الذين نهضوا بحركة الإصلاح.

وكان مهتماً بتلاميذ مدرسة حارة السقايين وكسوتهم. وقد انتقل من هذا العالم متمماً واجباته في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٢م.

٥. يعقوب بك نخله روفيله

كان يعقوب بك نخله روفيله من تلامذة البابا كيرلس الرابع. فقد تلقي دراسته في كلية الأقباط الكبري في أيام هذا الحبر العظيم. وبعد أن تمم دراسته وتخرج من هذه الكلية، شغل وظيفة ناظر مدرسة الأقباط بحارة السقايين. وبعد ذلك اختارته الحكومة المصرية ليشغل احدي الوظائف الرئيسية بمصلحة السكك الحديدية المصرية. وكانت له اليد الطولي في الحركة الإصلاحية القبطية. وأسس مدرسة قبطية بالفجالة تنفيذاً لبرنامجه الإصلاحي وقد كانت هذه المدرسة الحجر الأساسي لمدارس جمعية التوفيق القبطية فقد كان من كبار مؤسسي هذه الجمعية المركزية الإصلاحية الخيرية بالقاهرة.

وقد خلد هذا الرجل العظيم والمؤرخ القدير ذكراه بالتاريخ المدني الذي ألفه عن الأمة القبطية، والذي لم يسبقه فيه أحد من الأقباط في عصره، والذي لم يزل حجة يستشهد بموارده الباحثون ومرجعاً صحيحاً للمشتغلين بالتاريخ القبطي.

وقد كان في آخر أيامه مديراً لسكك الحديد الضيقة بالفيوم وعضواً عاملاً ورجلاً نافعاً لإيبارشية الفيوم القبطية.

وقد أحسن تربية أولاده تربية صحيحة وكان بكره نخله يعقوب من كبار موظفي السكك الحديدية المصرية لأنه تخصص في أوربا في أعمال السكك الحديدية.

٦. مرقس بك يوسف

كان مرقس بك يوسف من كبار أعيان القبط في طنطا. والتحق بخدمة الحكومة المصرية فوصل بجده إلي وظيفة رئيس كتاب مديرية الغربية.

بناء كنيسة طنطا القبطية، واليد الطولي في إيقاف الأطيان القيمة علـــي الكنيســة والمدرسة والأعمال الخيرية.

وكان رحمه الله صديقاً حميماً للايغومانوس فيلوثـــاوس رئيـــس الكاتدرائيـــة الكبري بالأزبكية. ولم يزل اسمه في كل حين مذكوراً بين رجال الأمـــة القبطيـــة الخالدي الذكر.

٧. إبراهيم بك نخله وشقيقه صالح نخله

إن إبراهيم بك نخله وأخاه صالح نخله يعدان من رجال الأمة القبطية المشهود لهما بعظم الخدمات الجليلة التي قدماها إلي أمتهما القبطية في الثغر الإسكندري.

وهما ولدا المعلم نخله إبراهيم كاتم أسرار السيد شريف باشا الكبير والمشرف علي أعماله. وقد تقدم شرح سيرته في عصر البابا بطرس السابع.

وقد ربي المعلم نخله كل أولاده التربية المسيحية الحقـــة، وعلمـــهم الكتابـــة والحساب ومسك الدفاتر والانشاء فضلاً عن اللغة القبطية والإلمام الصحيح بالدين المسيحي، حتى برعوا في هذه العلوم براعة ممتازة أهلتهم للقيام بالأعمال العامـــة والخاصة علي الوجه المرضي.

وقد امتاز من بين أولاد المعلم نخله الثلاثة ابنه البكر إبراهيم نخلـــه وابنـــه التالي صالح نخله. فالتحق إبراهيم نخله بإدارة شئون دائرة الرجل المثري الشـــهير الكونت زغيب الكبير في الثغر الإسكندري.

والتحق أخوه صالح نخله بخدمة القطاوية بالثغر الإســـكندري حيـــث شـــغل وظيفة باشكاتب البنك القطاوي. ولكنه ترك هذه الوظيفـــة حيـــث عيـــن رئيســـاً لحسابات دائرة الأمير فاضل باشا في الثغر الإسكندري. ثم انتقل بعد ذلك رئيســـاً لحسابات الدائرة البلدية.

وكان هذان الأخان من رجال النهضة والإصلاح في الأمة القبطية. كما كانـــا من أكبر الذين جاهدوا في سبيل ترقيتها وحفظ كيانها ووحدتها وأوقافها.

فتصدر الأخان لتشييد كاتدرائية عظيمة بالثغر الإسكندري تليق بمقام القديـــس العظيم مار مرقس البشير كاروز الديار المصرية، وتقام فـــوق مقبرتـــه الخـــالدة الذكر. وقد عاونهم في تحقيق هذه المهمة الخطيرة أخوانهم أبناء الأمة القبطية فـــي الثغر الإسكندرية وحفظ كرامة صاحبه.

وخريجيها. وكانت لها المكانة الأولي بين مدارس الإسكندرية حيث لم يكن وقتئذ في هذا الثغر مدارس مصرية سوي مدرسة رأس التين الأميرية. وقد تعلم فيها أبناء الأمة المصرية علي اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ونبغ خريجوها النبوغ الفائق الحد علي يد كبار الأساتذة، حتى ذاع صيتها واشتهر أمرها، فأقبل عليها أبناء الطوائف الأخري الأجنبية. وكانت نظارة المعارف تشرف سنوياً علي امتحاناتها. ويتصدر وزيرها الإحتفال السنوي الذي كانت تقيمه إدارة المدرسة.

وقام الأخان أيضاً بتنظيم وتعديل بناء الدار البطريركية، وإقامة طابق علي هذه الدار خصصاه ليكون قصراً بطريركياً في الثغر الإسكندري، وينزل فيه قداسة البابا عند تشريفه الإسكندرية. فقاما بإعداده وفرشه بما يليق بمقام الأمة والمركز البطريركي، لأنه المكان الرسمي الأصلي لبابا الإسكندرية.

وكان البابا ديمتريوس الثاني والبابا كيرلس الخامس يشملان بعطفهما وبركتهما هذين الأخين، ويشجعانهما علي نشاطهما في خدمة الأمة القبطية وأوقافها التي ازدهرت ونمت علي أيديهما. فأقاما الدوائر العالية علي الأرض المرقسية الفسيحة حتى نالت إعجاب ودهشة الجميع، حتى الجاليات الأجنبية.

ولما رأي البابا كيرلس الخامس نجاح الأخين إبراهيم وصالح في أعمالهما الطائفية، عين الأخ الأكبر إبراهيم نخله ناظراً علي الأوقاف المرقسية ومدرستها، وشقيقه صالح نخله ناظراً علي الكنيسة المرقسية، اعترافاً منه لهما بالجهود الصادقة التي بذلاها في سبيل خدمة أمتهما وتوسيع دائرة أوقافها التي نمت نمواً عظيماً وازدهرت إيراداتها.

وقد انتقل إلي رحمة مولاه الأخ الأصغر صالح نخله بمدينة المنصورة في سنة ١٨٨٧م في أثناء وجوده بها تبديلا للهواء. وكان البابا كيرلس الخامس يعزه إعزازاً كبيراً، ويخصه بحبه الأبوي، حتى أنه لما بلغه خبر وفاته حزن عليه حزناً شديداً. واعترافاً بفضله وتخليداً لذكراه جمع البابا بين يدي أخيه الأكبر إبراهيم نخله إدارة شئون الأوقاف والمدرسة والكنيسة والصرف عليها.

وبمجرد أن استلم إبراهيم نخله هذه الأوقاف نمت علي يديه، واتسعت دائرتها، وصارت تدر إيرادات قيمة فارتفعت قيمتها من مائة جنيه إلي ثلاثة آلاف جنيه في سنة. كما قام بتصقيع ورفع قيمة الأحكار واستبدالها حتى وصلت قيمة المستبدل ما يزيد عن العشرين ألف جنيه

وكان إبراهيم نخله يقوم بدور كبير هام في ساحة الإصلاح رغم شيخوخته فقد كان حركة نشاط عظيم في حادث الخلاف الذي قام بين البابا كيرلس الخامس والمجلس الملي منذ تبوئه علي الكرسي المرقسي إلي سنة ١٨٩٢م حين بلغ الخلاف أشده. وقد كان مركز الحركة وقتئذ في الثغر الإسكندري لمناسبة المصيف وانتقال الهيئة الحاكمة ورجال الدين من العاصمة القاهرية إلي هذا الثغر.

واشتدت الأزمة بين الطرفين فكان إبراهيم نخله حركة نشاط بينهما للتوفيق حتى أنه كان أول من خاطب سعادة بطرس غالي باشا بعد عودته من أوربا بخصوص هذا الخلاف حيث كانت له منزلة خاصة ممتازة عند سعادته.

ولما تم الصلح بين البابا ورجال الأمة وعاد البابا كيرلس الخامس والأنبا يؤانس مطران البحيرة ووكيل الكرازة وقتئذ من النفي، وحضرا إلي الثغر الإسكندري لتقديم واجب الشكر للقديس مار مرقس الإنجيلي الذي بواسطته قبل الرب أن يعود السلام ليرفرف بأجنحته علي رعاة ورعية المسيح له المجد، أقام إبراهيم نخله الزينات الفاخرة لاستقبالهما كما أقيمت الحفلات العظيمة اللائقة بمقام هذا البابا العظيم.

وقد عينت حكومة المملكة البرتغالية وقتئذ إبراهيم نخله سكرتيراً شرفياً لقنصليتها العامة بالثغر الإسكندري، كما أنعمت عليه الحكومة البرتغالية بمناسبة زيارة ملكة البرتغال للديار المصرية بنيشان رفيع الشأن. وكذلك أنعم عليه الجناب العالي الخديوي في هذه المناسبة بالنيشان المجيدي.

وتقديراً لأعماله الطائفية العظمي وخدماته الوطنية التي أداها للمدينة، أنعمت عليه الحكومة المصرية برتبة البكوية.

ولم يتأخر إبراهيم بك نخله عن مد يد المساعدة للأعمال التي كان يقوم بها صاحب العزة أرمانيوس بك حنا مدير الإدارة البطريركية بالقاهرة، فقام بنفقة فرش أرضية الكنيسة وأرصفتها بالرخام الإيطالي علي نفقة أوقاف الإسكندرية.

ولما لاحظ إبراهيم بك ضيق المدرسة القبطية بالثغر، وعدم ملاءمة مبانيها، عزم علي تشييد بناء فخم بيداجوجي كبير يناسب مركز الأمة القبطية في جنينة الوقف بأرض المرقسية. فقام بإعداد الرسومات الحديثة اللائقة لهذا المعهد العلمي، واستحضر مواد البناء ليقوم بوضع الحجر الأساسي بعد عيد فصح سنة ١٩٠٦م،

سبت النور الموافق ١٤ إبريل سنة ١٩٠٦م، وهو متمتع بصحة تامة وقد أدّي صلاة الجمعة الكبيرة في الكنيسة المرقسية مع اخوانه وأفراد عائلته.

ولما انتشر خبر الوفاة في الثغر الإسكندري والعاصمة المصرية حزنت عليه الأمة القبطية والمواطنون للمنزلة الكبري التي كانت له عند الجميع.

واحتفلوا بتشييع جنازته احتفالاً شعبياً فخيماً يليق بمقامه السامي، ويتفق مع مركزه الكبير، اعترافاً بفضله في الأعمال الجليلة القدر التي أداها أثناء حياته وخلدت له الذكر الحسن في كل مكان. وما أبلغ ما قاله في تأبينه صديقه صاحب العزة فرنسيس بك غبريال عميد القبط بالثغر الإسكندري تقديراً للراحل الكريم واعترافاً بفضله تلك الجملة الخالدة: "لو عملت لك الأمة تمثالاً لما كافأتك علي جليل خدماتك لها".

٨. إبراهيم روفائيل الطوخى بك

لاهوتى شهير ولد في بلدة طوخ النصاري من أعمال المنوفية يوم الإثنين ١٥ نوفمبر ١٨٣٦م وتنقل في دوائر الحكومة ووظائفها إلي أن عيّن مستشاراً في محكمة الإستئناف الأهلية وتوفي بالقدس الشريف في يوم خميس العهد ٢٩ برمهات سنة ١٦٢٠ش الموافق ٧ إبريل سنة ١٩٠٤م.

كان عضواً في المجلس الملي الأول سنة ١٨٧٣م ووضع مع أعضائه في تلك السنة لائحة بنظام وحدود المجلس وواجباته واختصاصه. وأعيد انتخابه عضواً في المجلس الملي سنة ١٨٩٢م.

ووضع ستة مؤلفات دينية في مواضيع مختلفة ووقف علي طبع كتاب تفسير سفر الرؤيا لابن كاتب قيصر واستدرك ما وقع فيه من الخطأ.

وأوقف للفقراء وللكنيسة المرقسية الكبري بالأزبكية حصة بمقدار قيراط في أطيان مقدارها ١٠٨ أفدنة و١٢ قيراط و٤ أسهم بناحية أبي الخضر من أعمال مديرية البحيرة.

فهرست

		صفحة
	مقدمة الطبعة الثانية	١
	تصـــــــــدير	٣
	مصـــــادر الكتاب	٣
	البابا بطرس السادس البطريرك (١٠٤)	٥
١	عائلته وموطنه وتربيته	٥
٢	رهبنته في دير القديس أنطونيوس	٥
٣	رسامته قساً ورئيساً لدير القديس بولا	٥
٤	اختياره للبطريركية	٦
٥	رسامة البابا بطرس السادس	٦
٦	زيارة البابا بطرس للوجه البحري	٧
٧	قيام الفتنة في مصر	٧
٨	اضطهاد المعلم لطف الله وقتله	٧
٩	زيارة البابا للثغر الإسكندري	٨
١٠	قيام البابا بطرس بإخفاء رأس القديس مرقس	٨
١١	زيارة البابا للوجه القبلي	٨
١٢	إرسال مطران للمملكة الحبشية	٩
١٣	أعماله مدة رئاسته	٩
١٤	المعلم مرقوريوس الشهير بديك أبيض	٩
١٥	إبطال الطلاق عملاً بالكتب المقدسة والقوانين الكنسية	١٠
١٦	أخلاق البابا بطرس السادس	١٠
١٧	نياحة البابا بطرس السادس	١١
١٨	شوطة الوباء بمصر عقب نياحة البابا	١١
	البابا يؤانس السابع عشر البطريرك (١٠٥)	١٢
١	موطنه ومحل ميلاده	١٢
٢	رهبنته وإقامته قساً	١٢
٣	اختياره للبطريركية	١٢
٤	إقامته بطريركاً باسم البابا يوأنس السابع عشر	١٣

		صفحة
٧	زيادة الجوالى على النصاري فى عهده	١٤
٨	حدوث الغلاء والزلازل في البلاد	١٤
٩	حال المصريين عموماً والقبط خصوصاً في عهد الدولة العثمانية	١٤
١٠	بعثة المرسلين الكاثوليك ومنع تعديها علي حقوق البطريرك	١٦
١١	صورة الحجة الشرعية ضد المعتدين علي القبط	١٧
١٢	تعسف بعض كبار المشايخ ضد القبط	١٨
١٣	تعيين مطران قبطى للمملكة الحبشية	١٨
١٤	حدوث فتنة في مصر	١٩
١٥	انتقال البابا يوأنس من العالم	١٩
١٦	حدوث تغيير جوي شنيع بعد نياحة البابا	٢٠
	البابا مرقس السابع البطريرك (١٠٦)	٢٠
١	موطنه وعائلته	٢٠
٢	رهبنته واختياره للبطريركية	٢٠
٣	إقامته بطريركا باسم البابا مرقس السابع البطريرك (١٠٦)	٢١
٤	حالة البلاد في أيامه	٢١
٥	منع الأقباط من زيارة بيت المقدس في عيد القيامة	٢١
٦	فشل الكاثوليك في ضم الكنيسة القبطية إلي الكنيسة الرومانية	٢٣
٧	ذكصولوجية واطس تقال وقت حضور البابا مرقس السابع	٢٤
٨	رسامة مطران لأثيوبيا ورسامة مطران علي الوجه القبلي	٢٤
٩	استراحة البابا في دير العدوية بضواحي مصر	٢٤
١٠	نياحة البابا مرقس السابع في دير العدوية	٢٥
	نقل جثمان البابا إلي مصر في دير القديس مارجرجس	٢٥
١١	الاحتفال بجنازة البابا من دير مارجرجس إلي دير القديس مارقوريوس	٢٥
	البابا يوأنس الثامن عشر البطريرك (١٠٧)	٢٦
١	موطنه وعائلته	٢٦
٢	رهبنته	٢٦
٣	ترشيحه للبطريركية	٢٧
٤	رسامة الراهب يوسف بطريركا باسم البابا يوأنس الثامن عشر	٢٧
٥	أخلاق البابا يوأنس ووداعته	٢٧
٦	الشدائد التي قاساها في مدة رئاسته	

		صفحة
٧	المعلم لطف الله أبو شاكر ناظر دير القديس أنطونيوس	٢٨
٨	تجديد مساعى الكاثوليك لضم الكنيسة القبطية	٢٩
٩	مشروع خطاب معروض من بابا روميه	٢٩
١٠	صورة الرد على دعوة بابا روميه	٣٠
١١	فشل مساعي الكاثوليك في مصر	٤٢
١٢	مشاهير الأقباط في عهده	٤٣
١٣	المعلم رزق كبير المباشرين	٤٣
١٤	المعلم إبراهيم الجوهري كبير المباشرين	٤٥
١٥	المعلم واصف من كبار الكتاب المباشرين	٥١
١٦	حالة البلاد في هذا العصر والمصائب التي حلت بالنصاري واليهود	٥١
١٧	عمل الميرون المقدس	٥٢
١٨	حدوث وباء في مصر وعودة الأمراء والمعلم إبراهيم الجوهري	٥٢
١٩	انتقال البابا يوأنس الثامن عشر من هذا العالم	٥٣
	البابا مرقس الثامن البطريرك (١٠٨)	٥٣
١	موطنه وتاريخ ميلاده وتربيته	٥٣
٢	رهبنته	٥٣
٣	اختياره للبطريركية	٥٣
٤	عهد البابا مرقس الثامن	٥٤
٥	سوء معاملة إبراهيم بك ومراد بك للأهالي والأجانب	٥٤
٦	الحملة الفرنسية على مصر	٥٤
٧	نقل الكرسي البطريركي إلى الأزبكية	٥٧
٨	تشييد كنيسة القديس مرقس البشير بالأزبكية	٥٨
٩	حريق كنيستي حارة الروم	٥٩
١٠	حرب الفرنسيين بمصر وثورة القاهرة	٥٩
١١	رسالة رعوية من البابا مرقس الثامن	٦٠
١٢	رسامة الأساقفة والمطارنة	٦٣
١٣	نياحة البابا مرقس الثامن	٦٤
١٤	مشاهير الرجال في هذا العهد:	٦٤
	الأنبا يوساب الأبح أسقف كرسي جرجا وأخميم	٦٤

		صفحة
	الجنرال يعقوب حنا القبطي	٧٨
	البابا بطرس السابع البطريرك (١٠٩) الشهير بالجاولي	٨١
١	محل ميلاده ونشأته	٨١
٢	رهبنته	٨١
٣	ترشيحه لمطرانية المملكة الحبشية ورسامته مطراناً عاماً	٨١
٤	اختيار أنبا ثاوفيلس لرئاسة الكرسي الإسكندري	٨٢
٥	رسامة الأنبا ثاوفيلس بطريركا باسم بطرس السابع	٨٢
٦	فضائله وصفاته الحميدة	٨٣
٧	نية عملة الميرون المقدس	٨٣
٨	رفع الصلوات من أجل التجارب والأحزان	٨٣
٩	الدسائس التي حلت في عهده بكبار القبط انتقاماً للمعلم جرجس الجوهري	٨٤
١٠	خيانة المعلم غالي لكنيسته القبطية الأرثوذكسية	٨٧
١١	زيارة البابا بطرس لدير أنبا أنطونيوس بالجبل	٨٧
١٢	وصول بعثة حبشية بطلب مطران	٨٧
١٣	الزيارة الثانية لدير أنطونيوس العظيم	٩٠
١٤	تصريح الحكومة بعمارة دير مار مرقس بالإسكندرية	٩٠
١٥	عودة البابا بطرس السابع من دير أنطونيوس	٩١
١٦	عناية البابا بالقدس الشريف وإرسال الهدايا البطريركية	٩٢
١٧	زيارة البابا بطرس للثغر الإسكندري	٩٤
١٨	نياحة الأنبا أثناسيوس أسقف أبو تيج	٩٥
١٩	نياحة الأنبا متاؤس أسقف البهنسا والفيوم	٩٥
٢٠	عمل الميرون المقدس	٩٥
٢١	تجديد كرسي النوبة	٩٧
٢٢	شفاء زهري هانم علي يد الأنبا سرابامون	٩٨
٢٣	زيادة مياه النيل بصلوات البابا بطرس	٩٩
٢٤	انبثاق النور علي يدي البابا بطرس بالقدس	١٠٠
٢٥	رسامة الآباء المطارنة والأساقفة في عهده	١٠١
٢٦	المملكة الحبشية والكنيسة القبطية	١٠١

		صفحة
٢٩	مشاهير الرجال في عهده:	١١٦
	شهيد دمياط ورفع الصليب جهاراً	١١٦
	القديس الأنبا صرابامون أسقف البحيرة والمنوفية	١١٧
	المعلم نخله إبراهيم	١٢٤
	الأقباط في عهد محمد علي	١٢٦
	البابا كيرلس الرابع البطريرك (١١٠)	١٢٧
١	مولده ونشأته	١٢٧
٢	رهبنته	١٢٨
٣	رئاسته لدير أنطونيوس	١٢٨
٤	فتح مدرسة لتعليم الشبان في بوش	١٣٠
٥	إنشاء مكتبة في عزبة بوش	١٣٠
٦	سفره لأول مرة إلى الحبشة	١٣٠
٧	النزاع على الكرسي المرقسي	١٣٣
٨	تزكية للقمص داود الأنطواني (الصومعي)	١٣٥
٩	تزكية أخري للقمص داود	١٣٧
١٠	الترخيص رقم ٦٨٩	١٤٠
	ماذا كانت وظيفة المطران العام	١٤٠
١١	نشر التعليم بين أبناء الأمة القبطية	١٤٢
١٢	نص ترس البركة الصادر من البابا كيرلس الرابع	١٤٢
١٣	منشور إصلاحي من الأنبا كيرلس المطران العام	١٤٧
١٤	اهتمام الأنبا كيرلس المطران بإنشاء أول معهد للتعليم	١٤٧
١٥	رسامة الأنبا كيرلس بطريركاً	١٤٧
١٦	تجديد أسقفية مصر في أول عهده	١٤٨
١٧	نشر التعليم بين أبناء الأمة القبطية	١٤٩
١٨	اهتمام البابا كيرلس بأمر تعليم اللغة القبطية والألحان الكنسية	١٤٩
١٩	استعمال التاريخ القبطي	١٥٢
٢٠	رسامة المطارنة والأساقفة في عهده	١٥٢
٢١	اهتمامه بالأوقاف القبطية وديوان البطريركية	١٥٣
٢٢	المكتبة البطريركية الثمينة	١٥٣

		صفحة
٢٥	عودة البابا إلى القاهرة والاحتفال بقدومه	١٥٦
٢٦	زيارة البابا لكنيسة حارة الروم ورفع الصليب أمامه	١٥٦
٢٧	تجديد بناء الكنيسة المرقسية الكبري بالأزبكية	١٥٧
٢٨	مساعي البابا في ترقية شئون الأقباط	١٥٧
٢٩	العمل على اتحاد الكنائس	١٥٨
٣٠	الكتلكة في مدة رئاسته	١٥٩
٣١	لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد	١٥٩
٣٢	نياحة البابا كيرلس الرابع	١٦٠
٣٣	الإحتفال بجنازته ودفنه	١٦٠
	البابا ديمتريوس الثاني البطريرك (١١١)	١٦١
١	خلو الكرسي واختيار البطريرك	١٦١
٢	اختيار القمص ميخائيل رئيس دير أبو مقار للبطريركية	١٦٢
٣	رسامة البابا ديمتريوس الثاني	١٦٣
٤	تكميل بناء الكنيسة المرقسية الكبري بالأزبكية	١٦٣
٥	وفاة محمد سعيد باشا وتولية الخديوي اسماعيل	١٦٣
٦	انعام الخديوي اسماعيل بالأراضي الزراعية علي المدارس القبطية	١٦٤
٧	زيارة السلطان عبد العزيزلمصرومقابلة البابا له	١٦٤
٨	العمارات التي أقامها البابا ديمتريوس	١٦٥
٩	زيارة البابا ديمتريوس للأقاليم القبلية والقضاء علي الشيعة البروتستانتية	١٦٥
	مشاهير رجال القبط في الجيل التاسع عشر	١٦٦
١	وهبه بك الجيزاوي	١٦٦
٢	تادرس عريان أفندي وأولاده	١٦٧
٣	عريان بك تادرس واخوته	١٦٧
٤	سعد بك ميخائيل عبده	١٦٧
٥	يعقوب بك نخله روفيله	١٦٨
٦	مرقس بك يوسف	١٦٨
٧	إبراهيم بك نخله وشقيقه صالح نخله	١٦٩

الفهرست العام

١ ملخص فهارست الحلقات الأربع السابقة
٢ فهرست أبجدي للأشخاص والأماكن في الحلقات الخمس

الفهرست العام للحلقات الخمس

١ ملخص فهارست الحلقات الأربع السابقة

الحلقة الأولى

١ تاريخ البابا كيرلس الثالث بن لقلق (البطريرك ٧٥)
٢ مشاهير الرجال في أيام البابا كيرلس:
أولاد العسال
الأنبا بولس البوشي
الأنبا يوساب أسقف فوه
باقي مشاهير الأساقفة واللاهوتيين والعلماء
٣ القوانين المنسوبة للبابا كيرلس بن لقلق (٥ كتب)

الحلقة الثانية

البابا أثناسيوس الثالث (البطريرك ٧٦)
البابا غبريال الثالث (البطريرك ٧٧)
البابا يؤانس السابع (البطريرك ٧٨)
البابا ثيئودوسيوس الثاني (البطريرك ٧٩)
البابا يؤانس الثامن (البطريرك ٨٠)
نياحة القديس برسوما العريان
البابا يؤانس التاسع (البطريرك ٨١)
البابا بنيامين الثاني (البطريرك ٨٢)
البابا بطرس الخامس (البطريرك ٨٣)
البابا مرقس الرابع (البطريرك ٨٤)
البابا يؤانس العاشر (البطريرك ٨٥)
البابا غبريال الرابع (البطريرك ٨٦)
مشاهير الرجال في الجيل الرابع عشر:
(المفضل المصري أنبا بطرس أسقف مليج شمس الرئاسة ابن كبر)

الحلقة الثالثة

٤ تاريخ الشيخ القديس مرقس الأنطوني
٥ تاريخ القديس الأنبا فريج الشهير بالأنبا رويس

الحلقة الرابعة

البابا غبريال الخامس (البطريرك ٨٨)
البابا يؤانس الحادي عشر (البطريرك ٨٩)
البابا متاؤس الثاني (البطريرك ٩٠)
البابا غبريال السادس (البطريرك ٩١)
البابا ميخائيل الرابع (البطريرك ٩٢)
البابا يوحنا الثاني عشر (البطريرك ٩٣)
البابا يؤانس الثالث عشر (البطريرك ٩٤)
القديس صليب الشهيد
إيبارشيات الخمس المدن الغربية في أوائل الجيل السادس عشر
أحوال القبط في الجيل الخامس عشر وموجز تاريخى لسلاطين مصر في هذا الجيل
حالة القبط في عهد دولة المماليك الشراكسة
البابا غبريال السابع (البطريرك ٩٥)
البابا يؤانس الرابع عشر (البطريرك ٩٦)
استشهاد الراهب القديس يوحنا القليوبي
البابا غبريال الثامن (البطريرك ٩٧)
البابا مرقس الخامس (البطريرك ٩٨)
حالة الأمة القبطية في الجيل السابع عشر
البابا يؤانس الخامس عشر (البطريرك ٩٩)
البابا متاؤس الثالث (البطريرك ١٠٠)
البابا مرقس السادس (البطريرك ١٠١)
متاؤس الرابع (البطريرك ١٠٢)
حوادث هامة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في عصر البابا متاؤس الرابع للأب فانسليب الدومنيكاني
اللغة القبطية في الجيلين السادس عشر والسابع عشر للميلاد
البابا يؤانس السادس عشر (البطريرك ١٠٣)
حالة الأقباط في الجيل السابع عشر وفشل الكاثوليك